

رواية الأدب العالمي للناشئين

مغامرات
هكطيري فين
مارك توين



مغامرات مکالبزی فین

**مغامرات
مکلبری فین
ملرک توین**

**ترجمة
مختار السويفي**



**مهرجان القراءة للجميع
مكتبة الأسرة
برعاية السيدة سوزان مبارك
(الأنب العالمى للناشدين)**

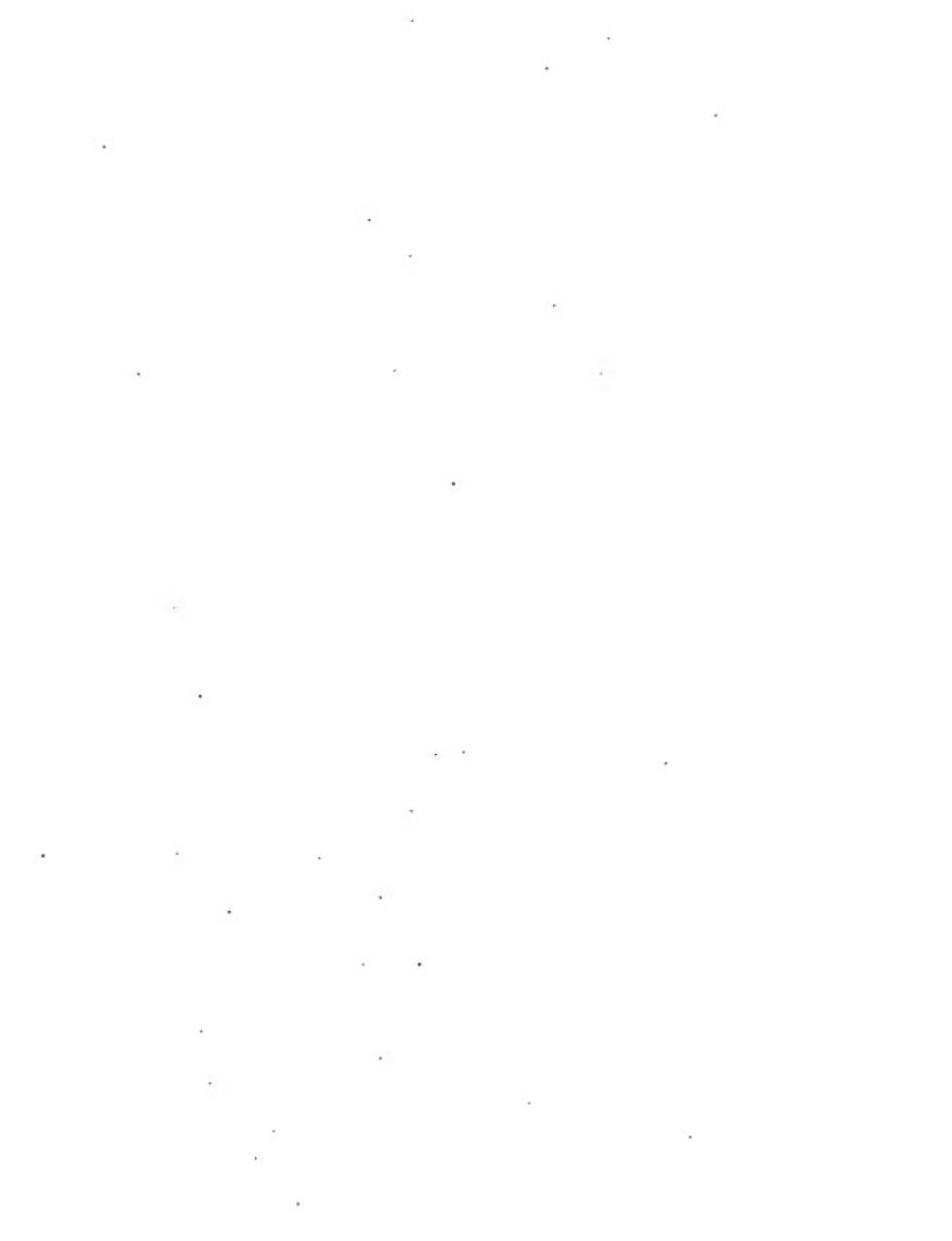
| | |
|---------------------------------------|---------------------|
| الجهات المشتركة: | مغامرات هكليبرى قين |
| جمعية الرعاية للتكاملة المركزية | مارك توين |
| وزارة الثقافة | ت: مختار السويفى |
| وزارة الإعلام | لوحة الغلاف : |
| وزارة التعليم | للفنان: جمال قطب |
| وزارة الإدارة المحلية | تصميم الغلاف |
| المجلس الأعلى للشباب والرياضة | الإشراف الفنى: |
| التنفيذ: الهيئة المصرية العامة للكتاب | للفنان محمود الهندي |
| | الشرف العام |
| | د. سمير سرحان |



مقدمة

وهكذا تمضي مسيرة مكتبة الأسرة للتقدم في عامها الرابع تسع سلاسل جديدة تضم روايات الفكر والإبداع من عيون كتب الآداب والفنون والفكير في مختلف فروع المعرفة الإنسانية، تروي تعطش الجماهير لللاقافة الجادة والرفيعة، وتلضم إلى مجموعة العناوين التي صدرت خلال الأعوام الثلاث الماضية لتغطي مساحة عريضة من بحور المعرفة الإنسانية، ولقطع بأن مصر غالية بتراثها الأدبي والفكري والإبداعي والعلمي، وأن مصر على مر التاريخ هي بلاد الحكمة والمعرفة والفن والحضارة .. عبقرية في المكان وعصرية الإبداع في كل زمان.

سوzan مبارك



على سبيل التقديم ..

مكتبة الأسرة ٩٧ رسالة إلى شباب مصر الواعد تقدم
صفحات متألقة من متعة الإبداع ونور المعرفة مصدر
القوة في عالم اليوم ..
صفحات تكشف عن ماضينا العريق وحاضرنا
الواد وتستشرف مستقبلاً المشرق .

د. سمير سرحان

المؤلف

ولد « مارك توين » فى ولاية ميسوري سنة ١٨٣٥ م ٠٠ وعاش حياة بائسة فى فترة الطفولة ،
فلم ينل الا حظا متواضعا من التعليم ٠٠

وعندما كان فى الثالثة عشرة من عمره ، اشتغل
كمامل طباعة ٠٠ ثم ساعد أخاه الأكبر فى اصدار احدى
الجرائد المحلية الصغيرة التى كان يكتب فيها بعض
القصص القصيرة بين حين وآخر ٠٠

وفى سن العشرين هجر الطباعة واشتغل ملاحا
على الباخر النهرية العاملة جيئة وذهابا فى نهر
المisisipi ٠٠ وقد قال مارك توين فيما بعد : أن معظم

الشخصيات التي وصفها في قصصه ورواياته ، كانت شخصيات حقيقة صادفها أثناء عمله في بوادر المisisبي .

وفي سنة ١٨٦٢ ، بدأ مارك توين عمله في الصحافة .. وأخذ يكتب بانتظام في بعض الجرائد والمجلات .. وبعد نحو خمس سنوات ، أصدر أول مجموعاته القصصية .. ثم أصدر بعد ذلك مجموعة من الكتب ، تناول فيها وصف انطباعاته والأحداث التي صادفها والشخصيات التي قابلها أثناء سفرياته ورحلاته ..

ومن أهم الكتب والمؤلفات التي أصدرها ، رواية « مغامرات توم سوير » سنة ١٨٧٦ م .. و « الأمير والفقير » سنة ١٨٨٠ م .. و « مغامرات هكلبرى فين » سنة ١٨٨٤ م ..

ويقول معظم نقاد الأدب ، إن رواية « مغامرات هكلبرى فين » تعتبر درة فريدة بين جميع الأعمال

الأدبية التي كتبها مارك توين ، كما تعتبر علامة بارزة في الأدب الأمريكي الكلاسيكي بصفة عامة .

غير أن متعة القارئ ستزداد حتما ، اذا كان قدقرأ أيضا رواية « مغامرات توم سويف » قبل او بعد هذه الرواية .. ففي كل من هاتين الروايتين سيعيش القارئ في رحاب المغامرات الطريفة التي قام بها هذان الصديقان .. سواء في ذلك المغامرات التي قاما بها معا واشتركا فيها سويا ، أو المغامرات التي قام بها كل منهما على حدة ..

واسم « مارك توين » هو الاسم المستعار لهذا الأديب الأمريكي الشهير .. أما اسمه الحقيقي فهو : صمويل لانجهورن كليمنس .. ولكن قراء الأدب وعشاق الاطلاع على الأعمال الأدبية ، يعرفونه باسم الشهرة الذي عرف به وذاع به صيته في مختلف أنحاء العالم ..

وقد مات مارك توين في سنة ١٩١٠ م .

ومن ي يريد الاستزادة من المعلومات المتعلقة بحياة
هذا الأديب الكبير .. فنرجوه الرجوع إلى المقدمة
الخاصة برواية « مغامرات توم سوير » المنشورة ضمن
هذه السلسلة ..

« المترجم »

الفصل الأول

عصابة توم سوير

لن تعرفني جيدا الا اذا كنت قد قرأت « مغامرات
توم سوير » .. وعلى أية حال فان هذا لا يضم !

اريد أن تعرف فقط أن كتاب « مغامرات توم
سوير » قد انتهى على النحو التالي :

لقد عثروا ~ أنا وتوم ~ على كنز من النقود كان
اللصوص قد خفاوه في الكهف .. وكان نصيب كل منا
ستة آلاف من الجنيهات الذهبية .. وقد تولى القاضي
باتشر استئجار هذه النقود لصالحنا .. وكان كل منا

يحصل على دولار واحد - كفائدة يومية - على مدار السنة .

وكانت الأرملة ممزوجة بلاس قد تبنتنى واعتبرتني ابنا لها ، وأعلنت أنها أصبحت مسؤولة عن تربيتى وتهذيبى .

ولكن الحياة فى بيت محترم طول الوقت كانت صعبة بالنسبة لي .. خصوصا اذا وضعنا فى الاعتبار النظام الدقيق الصارم الذى كانت تفرضه الأرملة كأسلوب للحياة .. لهذا فلم أطق استمرار الاقامة فى هذا البيت وقررت الفرار ..

وقد اتصل بي توم سوير واطلب مني أنه ينوى تكوين عصابة من المخصوص .. وانه لن يشركنى فى عصابته تلك الا اذا عدت للحياة فى بيت الأرملة مرة أخرى .. وعلى هذا فقد قررت العودة ..

وكانت الأرملة تأسف على حالى . وتدعونى دائمًا بالحمل الضال المسكين .. والبستانى مرة أخرى

ثياباً جديدة نظيفة .. و أنا لا أحب مثل هذه الثياب لأنها تجعلني أقصبب عرقاً ولا أشعر فيها بالراحة ..

وهكذا عدت مرة أخرى إلى الالتزام بالنظام المقرر في هذا البيت .. فإذا دقت الأرملة جرس الدعوة إلى تناول الطعام ، فان عليك أن تكون جالساً إلى المائدة في الوقت المحدد تماماً .. وإذا جلست إلى مائدة الطعام فلا يمكنك أن تبدأ في تناوله .. وعليك أن تنتظر قليلاً حتى تميل الأرملة رأسها وتقول بعض شكاوتها عن الطعام ، حتى ولو لم يكن هناك أي سبب للشكوى ..

وقد جاءت اختها مسز واطسون لتعيش معنا في البيت .. وهي عذراء عجوز تلبس نظارة طبية .. وكانت تجبرني هي الأخرى على العمل الشاق في حفظ الكلمات المكتوبة في كتاب الهجاء لمدة تقرب من ساعة كل يوم ..

لقد مللت كثرة التنبيهات والتوجيهات التي كانت تقولها مسز واطسون بصفة مستمرة : هكلىرى

٠٠ لا تضيع قدمك على هذا الشيء .. هكليبرى ..
لاتنحني على هذا التحو وقف معتدلا .. هكليبرى ..
لاتثناءب وتفتح فمك عن آخره على مثل هذا التحو ..
لماذا لاتحاول أن تصبِع مهذبا ؟ ..

وفي المساء كانت الأرملة تستدعى الخدم
الذين يعملون في بيتها ، حيث يؤدي الجميع صلواتهم
قبل أن يتوجهوا إلى النوم ..

صعدت إلى غرفة نومي .. ولم تكن لدى أية رغبة
في النوم .. فجلست بجوار النافذة .. وشعرت
بالوحدة .. وسمعت صيحة أطلقها طائر الليل كعلامة
على أن شخصا ما قد مات .. كما سمعت نباح كلب
يأتي من بعيد كعلامة على أن شخصا آخر على وشك الموت ..
وهكذا أحست بالبؤس والخوف ، وتمنيت لو
أن لي شريكا أو صديقا يواسيني في أحزاني ..

وبعد فترة طويلة .. سمعت دقات ساعة المدينة :
بوم .. بوم .. بوم .. اثنتي عشرة دقة .. وبعد
انتهاء الدقات عاد السكون تقليلا أكثر من ذي قبل ..

وفجأة .. سمعت فرع شجرة ينكسر .. ورأيت
بين الأشجار شيئاً يتتحرك في الظلام الدامن .. ثم
سمعت مواء قطة .. وهذا شيء عظيم ، فمواء القطة
هو النداء السري بيني وبين توم .. وعلى الفور ردت
مواءه بمواء من عندي .. وأطفأت نور الحجرة ، وقفزت
من النافذة على السطح المنحدر ، ومنه قفزت إلى الأرض
.. وإنما على يقين بأن توم سوير ينتظرني .. !

وعلى الفور أخذنا طريقنا هابطين إلى سفح
التل .. لأن البيت الذي أعيش فيه يقع بأعلى
التل .. وهناك قابلنا جو هاربر وبن روجرز
وولدين أو ثلاثة أولاد آخرين .. وذهبنا جميعاً نحو
شاطئ النهر ..

وقمنا بفك رباط أحد القوارب .. وركبناه
وأخذنا نجده في النهر لمسافة ميلين ونصف ميل
إلى أن وصلنا إلى نقطة معينة على جانب التل ، وهناك
رسونا ..

وتسللنا خلال بعض الأعشاب والشجيرات ..

وأرشدنا توم الى فتحة صغيرة في جانب التل . . . وقمنا باشعال شموعنا وببدأنا نزحف الى داخل تلك الفتحة ، حيث وجدنا أنفسنا في مكان يشبه الغرفة ، ولكنه كان رطبا باردا . . . وهناك توقفنا . . .

وقال توم :

- والآن . . . سيمبدأ عمل عصابة اللصوص التي كونها . . . وعلى كل من يريد أن ينضم الى تلك العصابة أن يقسم على أنه سيلتزم بنظام العصابة وقواعدها . . . وأن يكتب اسمه ويوقع امضاه بالسدم !

وأخرج توم من جيشه ورقة كان قد كتب فيها قواعد ونظام العصابة وأخذ يقرأها . . . تم أقسام كل واحد منها بأنه سيخلص للعصابة ولن يسمح أبدا بأسرارها . . . وأنه اذا تعرض اي فرد من افراد العصابة للأذى من اي شخص آخر ، فان على اي فرد من افراد العصابة ان يقوم بقتل هذا الشخص وقتل عائلته . . . أيضا ! . . .

وقد أعجب كل فرد بهذا القسم ، واعتبروه
 شيئاً بدينا .. وتساءل بن دوجرز :
ـ والآن .. ما هو العمل الرئيسي لهذه
العصابة .. !؟

فقال توم بلا تردد :

ـ سنقوم بقطع الطريق على العربات المسافرة
ونحن نرتدي أقنعة تغطي وجوهنا .. ونقوم بقتل
الناس والاستيلاء على ساعاتهم وأموالهم .. كما نقوم
بخطف بعض الناس والاحتفاظ بهم كرهائن في هذا
الكهف إلى أن نحصل على الفدية .. !؟

ـ فدية .. ما معنى فدية .. !؟

ـ لا أدرى بالضبط .. ولكن هذا ما تفعله بعض
العصابات الأخرى .. وقد قرأت عن ذلك في الكتب ..
وعلى أية حال فهذا واجبنا وعلىينا أن نفعله ..

ـ ولكن كيف تفعله .. كيف تفعل شيئاً لا نعرف
معناه ..

- ما هذا .. ان علينا أن نفعله معناها أن علينا
أن نفعله .. هل تريده أن تختلف ما جاء في الكتب
وتفسد علينا كل شيء .. ١٩
- ولكن يا توم سوير .. كيف سيقتدى هؤلاء
الناس .. مادمنا لا نعرف ماذا سنصنع بهم ..
وما رأيك أنت في تلك المشكلة .. ١٩
- لا أعرف .. ولكن ربما أن الاحتفاظ بهم
كرهائين حتى يفتدوا ، معناه أن نحتفظ بهم حتى
يموتوا .. ١
- ان هذا سيؤدي إلى متابعة ومشاكل كثيرة
.. اذ يجب أن نقدم إليهم الطعام .. كما انهم
سيبذلون محاولات كثيرة للهرب منا ..
- ما هذا الذي تقوله يا بن روجرز .. كيف
يهربون منا ونحن نقييم عليهم حراسة مشددة .. ان
عليينا أن نطلق عليهم النار اذا تحرك أي واحد منهم
ولو قيد أنملة .. ١
- حراسة ١٩ .. معنى ذلك أننا سنبقى في

حراستهم طول الليل دون أن ننام .. وأعتقد أن هذا تصرف غبي .. لماذا لا يقوم واحد منا بالحضور عصا غليظة و يقتدى ، هؤلاء الناس ب مجرد وصولهم الى هذا الكهف ١٩ ٠٠

- لا نستطيع أن نفعل ذلك لأنه غير مذكور
بالكتب .. هذا هو السبب !

- موافق .. ولكن لدى سؤال آخر : هل سقوم بقتل النساء أيضا ١٩ ٠٠

- بين روجرز .. لو كنت غبيا مثلك لاكتفيت بفلق فمي حتى لا أتكلم .. هل سنقوم بقتل النساء .. هـ .. إن هذا لم يرد بالكتب .. إنك ستقوم بالحضور النساء الى هذا الكهف .. وعليك أن تتصرف معهن بمنتهى الأدب واللطف .. وبعد فترة ستقنع النساء في حبك .. ولن تقبل أية واحدة منها أن تعود الى بيتها مرة أخرى ..

- معنى ذلك أن الكهف سيصبح مزدحما بالنساء .. وبالرهاق الذين ستحتفظ بهم حتى

يفتقدوا .. ولن يكون هناك مكان لنا نحن اللصوص
أفراد العصابة .. وعلى أية حال استمر .. فلم يعد
لدي شيء أقوله ! ..

ومكذا انتخبنا توم سوير رئيسا للعصابة ..
وانتبينا جو هاربر نائبا للرئيس .. وعدنا بعد
ذلك الى بيوتنا .. فتسليقت السطح المائل حتى وصلت
إلى نافذة غرفة نومي ، قبل أن يطلع ضوء النهار ..
وكانت ملابسي الجديدة ملوثة بشحم الشموع وبالأوحال
.. وكانت مرهقا للغاية .. !

وفي الصباح ثلت بعض التوابع من مسر
واطسون بسبب قذارة ملابسي .. أما الأرملة مسر
دوجلas فلم توبخني ، وإنما قامت بتنظيف ملابسي
ما علق بها من شحم وأوحال ونظرت إلى نظرة ملؤها
الأسف والحزن . لدرجة أنني فكرت أن أتصرف تصرفا
مهذبا ، ولو للحظة بسيطة ، إن كنت قادرا على
ذلك ..

أما بالنسبة لأبي .. فقد مر أكثر من عام دون

أن أراه .. و كنت مسروراً لذلك ، لأنه كان يضربني
ريؤذيني دائمًا .. وفي خلال تلك الفترة سمعت أنه
قد غرق في النهر ، اذ عشر الناس على دجل غريق على
بعد نحو اثنى عشر ميلاً من المدينة ، واعتقد الناس
أن هذا الفريق كان أبي .. لأن حجم جسمه كان مماثلاً
لحجم جسم أبي ، كما كان يرتدي مثله ملابس رثة
مسزقة ، وله شعر طويل مماثل لشعر أبي ..

وقد واصلنا لعبة المصووص لمدة شهر .. ثم
استقال جميع الأولاد من العصابة .. لم نسرق شيئاً
.. ولا قتلنا أحداً .. وإنما كنا نتظاهر بفعل ذلك
فقط .. كنا نتظاهر بالهجوم على رعاه الخنازير وعلى
النساء اللواتي يحملن الحضراوات على عربات صغيرة
يتوجهن بها نحو السوق ..

وقد أطلق توم سوير على الخنازير اسم «سبائك
الذهب» ، وعلى الحضراوات اسم «المجوهرات» !
وكنا نعود إلى الكهف لتخيل أحشاء ما استولينا
عليه من الذهب والمجوهرات ونحصي أيضاً عدد
ما قتلناه من الناس ..

وفي مرة أرسلت يوم أحد أفراد العصابة ليتجول
في الشوارع وهو يحمل احدى المشاعل المشتعلة ..
[وهذه الاشارة معناها أن على جميع أفراد العصابة
أن يتجمعوا فورا] .

وعندما اجتمعنا ، أخبرنا يوم بان لديه معلومات
سرية عن فرقة كاملة من التجار الأسبان وأثرياء
العرب ستتوجه في اليوم التالي لتعسّر في « كهف
هولو » .. ومعها مائتان من الأفيال وستمائة حسان
وأكثر من ألف حمار .. وكل هذه الحيوانات محملة
بالملاس .. ومع هذه الفرقة حراسة لا تزيد عن
أربعينات جندي .. ولذلك فعلينا أن نترصد في انتظار
هذه الفرقة وتوجه عليهم في الوقت المناسب ، ونقتل
بعضا منهم ، ثم نستولي على الملاس ! ..

وأخبرنا يوم في نهاية الاجتماع أن علينا جميعا
أن ننطفئ بنا دقنا وسيوفنا وأن نبقى مستعدين يقطفين
لحظة الحاسمة .. وكانت مهمة تنظيف الأسلحة
مهمة شاقة لأن بنا دقنا وسيوفنا كانت كلها مصنوعة

من الخشب ، ولا يُؤدي تنظيفها الى اى تحسين
يذكر ١٠٠

لم أصدق أننا سنستطيع أن نهزم كل هؤلاء
الاسبان والعرب .. ولكنني كنت أريد أن أرى الخيال
والأفيا .. ولذلك فقد تجمعت مع أفراد المصابة
في اليوم التالي .. وترbusنا في مخبأ على أحد جوانب
التل ..

وعندما تلقينا اشارة البلد خرجنا مندفعين من
بين الأشجار وبدائنا الهجوم .. لم يكن هناك اسبان
ولا عرب ولا خيول ولا أفيا .. بل كانت هناك رحلة
مدرسية تتكون من مجموعة من الأطفال .. فحاصرناهم
واستولينا منهم على بعض قطع الكعك .. ولكن عندما
ظهر المدرس المشرف على الرحلة ألقينا الكعك ولذنا
باتقرار ١٠٠

وعندما تخبرت قوم سوير بأنى لم أر آية قطعة
من الماس .. اندعش وأخبرنى بأنه كانت هناك أحمال
ثقيلة من الماس .. وكثير من العرب والاسبان .. !

وسأله لماذا لم تستطع أن ترى هذه الأشياء
التي رأها . . فقال لي أنتي إذا قرأت كتابا يسمى
« دون كيشوت » فأنك ستعرف السر في ذلك وأصبح
في غنى عن السؤال . .

وأخبرني توم أن كل ذلك كان نتيجة لفعل
السحر . . وأفهمتني بأن لنا أعداء يسيرون السحرة . .
وأنهم قاموا بتحويل كل قافلة العرب والأسبان إلى
محدب أطفال يقومون بمرحلة مدرسية ، وذلك لمضايقتنا
وازعاجنا . . وهذا قلت له إن من الواجب علينا اذن أن
نهجم على هؤلاء السحرة . .

فقال توم على الفور :

- إن هذا يدل على العبط . . هل تعرف
لماذا . . لأن هؤلاء السحرة يستطيعون استحضار بعض
الشياطين الذين سيمزقونك أربا قبل أن تنطق بكلمة
. . شياطين ضخمة طولية مثل الأشجار وعربيضة
مثل بناءة الكنيسة . .

فقلت بلا تردد :

- اذن علينا ان نقوم نحن أيضا باستحضار
بعض الشياطين لمساعدتنا .. وبذلك نتمكن من الهجوم
على القافلة ! ..

- ولكن كيف سنقوم باستحضار الشياطين ؟ ..

- لا أدرى .. ولكن كيف يتمكن الآخرون

من استحضارهم ! ..

- آه .. انهم يتحكمون مصباحا قدি�ما أو خاتما
مصنوعا من الماسيد .. وفي لمح البصر ، تحضر
الشياطين مندفعه وسط البرق والرعد وسحب الدخان
.. وهؤلاء الشياطين مسخرون لخدمة أي شخص
يحك المصباح أو الخاتم .. واذا طلبت منهم أن يبنوا
ل لك قلعة طولها أربعين ميلا ، ويملأونها لك بالحلويات
او بما تستهيه نفسك .. او طلبت منهم أن يحضروا
إليك ابنة ملك الصين لتتزوجها .. فان هؤلاء
الشياطين سيتحققون طلبك قبل أن تشرق الشمس في
صباح اليوم التالي ..

ووصفت على أن أقوم بهذه التجربة .. وكان
لدى مصباح قديم مصنوع من الصفيح ، وخاتم مصنوع
من الحديد ، وأخذت أحكمها بكل ما أوتيت من قوة
حتى تعبر وتصيب مني العرق .. فقد كنت بالفعل
أريد أن تبني لي الشياطين قلعة كبيرة لكن أبيعها ..
وقد باهت جهودي بالفشل ، ولم يحضر ولا شيطان
واحد ..

وهكذا اقتنعت أخيرا بأن توم سوير كان يتخيّل
كل هذا الموضوع برمته ..

الفصل الثاني

هك يعيش مع أبيه

ومن نحو ثلاثة أو أربعة شهور .. وحل فصل الشتاء .. وقد انتظمت في المدرسة معظم الوقت ، وأصبحت أستطيع أن أتهجى بعض الكلمات ، وبذلت أقرأ وأكتب ..

في البداية كنت أكره النعاب إلى المدرسة .. ولكن بمرور الوقت اعتدت على ذلك .. كما اعتدت أيضا على تحمل النظام وتقاليد وعادات الأرملة مسر دوجلاس التي أكدت لي بأنني أتحسن بطريقة مرضية

.. وإنها أصبحت راضية عن .. ولم أعد أتسبب في
حدوث أية مشاكل ..

وفي صباح أحد الأيام .. وبينما كنت أتناول
أفطارى .. مددت يدى بسرعة إلى الملاحة الموضوعة
على المائدة ، وأخذت بعض الملح ، ورميته خلف كتفى
الأيسر كطريقة لابعاد سوء الحظ .. وعندما لمحتني
مسر واطسون صاحت قائلة :

- أبعد يدك يا هكلبرى .. يالك من ولد
جبان ١٠٠

وعندما خرجت من البيت في ذلك الصباح كنت
مكفرها وأشعر بالفضب .. لقد اسرعت إلى حديقة
البيت وتسلقت سورها وقفزت إلى الشارع .. وكانت
الأرض مقطأة بالثلج .. ولاحظت وجود آثار لأقدام
مطبوعة على صفحة الجليد فأخذت أتأملها .. ولاحظت
أن الكعب الأيسر للحذاء الذى كانت تلبسه هذه
الأقدام التى تركت آثارها على صفحة الجليد ، كان

على شكل صليب ، وكانت تلك طريقة متبعة لطرد
الشياطين ..

وهي بطيت من أعلى التسلل إلى سفحه ، وتوجهت
نورا إلى بيت القاضى تاتشر الذى قال لي بمجرد أن
رأني :

- مالى أراك تلهث يابنى وأنفاسك متقطعة ..
هل جئت لتحصل على فوائد أموالك !! ..

فاجبت بسرعة :

- لا يا سيدى .. لقد جئت لاعطيك كل هذه
الأموال .. كل الآلاف السنة من الدولارات الذهبية
.. أرجوك أن تأخذها جميعا دون أن تسألنى عن شيء
.. حتى لا أضطر إلى قول الأكاذيب !! ..

فهم القاضى تاتشر هذا الموضوع .. فقام
واحضر ورقة وكتب عليها بعض الكلمات ..

وقسمها كى وهو يقول :

- وقع بامضائك هنا .. فهذه الورقة تثبت أنى اشتريت ثروتك منك .. وأنك قبضت ثمنها .. !
ووقفت على الورقة .. وغادرت البيت بسرعة ..
وفي تلك الليلة .. عندما صعدت الى غرفة نومي .. وبمجرد أن أغلقت الباب واستدرت متوجها الى السرير .. فوجئت بأبى جالسا على مقعد بالغرفة .. ومع ذلك لم أخف منه ..

لقد كان فى حوالى الخمسين من عمره .. وله شعر دهنى طويل لا يسرجه بمشط .. ويتذلّى حول رأسه ووجهه ، ومع ذلك فان فى استطاعتك أن تلحظ بسهولة بريق عينيه ينعد بين خصلات الشعر الاسود .. وكانت له سوالف كثيفة تغطى خديه .. ولا تستطيع أن تتبعين اللون المقيقى لوجهه .. أما عن ملابسه فهى عبارة عن أسمال بالية ..
وعندما لاحظت أن نافذة الغرفة كانت مفتوحة ،

فهمت على الفور أنه تسلل إلى الغرفة من خلالها ،
بعد أن تسلق السطح المنحدر .. وطل أبي ينظر إلى
صامتا إلى أن قال في النهاية :

- ماه .. أراك ترتدي ملابس عظيمة ..
ولعلك تظن أنك أصبحت شخصا هاما .. اليس
كذلك .. اذن .. دعني أسمعك وأنت تقرأ
القراءة والكتابة .. ولعلك تظن أنك أصبحت أحسن
وأفضل من أبيك الذي لا يقرأ ولا يكتب .. اليس
كذلك .. اذن .. دعني أسمعك وأنت تقرأ
 شيئا ! ..

وأخذت أحد الكتب .. وببدأت أقرأ شيئا عن
جورج واشنطن وال الحرب .. وبعد أن قرأت ملحة دقيقة ،
شرب أبي الكتاب والقام على الأرض .. وقال
بغضبه :

- لقد أصبحت تستطيع القراءة فعلا ..
اسمعنى الآن جيدا .. اذا شاهدتكم مرة في تلك
المدرسة ، فسوف اسلح جلدك .. فاهم ١٩ ..

وأخذ يتمتم ويغمض بكلمات لم أسمعها جيدا ..
ثم قال في حقد ظاهر وواضح :

- لقد أصبحت مدللاً يفوح منك العطر ..
لديك سرير .. وملابس للنوم .. ونظارة .. وأرض
غرفتك مفروشة بالسجاد .. بينما أبوك ينسام في
الشارع بلا مأوى .. لفند أخبروني بأنك أصبحت غنياً
لديك أموال طائلة .. لقد جئت إلى المدينة منه يومين
.. وطول الوقت وأنا أسمع الناس يتحدثون عن
ثروتك .. لقد وصلت سيرتك إلى مناطق كثيرة على
طول شواطئ النهر .. ولهذا جئت إليك .. لأخذ
جميع أموالك .. وعليك بتسليمها إلى غداً فانا
أريدها .. !!

فقلت له بهدوء :

- لم يعد لدى أى مال .. ويسكنك أن تتأكد من
ذلك اذا سألت القاضى تاتشر .. !
- طبعاً سأسئل .. والآن أخبرني .. كم تحمل
من النقود في جيبك !! ..

- ليس معه سوى دولار واحد .. وانى
أريده لكن ..

- اعطنى اياه فورا !

وأخذ الدولار وأخبرني أنه ذاuber الى المدينة
ليشتري بعض ال威سكي ..

وفى اليوم التالى ، ذهب أبي وهو سكران إلى
القاضى تاتشر وطالبه بالنقود ورفض القاضى أن يعطيه
 شيئا .. وأقسم أبي بأنه سيحصل على هذه النقود
بقوة القانون ..

وقد لما القاضى تاتشر ومعه الأرملة إلى القانون
أيضا .. وذهبا إلى المحكمة .. وطالبا القاضى بأن
يعكم بابعاد هذا الأب الفاسد عن ابنه .. وأن يوافق
القاضى على أن يتولى أحدهما رعاية هذا الابن والحرس
على مصالحة ..

ولكن قاضى المحكمة كان جديدا .. ولم يكن
يعرف شيئا عن سمعة أبي ، لذلك فقد حكم بأنه

لا يوافق على ابعاد الابن عن أبيه .. وقد سر أبي
بهذا الحكم كثيرا ..

وهدى أبي بالضرب اذا لم اعطه فورا بعض
النقود .. فاقترضت ثلاثة دولارات من القاضي
تاتشر ، فخطفهم من يدي وذهب ليسكر ، وبعد أن
تمل تماما ، أخذ يتتجول في الشوارع محدثا ضجة
وضججا شديدة ، وظل يصرخ ويلعن كل شيء؛ ويختلط
على كفة ميزان مصنوعة من الصفيح ، حتى منتصف
الليل .. وعند ذلك أمسوا به ووضعوه في السجن
.. وفي صباح اليوم التالي قدموه الى المحكمة فحكم
عليه بالسجن لمدة أسبوع ..

وبمجرد اطلاق سراحه .. ذهب فورا الى القاضي
تاتشر وطالبه بالنقود من جديد .. كما قام بالبحث
عن ليمنعني من الذهاب الى المدرسة .. كما بدأ
يتتردد كثيرا على بيت الارملة ، الى أن هددته بأنه اذا
لم يبتعد عن بيتهما فانهما ستسبب له الكثير من

التابع .. فاصابه الجنون وصرخ في وجهها بأنه
سيريها من هو ولـى الأمر الحقيقي لهذا الولد ..
وهكذا خطقنى أبي في أحد أيام الربيع .. وابتعد
بي لمسافة ثلاثة أمتار ، ووضعنى في كوخ قديم مبني
بفروع الشجر يقع في الغابة المجاورة لشاطئ
النهر ..

ولم تتع لـى أية فرصة للهرب .. فقد كان يغلق
باب الكوخ بالفتح ، ويحتفظ بالفتح تحت رأسه
طوال الليل .. وكانت لديه بندقية ..

وـكـنا نعيش على ما نصطاده من الأسماك ، أو
ما يصطـادـهـ هوـ من حـيـوانـاتـ الغـابـةـ باـسـتـعـمالـ الـبـنـدقـيـةـ
.. وـبـيـنـ حـيـنـ وـآخـرـ كانـ يـغـلـقـ عـلـىـ بـابـ الـكـوخـ بـالـفـتـاحـ.
ويذهب إلى أقرب محل ليتبادل بعض الأسماك أو
الحيوانات ببعض الـوـيـسـكـىـ .. وبـعـدـ أنـ يـشـرـبـ وـيـشـمـلـ
يبدأ في ضربـىـ ! ..

ومـرـ شـهـرـانـ وـأـنـاـ فـيـ هـذـهـ الحـالـةـ الـبـائـسـةـ ..
وـأـصـبـحـتـ مـلـابـسـيـ مجرـدـ آـسـمـالـ مـزـقـةـ تـعلـوـهـاـ
الـقـدـارـةـ ..

وأخيراً بدوا أبي في استعمال العصا باستمرار ..
وكان يضربني بقسوة شديدة لدرجة أنني لم أعد
أتحمل استمرار الحياة على هذا النحو .. وقررت
التخلص من هذا العذاب بأية طريقة .. فحاولت
الهرب من الكوخ عندما يكون أبي نائماً أو عندما يكون
بالخارج .. ولكن لم يكن هناك أي منفذ .. ولا توجد
ولو نافذة صغيرة تتسع لمرور أي كلب من خلالها ..
أما ماسورة المدخنة فهي ضيقة ولا تصلح طريقاً للهرب
.. أما الباب الخشبي فقد كان قوياً ومحكماً ..

وفي النهاية جاء الفرج .. وعثرت على منشار
صدىٌ كان مخفياً بين الألواح التي يتكون منها
السقف .. فقمت بتنظيف المنشار .. وبدأت على
 الفور في قطع الخشب بالجدار السفلي للكوخ وكان
يتكون من جذع شجرة كبيرة ..

كان عملاً شاقاً مضطرباً .. وما أن أوشكت على
الانتهاء منه حتى سمعت طلقة من بندقية أبي تتردد
في الغابة في مكان قريب من الكوخ ، وعلى الفور تخلصت
من آثار عمل وأخفيت المنشار ..



كان أبي يضربني بقسوة شديدة ..

وأمرني أبي بالذهاب الى القارب لاحضار الاشياء
التي جلبها معه .. وكانت عبارة عن جوال به نحو
خمسين رطلا من الدقيق .. ولم .. وطلقات للبندقية
.. وأربعة جالونات من الويستي وبعض اشياء
آخرى ..

ووضعت جميع هذه الاشياء بداخل الكوخ ..
وبعد قليل حل الظلام .. وبعد أن تناولنا طعام
العشاء بدأ أبي في الشراب .. وضمنت أنه سيصبح
ثملًا في خلال ساعة على الأكثر ، وعندئذ سأتمكن
من سرقة المفتاح ، أو اتمام نشر الفتحة التي صنعتها
في خشب الجدار السفلي ..

وأخذ أبي يشرب ويشرب الى أن تهوى ساقطا
على البطانية المفروشة على الأرض .. ولكنه لم يتم وظل
مستيقظا وهو يشن ويغمض بأصوات غريبة ويتقلب من
ناحية الى أخرى .. وظل على هذه الحال لفترة طويلة
الى أن غلبتني النعاس وأصبحت غير قادر على الاحتفاظ
بعيني مفتوحتين .. واستسلمت للنوم مستغرقا
فيه ..

شخص ساخر و قال :

- يا هك فين ! .. هل سمعت من قبل أن سجيننا
كان لديه جاروف وعتلة من الحديد .. وهل هذا
معقول .. إن مثل هذا السجين قد يكون لديه أيضا
مفتاح السجن .. هل هذا معقول ؟ !

- طيب .. لنفرض أننا لن نستخدم الجاروف
والعتلة الحديدية .. كيف سنحفر التفهق .. !

- سنستخدم السكاكن ! .. إننا في حاجة الى
سكنين .. !

- هذه فكرة غبية جدا يا توم .. هل سنحفر
التفهق بالسكاكن ؟ !

- لا يهم اذا كانت هذه الفكرة غبية او ذكية ..
فجميع المساجين قد استخدمو السكاكن في حفر
أنفاقهم .. كانوا يحفرون بالسكاكن ليس في التربة
الترابية الهشة فقط ، بل وفي الصخور الصلدة . أيضا
.. وكان هذا العمل يستغرق في العادة فترات طويلة
جدا .. هناك مثلا ذلك السجين الذي كان محبوسا في

الكرنخ .. وكان يحصل في يده سكيناً ويقول أني ملاك الموت وأنا سقتلني ليتخلص مني إلى الأبد ..

وعندما كنت أحاول أن أفهمه أني هكذا بريء ابني ولست ملاك الموت ، كان يضحك ضحكة مخيفة .. ويواصل مطاردته في وهو يلعنني .. وبينما كنت أحاول الالفلات منه . استطاع أن يمسك ظهري معطفى .. واعتقدت أن نبأ ياتى قد أصبحت وشيكه .. لو لا أني استطعت أن أختنق معطفى في سرعة البرق وأنقذت حياتي ..

وعندئذ كان قد بدأ يشعر بالتعب ، فاستنهض بظهره على الباب .. وقال أنه يود أن يستريح لمنتهى دقيقة وبعد ذلك يقتلنى .. ثم قال بعد ذلك أنه سينام قليلاً لينستعيد قواه .. وعندما يستيقظ سيرى من السيد هنا ..

وما أن بدأ في النعاس .. حتى أسرعت بالامساك بالبندية وصوبتها نحوه . وجلست أنتظر أي هياج متوقع .. وأخذ الوقت يمر تقيلاً .. وببطء .. !!

الفصل الثالث

هك يتمكن من الهرب ..

- استيقظ .. !!

وفتحت عيني بسرعة ، ونظرت حول لا عرف
أين أنا .. وكان ضوء الشمس قد ملا أرجاء الكوخ
أثناء نومي العميق .. ورأيت أبي واقفاً بوجهه
الغاضب وتبعدوا عليه أعراض المرض .. وسألني
بحدة :

- ماذا كنت تصنع بهذه البندقية .. !؟

فأجبت :

- كان هناك شخص ما يحاول الدخول الى الكوخ .. فجلست مستعدا في انتظاره ..

ـ سولماذا لم توقظني .. ؟

- حاولت أن أوقظك فلم أفلح .. !

- طيب .. هيا اخرج الآن لترى ما اذا كانت السنانير التي تركناها مدللة في الماء قد اصطادت لنا أسماكاً تصلح لافطارنا .. !

وفتح لي باب الكوخ بالمفتاح .. وتوجهت مباشرة نحو الشاطئ .. فرأيت بعض فروع الاشجار طافية فوق سطح النهر .. وعرفت أن النهر قد بدأ موسم فيضانه وارتفع ماؤه ..

وفجأة رأيت قارباً جميلاً طافياً فوق سطح الماء

بعد أن جرفه التيار من مكان ما .. كان قاربا سليما تماما ويبلغ طوله نحو أربعة عشر قدما .. وفي لمح البصر قفزت إلى مجرى النهر وأنا في كامل ملابسي ، واندفعت سابحا نحو القارب ، واعتنقته ، واستخدمت مجاديفه لتوجيهه نحو الشاطئ ..

كنت فرحا بعثورى على هذه اللقى .. وصمت على أن أخفي هذا القارب في مكان لا يعلمه أحد غيري .. وقلت لنفسي : سأستخدمه عندما تناح لي فرصة الهرب .. وبدلا من اختفائى في الغابة بعد الهرب كما كنت قد خططت من قبل .. يمكننى الآن ركوب القارب والسفر به إلى مكان يبعد خمسين ميلا .. لاقيم فيه بعيدا عن أبي .

وفي اللحظة التي بدأت فيها تجميع الأسماك التي اصطادتها السنانير ، ظهر أبي الذي جاء يستعجبنى .. وأخذ يسبنى ويلعننى لأنى تأخرت في هذا العمل .. وحمل معه خمس أسماك توجه بها نحو الكوخ ..

وبعد أن تناولنا طعام الافتطار .. جلسنا
لنشريع . وكان كل منا يبدو تعباً منهوك القوى ..
وبدأت أفكـر في خطة الهرب الجديدة .. لعل أجد
طريقة ذكـية لتضليل أبي وتضليل الأرملة ومنعهما من
بدء أية محاولة للبحث عنـي .. وذلك أفضل بكثير من
الاعتماد على الحظ ..

وأفرغ أبي في جوفه كمية ضخمة من الماء ،
وقال لي محلـوا :

- هذا الرجل الذي كان يحاول الدخول إلى
الكون .. لا بد أنه كان ينوي شـرا .. ولا بد أن
قتلـه .. فـإذا جاءـ مرة أخرى فـعليك أن تـوقظـني على
الفور .. سـامـع ؟!

وكان هذا الكلام الذي قالـه أبي الآن .. هو
الـذي أـوحـى إـلـيـ بالـفـكرـةـ التـيـ أـبـحـثـ عـنـها .. وـقـلتـ
لـنـفـسـيـ :ـ الآـنـ .. يـمـكـنـنـيـ أـنـ هـرـبـ وـأـنـ مـطـمـثـنـ تـمـاماـ
مـنـ أـنـ أـحـدـاـ لـنـ يـتـعـقـبـنـي ..

وفي حوالي الثانية عشرة ظهرا ، كنا نسير بجوار الشاطئ ، وشاهدنا كثيرا من فروع وجذوع الأشجار وقطع الأخشاب طافية فوق سطح النهر . . ثم شاهدنا « طوفا » يتكون من نسمة جذوع مربوطة إلى بعضها فسحبناه إلى الشاطئ . . ثم جلسنا لتناول غدائنا . .

وكان الطوف بجذوعه التسعة كافيا لدفع أبي إلى التفكير في التوجه إلى المدينة لبيع أخشابه . . لذلك فقد سحبني أبي وأدخلني إلى الكوخ وأغلق على بابه بالفاتح . . وذهب نحو النهر .

وعلى الفور تناولت المشار . . وأكملت نشر الجزء المتبقى من الفتاحة التي أنوي الهرب من خلالها . . وقبل أن يصل أبي إلى الشاطئ ، الآخر من النهر ، كنت قد خرجت من الفتاحة . . ورأيته هو وطوفه كنقطة بعيدة فوق سطح الماء قرب الشاطئ الآخر . .

وحملت جوال الدقيق الى المكان الذي خبأت فيه
القارب .. ثم بدأت انقل الى القارب كل شيء ..
اللحم ، والويسيكي ، والبن والسكر ، والبارود
والطلقات ، والدلو ، والمنشار القديم ، وبطانيتين ،
والملقة ، وأبريق القهوة ، وكل شيء آخر له قيمة ..

وكنت احتاج أيضا الى فأس .. ولكن لم يكن
بالكون سوى فأس واحد .. وكنت قد قررت أن أتركه
لاحق به غربا أضمه .. وأحضرت البندقية وانتهيت
من شحن القارب بكل هذه الأشياء ..

وكنت قد تركت آثارا وعلامات كثيرة على الأرض
من أثر زحفي خلال الفتحة وقيامي ببنقل وجر الأشياء
التي شحنتها بالقارب .. وقررت أن أخفي جميع هذه
الآثار والعلامات .. فأخذت أغطيتها بالتراب كما
تخلصت من نشارة الخشب المختلفة من عملية النشر

التي قمت بها . . . كما غطيت فتحة الهرب بنفس قطعة
الخشب التي نشرتها . . . وثبتها في مكانها ببعض
الأخجار . . .

وبعد أن تأكّدت من أنني لم أترك أثراً يدل على
فعلتي ، قمت بتغطية منقوّلات القارب ببعض المشائش
حتى أخفّيتها تماماً . . . ثم أخذت البندقية وتوجهت نحو
الغابة لاصطياد بعض الطيور التي أتمنى أن استخدمها
كمجزء من الخطة . . . ولكنني رأيت خنزيراً برياً يقف
جوار أحد الأشجار فاطلقته عليه النار ، فقتل على
 الفور ، وسحبته إلى الكوخ . . .

وعندما وصلت إلى الكوخ ، تناولت الفاس وقمت
بتقطيعه البسّاب . . . ثم أدخلت الخنزير إلى داخل
الكوخ ، وهو ينوي بالفاس على رقبته وتركته ينزف كل
دمائه على الأرض . . . ونزعت بعض خصلات من شعره
ولصقتها على سن الفاس الملوثة بدماء الخنزير . . .
وألقيت الفاس في أحد أركان الكوخ . . .

وأحضرت حقيبة قديمة ملأتها بالأحجار الثقيلة
وجررتها على الأرض بحيث ترك أثراً ظاهراً يدل على
أن جسني قد سحبته إلى النهر وقد فلت فيه .. والقيت
الحقيبة والخنزير إلى ماء النهر ..

نم طرأت في ذهني فكرة أخرى ، فذهبت إلى
المكان الذي خبأت فيه القارب ، وحملت جوال الدقيق
وأعدته إلى نفس المكان الذي كان موضوعاً فيه بداخل
الковخ ، ثم أحدثت بالجوال تقبلاً لكي تساقط منه
ذرات الدقيق .. وحملت الجوال مرة أخرى واتجهت
به نحو بحيرة ضحلة مجاورة كان لها مجرى مائى
لا يتصل بالنهر .. وبطبيعة الحال فقد ترك الدقيق
المتساقط من الجوال خطأ أبيض يصل ما بين الكوخ
وشااطئ البحيرة .. وبعد ذلك أغلقت الثقب الذي
أحدثته في جوال الدقيق ، وأعدت بقية الجوال إلى
القارب ..

الآن .. اكتملت خطتي .. وقلت لنفسي :
لا شك أنهم سيتبعون الأثر الذي تركه جر الحقيقة
إلى شاطئ النهر ، وسيعتقدون أن جشتي قد سحبته إلى
النهر وألقيت فيه .. كما أنهم سيتبعون الأثر الذي
تركه الدقيق المتتساقط حتى شاطئ البحيرة وسيعتقدون
أن هذا هو الطريق الذي سلكه المتصورون الذين قتلوا نبي
وسرقوا محتويات الكوخ ..

وهكذا أصبحت مطمئنا إلى أنهم لن يبحثوا في
النهر إلا عن جشتي فقط .. وأنهم سيتوقفون عن البحث
بعد أن يأسوا من العثور عليها ..

وهأنذا أخيرا قد استعدت حريتي .. ويمكنتني
أن أذهب إلى أي مكان أريد .. وقررت أن أذهب إلى
جزيرة جاكسون .. فهي جزيرة منعزلة غير مأهولة
ولا يسكنها أحد ولا يذهب إليها أحد .. فضلاً عن
أنني أعرف كل شبر فيها معرفة جيدة .. وأخذت
أجده في ظلام الليل حتى وصلت الجزيرة قبل مطلع
الفجر ..

واخترت جزءاً من الشاطئ تخفيفه أعشاب طويلة
كثيفة وخباث فيه القارب .. وتأكدت من أن أحداً لن
يستطيع أن يرى القارب المخبوء من أية جهة كانت ..

وكان صوه الفجر قد أوشك على الظهور بينما
كنت آخذ طريقى متوجهاً إلى الغابة التى تقع بوسط
المجذرة .. ولكنى توقفت عند طرف الغابة وقلت
لنفسى : لا أحصل على قسط من الراحة والنوم قبل أن
أتناول افطارى .. !

الفصل الرابع

في جزيرة جاكسون ..

- يوم ١١ ..

استيقظت على هذا الصوت الذي يشبه انفجار قنبلة .. ففزعـت واقفا ، وأنسحت لرأس مطلا بين الأعشاب الكثيفة لاتبـين الأمر ..

ورأيت المعدية وهي تسير فوق سطح النهر ، وتطـلق بعض المتغيرات في الماء .. وفهمـت أنهم يفعلـون ذلك ليـساعدـوا حتىـ الفريـقة لـكى تطفـو فوق السطـح ..

واقتربت المعدية كثيرا من شاطئ الجزيرة ..
وقد رأيت على سطحها مجموعة كبيرة من الناس :
أبي ، والقاضي تاتشر ، وبيري تاتشر ، وجو هاربر ،
وتوم سوير ومعه خالته العجوز بوللي وأخوه سيد وابنة
عمه ماري ، ومجموعة من الناس لا أعرفهم ..

وانطلق صوت قبطان المعدية : اضرب ! ..
فانطلقت على الفور قذيفة انفجرت في مكان قريب مني
لدرجة أن أذني كادت أن تصاب بالصمم من شدة
صوت الانفجار ، كما كادت عيني أن تصاب بالعمى من
كتافة دخان البارود .. وبعد ذلك استدارت المعدية
لتواصل بعثهما عن جشتي في الناحية الأخرى من
الجزيرة ..

وهكذا نجحت خطتي ، حيث جعلتهم يعتقدون
أنني قتلت ومت وانتهى أمري .. ولن يخرج أحد بعد
الآن للبحث عني .. وذهبت إلى القارب ، ونقلت كل
ما كان فيه من حاجياته إلى المكان الذي اختerte لاقامة
معسكري بين الأشجار الكثيفة المتشابكة .. واستخدمت

البطاطين في اقامة خيمة تحجب عنى مياه المطر حتى
لا تبللني أو تبلل حاجبياتي ..

وقرب ممیب الشمس ، اسطدت سمة ، وأشعلت
نار معسكرى . وتناولت عشاءى .. وبعد ان حل
الظلام تماما ، جلست جوار النصار أدخن غليونى وأنا
أشعر بكثير من الرضا .. ولكنى كنت أشعر بالوحدة
في الوقت نفسه .. ولم أجد شيئا آخر أفعله ، سوى
أن أنام حتى صباح اليوم التالي ..

ومر ثلاثة أيام وثلاث ليال وأنا على تلك الحال
دون أن يجده جديد .. وفي اليوم الرابع ذهبت
لأستكشف المناطق الأخرى بالجزيرة .. ودخلت إلى
عمق الغابة ، ولشدة دهشتي رأيت بقايا نار مازال
الدخان يتصاعد منها ! ..

وشعرت كأن قلبي سيقفز من صدرى ويخرج من
حلقى .. وأخذت أجرى بكل ما أستطيع من قوة ..
وبين حين وآخر كنت أتوقف عن الجرى لأنصت ، ولكنى
لم أسمع شيئا سوى صوت أنفاسى الراهنة ..

وب مجرد ان وصلت الى معسكري .. قمت
بتجميع كل حاجياتي ووضعتها في القارب ، وغادرت
الجزيرة ، واختبأت في غابة تقع على الشاطئ الآخر من
النهر .. وهناك تناولت عشاءي .. ونم نوما
متقطعا .. كنت أستيقظ كل مرة وأنا أتصور أن
شخصا ما يسكنى من رقبتي .. ولكنني قلت لنفسي :
اما ان أذهب الى الجزيرة لا عرف من هناك ، او أقبل
ان اموت بفيضي ! ..

وقد ارتحت فعلا لهذا القرار .. وركبت قاربى
وتجهت تجاه الجزيرة .. ورسوت على شاطئها ، ثم
تسليلت الى الغابة وأنا أمسك بندقيتي في يدي ..
وكان ضوء الفجر قد بدأ يظهر فوق قمم الاشجار العالية
.. وعندما اقتربت من المكان الذي رأيت فيه النار
المشتعلة ، بدأت أزحف حذرا على يدي وركبتي ..
وفوجئت بوجود نار مشتعلة .. ويرقد رجل بجانبها
ممددا على الأرض .. لقد كان هذا الرجل هو جيم
خادم مسر واطسون .. وقد فرحت فعلا برؤيته !! ..

قفزت نحوه وانا أصبح متھلاً :

- هالو .. جيم !!

ولكنه هب مذعوراً ورکع على قدميه وقد عقد يديه
على صدره ، وقال متولاً :

- لا تؤذيني .. أرجوك لا تؤذيني .. فانا لم أفعل
أى شئ في حيّاتي يغضب شبيحاً .. عد الى النهر
ولا تفعل شيئاً يؤذى جيم العجوز .. لقد كنت
صديفك دائمًا !!

وأفهمته بصعوبة بأنني لست شبيحاً .. وأنني
مازلت حياً لم أمت .. وقلت له :

- هيا .. دعنا نتناول افطارنا .. وزود هذه
النار ببعض الحطب ..

فقال يائساً :

- لن تقيينا النار بشيء .. فليس عندي
 سوى بعض ثمار التوت .. وهي طعام لا يطهى !!

فقلت على الفور :

ـ توت؟! .. هل كنت تعيش على ثمار التوت
فقط .. معنى هذا أنك جائع جداً ..

وأمرته باعداد النار .. وذهبت من فوري الى
القارب .. وأحضرت الدقيق والملح والبن وابريق
القهوة ومقلة السمك والسكر والا��واب المصنوعة من
الصفيح .. وكان جيم يظن أنى قد أحضرت كل هذه
الأشياء باستخدام السحر .. خصوصاً عندما أحضرت
سمكة كبيرة كنت قد اصطادتها وقام جيم بتنظيفها
وفليها ..

وتناولنا افطاراً سهياً ساخناً .. وكان جيم من
شدة جوعه يتناول طعامه وكأنه ذئب مفترس .. وبعد
أن فرغنا من الافطار ، جلسنا لنستريح ونتجاذب
أطراف الحديث .. وقال جيم مستفسراً :

ـ والآن يا هك .. اذا كنت لم تقتل وما زلت حبا
.. فمن ذا الذي قتل في الكوخ؟! ..

وأخبرته بكل التفاصيل ، فهناكى وقال إنها كانت خطة ذكية .. وسألته بدورى :

- ولكن ما الذى جاء بك الى هنا يا جيم ؟
- سأخبرك .. ولكن هل تدعنى بأن تحفظ بهذا السر ولا تخبر به أحدا ؟
- لن أفعل ذلك أبدا يا جيم ..
- « اذن سأخبرك .. لقد لاحظت مؤخرا أن أحد تجار العبيد كان يعوم حول البيت .. وفي احدى الليالي سمعت مسرز واطسون تقول لاختها الأرملة إنها تنسى أن تبىعنى .. فعارضتها الأرملة فى ذلك ونصحتها بالاحتفاظ بي .. ولكن مسرز واطسون قالت إنها تستطيع الحصول على ثمانمائة دولار ثمنا لي .. رحالت الأرملة أن تشينها عن فعل ذلك .. ولكنى لم أستمر فى الانصات لاسمع بقية الحديث بين الأخرين .. لقد خرجت على الفور من البيت ولذت بالفرار ..

واختبات طول الليل وطول النهار التالي ..
وأخذت أفكرا فيما عساي أن أفعل .. فهناك ناس
كثيرون يعرفونني .. وإذا اخترت أن أوصل طريق
الهرب مشيا على أقدامى ، فسوف يرسلون الكلاب
ورانى لتعقب أثرى بسهولة .. وإذا سرت قاربا
لأعبر به إلى الضفة الأخرى من النهر ، فسوف يتبعوننى
إلى سرقة القارب ويمكنهم أن يتبعوا أثرى ويمسكوننى
.. لذلك فقد قلت لنفسي أن أفضل طريق للهرب هو
أن أركب أي طوف يكون مسافرا فوق سطح النهر ..
ان الطوف لا يترك أثرا !

وتربصت في الظلام قرب شاطئ النهر ، إلى
أن رأيت طوفا كبيرا يأتى قادما عند منحنى النهر
وفوقه مصباح يشع نوره الضئيل فوق سطح الماء ..
فسبحت إلى أن وصلت إلى منتصف المجرى .. وانتظرت
حتى وصل الطوف ، فتعلقت به من الخلف .. وكان
الطفوف كبيرا ، يحمل على ظهره مجموعة من الرجال
يتجمعون حول المصباح المقى .. وقلت لنفسي : إذا

بقيت متعلقاً بهذا الطوف حتى الساعة الرابعة صباحاً ،
فسوف أكون عندئذ على بعد نحو خمسة وعشرين ميلاً
من المدينة ، وهناك سأختفي في الغابات ولن يكتشف
أحد مخيالي ٠٠

ولكن لسوء حظي ٠٠ تنبه إلى وجودي أحد ركاب
الطوف ، فتقدم نحوه وهو يحمل المصباح في يده ٠٠
ولذلك فقد تركت الطوف على الفور وسبحت نحو
شاطئ الجزيرة ١٠٠

وبعد أن انتهى جيم من قصة هربه ٠٠ أخبرته
بأنني كنت أريد أن استكشف الأماكن التي توجد في
وسط الجزيرة ٠٠ فذهبنا معاً ٠٠

وكان الجزيرة مستطيلة الشكل طولها نحو
ثلاثة أميال ، وعرضها لايزيد عن نصف ميل ٠٠ وفي
وسطها تل صغير له سطح منحدر ٠٠ فتسقطناه حتى
بلغنا قمته ٠٠ وهناك اكتشفنا وجود كهف يقع بالقرب
من تلك القمة ٠٠

وعلى الفور ، ذهبنا الى موقع القارب ، وأخذنا
تجدف حتى وصلنا الى مكان بالشاطئ، قرب من موقع
التل ، وبذاتنا نقل الى الكهف كل الحاجيات التي كنا
نخشى ابتلالها عند سقوط المطر .. ثم خيّانا القارب
بين الاعشاب قرب الشاطئ .. وأخذنا معنا الأسماك
التي اصطادتها السنانير المعلقة ، وأعددنا السنانير
لمزيد من الصيد .

وأشعلنا نارا خارج الكهف ، وطهّونا الأسماك
وتناولنا عشاءنا ونحن جالسين على البطاطين التي
افترشناها على ارض الكهف .. وعندما حل ظلام
الليل ، بدأت السماء تبرق وترعد ، وانهمر سيل
المطر وبذات الرياح تعصف في عنف .. فقلت
لجميع :

- ان هذا الكهف مكان رائع .. وليس هناك
مكان آخر أفضل منه .. هيا .. اعطني قطعة أخرى
من السمك وبعضا من الخبز الساخن .. !

وعلى مدى الائتني عشر يوما التالية ، بدأت مياه النهر في الازدياد والارتفاع حتى فاضت على الشطآن .. وأصبح عمق الماء نحو ثلاثة أو أربعة أقدام في بعض الأماكن المنخفضة في الجزيرة ..

وفي خلال فترات النهار كنا نجده بقاربنا ونبدور به حول شطآن الجزيرة ، أو ندخل الى عمق الغابة حيث يصعب الجو باردا ورطبا تحت ظلال الاشجار ، مهما كانت الشمس ساطعة وحامية ..

وكانت هناك العديد من الاشياء طافية فوق سطح النهر بعد أن جرفها التيار من أماكن أخرى .. وفي احدى الليالي عثرنا على طوف كبير مصنوع من الواح متساوية من الخشب السميك ، يبلغ طوله نحو ستة عشر قدما ، وعرضه نحو اثنى عشر قدما ، وسمكه نحو سبع يوصات .. كان طوفا رائعا في حقيقة الامر ..

وفي ليلة أخرى قبيل الفجر ، شاهدنا متزلا
خشبيا محظما يطفو عائما فوق سطح النهر بعد أن
جرقه التيار .. فركبنا القارب وجدنا نحوه ،
وتسلقنا بعض جوانبه .. فشاهدنا سريراً ومتضدة
ومقعدتين قديمتين وأشياء كثيرة مبعثرة على الأرض ..
وفي أحد الأركان شاهدنا شيئاً يشبه الرجل ..

وعندئذ قال جيم :

- انه قتيل .. أطلقت عليه النار من وراء
ظهره .. تعال هنا يا هك .. ولا تنظر الى وجهه ..

والآن جيم قطعة قديمة من القماش غطى بها وجه
القتيل .. ولم يكن بحاجة الى فعل ذلك ، لأنني لم
أجسر على النظر الى وجه الرجل الميت ..

وشاهدنا بعض أوراق اللعب متناثرة على الأرض ،
وبعض زجاجات ال威سكي .. ومجموعة من ملابس
الرجال وملابس النساء معلقة على الجدران الخشبية ..

وقد استنتجنا أن سكان هذا البيت قد غادروه بسرعة
وبطريقة مفاجئة ..

أما بقية الأشياء التي عثرنا عليها في هذا البيت
العام ، فكانت عبارة عن مصباح مصنوع من الصفيح ،
وسكين ، ومجموعة كبيرة من الشموع ، وفأس ، وبعض
المسامير ، وستارة كبيرة في سمك اصبعي ، وبعض
المطايف ، وحدوة حسان ، ورداء كلب مصنوع من
الجلد ، وبعض زجاجات الأدوية التي لا توجد عليها
أية بطاقة تدل على نوع الدواء ..

و قبل أن نغادر البيت إلى القارب ، عثر جيم على
ساق خشبية نزعنا منها الأربطة التي ثبّتها .. وكانت
الساق مصنوعة بطريقة جيدة رغم أنها كانت كبيرة
بالنسبة لي ، ومناسبة لطول ساق جيم .. وحاولنا
العثور على الفردة الأخرى فلم نجدها .. رغم أننا بحثنا
عنها في أعلى البيت وأسفله ..

وبعد أن عدنا إلى الكوخ ، أخذنا نفتش في الملابس التي أحضرناها .. وعثينا على ثمانية دولارات فضية كانت مخبأة بأحكام في ثنية أحد المعاطف ..

وقلت لجيم ساخرا :

- عندما أحضرت جلد الشعبان الذي عثرت عليه عند جانب التل .. قلت لي أن أسموا شيء في هذه الدنيا أن يمس الإنسان جلد ثعبان بيده .. لأن ذلك سيجلب الحظ السيئ .. وما نحن قد عثينا على كل هذه الأشياء بالإضافة إلى الدولارات الثمانية .. فليت حظنا يصبح سيناً على هذا النحو كل يوم ..

فقال جيم :

- كل هذا لا يهم .. فالحظ السيئ سيناتي حتى ما دمت قد مسست جلد الشعبان بيده ..



الحية ذات الجرس تعصف جيم !

كان حديثنا هذا في يوم الثلاثاء .. وبعد ظهر
يوم الجمعة شاهدت حية ذات جرس .. وهي حية
خطيرة قتلتها على الفور .. وطرأت في ذهني فكرة
المزارع مع جيم ومعاكسنته .. فوضعت الحية القتيلة
تحت بطانته حتى يفاجأ بها عندما يبدأ في النوم ..
وعندما بدأ جيم في سحب طرف البطانية فوجئت
به يهب صارخا .. فأشعلت شمعة ، وإذا بي أرى حية
أخرى .. هي في الغالب رفيقة الحية القتيلة وقد جاءت
لتنقم .. فلدغت جيم .. وأسرعت أيضا بقتل الحية
الأخرى باستعمال العصى ..

وواصل جيم صرائحة من شدة الألم .. وأخذ
يعب من وعاء الويسكنى الذي أخذته من أبي .. وأخذ
يشرب ويشرب حتى فقد وعيه ولكنه لم يسكت عن
الأنين والتأوه .. لقد لدغته الحية في كعب قدمه ..
وسرعان ما تورمت القدم بدرجة كبيرة ..

وظل جيم يرقد مريضا أربعة أيام متالية حتى

اختفى الورم بالتدرج وزال الألم وأصبح قادرًا على أن يدوس على قدمه مرة أخرى ..

وقررت أن أبتسل متخفياً إلى المدينة ، لأرى ما يحدث هناك ولأعرف الأخبار .. ونصحني جيم بأن أختفي وأرتدي ثياباً نسائية حتى لا يتعرف على أحد من الأهالي .. وكانت هذه فكرة طريفة طيبة ..

وقتنا بتقصير أحد الفساتين حتى يتناسب مع طول جسمى .. كما قمت بشنی أطراف بنطلونى إلى ما فوق ركبتي وارتدت الفستان ووضعت على رأسى قبعة نسائية عريضة .. وببدأت أتمرن على الحركات والتصرفات النسائية .. ولكن جيم أخبرنى بأنى لا أجيد مشية الفتيات .. ونبهنى إلى الكف عن رفع أطراف الفستان لاضع يدى في جيب بنطلونى ..

وعندما حل ظلام الليل .. أخذت القارب وجذفت تجاه شاطئ المدينة الصغيرة .. وربطت القارب بعد أن أرسيته ، وأخذت أمشي على الشاطئ إلى أن اقتربت من أطراف المدينة ..

وشاهدت نورا ينبعث من نافذة بيت قديم لم يكن يسكنه أحد منذ فترة طويلة .. فنظرت من خلال النافذة ، فرأيت امرأة في حوالي الأربعين من عمرها .. جالسة تخييط بعض الثياب في ضوء شمعة . كانت سيدة غريبة لم أشهدها من قبل .. وقلت لنفسي حتى ولو كانت قد سكنت في هذا البيت القديم منذ يومين فقط ، فسوف يكون لديها بعض الأخبار التي تهمني وتهمنهم جميعا .. وهكذا بدأت في طرق الباب .. وأنا أذكر نفسي بأنني الآن فتاة .. ولست ولدا !

الفصل الخامس

استيغظ ياجيم .. انهم يبحثون
عننا !

قالت لي السيدة وهي تنظر الى بعينيها الصغيرتين
اللامعتين :

— أدخلني .. واجلسني .. !

ثم سالتني :
— ما اسمك ؟ ..

فقلت على الفور :

— ساره وليمز .. !
— وأين تعيشين ؟ ..

- أعيش في هوكرزفيل ياسيدتي .. وهي تبعد
عن هنا بنحو سبعة أميال .. وأمّي مريضة .. وليس
لدينا نقود كافية .. وقد جئت إلى هنا لأقابل خالي
آبنر مور الذي يعيش في الجانب الآخر من هذه المدينة
.. هل تعرفيه ؟!

- لا .. فقد جئت لأعيش هنا منذ أسبوعين فقط
.. ولكن الجانب الآخر من المدينة يبعد عن هنا كثيراً
.. لذلك فمن الأفضل أن تبقى معنا هذه الميلة ..
هيا أخلع قبعتك !

فقلت بسرعة :

- لا .. أني أريد أن أستريح قليلاً ثم أواصل
بعد ذلك سيري إلى بيت خالي ..
وأخبرتني السيدة أن زوجها سيحضر بعد قليل
وسوف تطلب منه أن يصحبني في هذا المشوار .. ثم

بدأت تتحدث عن روجها وعن جميع أقاربها .. وبعد
فترة بدأت تتحدث عن أبي وعن جريمة القتل التي
حدثت ..

فما هي متسائلة :

- هل تعرفين من ذا الذي ارتكب هذه الجريمة
.. لقد سمعنا عنها كثيرا في موكرز فيل .. ولكننا لم
نعرف بعد من قتل هكيلبرى فين .. !

- بعض الناس يظنون أن فين الكبير هو الذي
قتل ابنه .. ولكن في نفس الليلة طن آخرون أن القاتل
هو عبد هارب اسمه جيم .. فقد هرب هذا العبد
في نفس الليلة التي حدث فيها القتل .. ولهذا فقد
أعلنوا عن جائزة قدرها ثلاثة مائة دولار لمن يستطيع
القبض عليه .. كما أعلموا عن جائزة أخرى قدرها
مائة دولار لمن يستطيع القبض على فين الكبير ..
لأنهم يشكون في أمره .. فقد جاء في صباح

اليوم التالي لحدوث الجريمة وأبلغ عنها .. ثم ركب المعدية مع بعض الناس للبحث عن الجثة .. وبعد ذلك اختفى .. وكان بعض الناس يريدون أن يشنقوه ولكنه فر هاربا .. وفي صباح اليوم التالي عرف الناس أن العبد جيم قد هرب : وأنه اختفى في الساعة العاشرة من نفس الليلة التي وقعت فيها جريمة القتل .. لذلك فان الناس يتهمونه بارتكابها ..

- ولكن .. هل ما زالوا يبحثون عن جيم حتى الآن !؟ ..

- طبعا .. فان الدولارات الثلاثمائة مبلغ لا يتوفّر للإنسان في كل وقت .. وهو جائزة طيبة تشجع البعض للبحث عنه .. وبعض الناس - وأنا منهم - يعتقدون أن العبد الهاوب ما زال في مكان قريب من هنا .. وقد شاهدت بنتفسي منذ أيام دخانا يتصاعد من مكان في جزيرة جاكسون .. وقلت لنفسي : ربما يكون العبد الهاوب قد اختبا هناك .. وقد أقنعت زوجي

بذلك فقرر أن يذهب في صحبة زميل له ليبحثا
 عنه ..

وهنا بدأ القلق ينتابني .. وبدأت أشعر بأنني
غير قادر على البقاء ويجب أن أخرج فورا .. واردت أن
أخفي اضطراب أعصابي بفعل أي شيء .. فالتحقق ابرة
وحاولت أن أضم فيها خيطا .. وكانت يداي ترتعشان
.. ونظرت إلى السيدة وهي مندهشة .. ثم ابتسمت
قليلًا .. وقلت متراجدة :

- إن مبلغ الثلاثاء دولار ليس بالمبلغ لهين ..
أتمنى أن تحصل أمي على مبلغ مثله .. ولكن أخبريشني
.. هل سيدذهب زوجك للبحث عن العبد الهارب هذه
الليلة !؟ ..

- نعم .. فقد ذهب مع زميله للبحث عن قارب
ولاقتراص بندقية أخرى .. وسوف يذهبان إلى المزيرية
بعد منتصف الليل ..

وطلت السيدة تحملق في بدهشة وكأنها تخمن شيئاً .. فسألتني مرة ثانية :

- ما هو اسمك يا حبيبتي .. ذكرينى به !!

- ما !! ما !! ماري ولیامز !

- ولكنك قلت أن اسمك سارة وليس ماري كما تقولين الآن !!

- آه !! نعم يا سيدتي !! إن اسمى سارة ماري ولیامز !! ساره هو اسمى الأول !! بعض الناس يطلقون على اسم سارة !! وبعضهم يطلقون على اسم ماري !!

ثم بدأت السيدة تتحدث عن الفتران التي تتتجول في حرية في جميع أنحاء البيت ، والتي تبدو كما لو كانت الأصحاب الحقيقيين للبيت وكل ما فيه !! وكانت السيدة صادقة في هذا الوصف ، ففي كل لحظة

كأن هناك فار يطل باتفاقه من أحد الجحور المدورة التي
تملا الجدران ..

وأحضرت لي السيدة كرة ثقيلة مصنوعة من معدن
الرصاص ، وقالت لي أنها تستعملها في اصابة الفتران
.. وطلبت مني أن أجرب حظى وأقذف بها أحد الفتران
.. فامسكت كرة الرصاص في يدي ووجهتها بقوة نحو
أول فار أطل باتفاقه من أحد الجحور .. ولكن لو كان
هذا الفار قد هُل في مكانه لأصيب اصابة بالغة تجعله
يتوجع من الألم لمدة طويلة ..

وقامت السيدة وأحضرت كرة الرصاص بعد أن
حابت الرمية .. وأحضرت شسلة من خيوط الصوف
وطلبت مني أن أساعدها .. فمسدت يدي الاثنين
ووضعت السيدة شسلة الصوف حولهما ..
وواصلت حديثها عن الفتران وقالت لي :

- راقبى الفتران جيدا .. واجعل كرة الرصاص
في متناول يدك .. وكونى مستعدة !

وفجأة أسلقت السيدة كرة الرصاص في حجري
وجعلتني هذه الحركة الفجائية أضم ركبتي الى
بعضهما .. وعندئذ صاحت بي السيدة :

- تعالى هنا .. انك لست فتاة كما تقولين ..
فما هو اسمك الحقيقي .. هل هو بيل أم توم أم بوب ..
أخبرني ما اسمك الحقيقي يا ولد .. !

وأخذت أرتعش كورقة الشجر .. ولكنني تماسكت

وقلت متوسلا :

- أرجوك يا سيدتي .. لا تسخري بفتاة مسكونة
مثلي .. لقد كنت ذاهنة إلى خالي .. ولكن ..

فقالت السيدة لكي تطمئنني :

- اجلس يا بنى .. اجلس وكن مطمئنا ..
سوف أساعدك .. سأطلب من زوجي أن يساعدك

أيضاً .. يبدو أنك قد عوملت بطريقة سيئة دفعتك
إلى الهرب .. أخبرنى بحكاياتك فانت ولد طيب !!

وبعدات أحكي .. قلت لها إن أبي قد مات وأمى
قد ماتت أيضاً .. وانى أصبحت بحكم القانون تابعاً
لزارع عجوز كان يعاملنى بقسوة شديدة ، فلم أطق
الحياة معه وقررت الهرب .. وسرقت بعض ملابس ابنته
وارتديتها لكي أتخفي .. وانى على يقين بأن خالى آبنز
مور سيرعانى !!

وعندئذ قالت السيدة :

- طيب .. والآن ما هو اسمك المقيق !!

فقلت على الفور :

- اسمى جورج بيترز يا سيدتى !!

فقالت وهي تبتسم :

- اذن تذكر أن اسمك جورج هذه المرة ولا تنساه
عندما أسألك عن اسمك مرة أخرى فتقول انه الكسندر

٠٠ ثم تقول بعد ذلك أنه جورج الكسندر عندما اكتشف
عدم صدقك ٠٠

لم أدر بماذا أجيب ٠٠ وواصلت السيدة الطيبة
حديثها فقالت :

- لقد اكتشفت أنك ولد لأنك لم تلعب دور الفتاة
بطريقة جيدة ٠٠ فعندما كنت تقوم بلفضم الخيط في
الإبرة ٠٠ لاحظت أنك لم تقم بهذه العملية طبقاً
لأصولها ٠٠ فقد أمسكت بطرف الخيط وبذات توجّه
ثقب الإبرة إليه ٠٠ والمفروض أن أيّة فتاة تعلم تماماً
أنها يجب أن تفعل العكس ٠٠ فتمسّك بالإبرة وتوجه
اليها طرف الخيط ٠٠ وعندئذ بذات أشك في أمرك
فاخترعت بعض الأشياء لأعرف حقيقتك ٠٠ وعندما
طلبت منك أن تستخدم كرة الرصاص لقتل الفتران
٠٠ أمسكت بالكرة وقدفت بها بطريقة الأولاد وليس
بطريقة البنات ٠٠ فالبنت التي تقوم بمثل هذا العمل
تبعد مترددة وخائفة وتقذف بالكرة بطريقة عشوائية
إلى مكان آخر يبعد عن الفار بنحو ستة أو سبعة أقدام

٠٠ كذلك عندما اسقطت كرة الرصاص فى حجرك
فإنك قمت بضم ركبتيك الى بعضها وهذا ما يفعله
الأولاد الصبيان أما البنات فانهن يبعدن ركبتيهن عن
بعضها فى مثل هذا الموقف ٠٠ والآن ٠٠ فلتذهب الى
خالك يا سارة مارى وليامز جورج الكسندر بيترز ٠٠
وإذا تعرضت الى متاعب فتعال الى مسر جوديث لوفتونس
فهذا هو اسمى ٠٠ وسوف أقوم بمساعدتك فى التغلب
على مثل هذه المتاعب ٠٠ !!

وأسرعت الى قاربى ٠٠ وعبرت النهر بأقصى
سرعة ٠٠ وبعد أن وصلت الى شاطئ الجزيرة قمت على
الفور باشعال النار فى مسكنى القديم كاجراه لتضليل
الرجال الذين سيقومون بالبحث ٠٠

ثم قفزت الى القارب مرة أخرى ٠٠ وأخذت اجدف
بهمة حتى وصلت الى المكان القريب من التل الذى
يوجد فى اعلاه الكهف الذى نعيش فيه أنا وجيم ٠٠
وكان جيم مستغرقا فى النوم فأخذت أهزه بقوة حتى
أيقظته وقلت له :

ـ استيقظ يا جيم ٠٠ انهم يبحثون عنا ١

و كانت الطريقة التي عمل بها جيم في نصف
الساعة التالى تدل على مدى الذعر الذى أصابه ٠٠ ومع
ذلك ففى نهاية الأمر ٠٠ كنا قد نقلنا كل حاجياتنا
و وضعناها فوق الطوف الكبير الذى عثرنا عليه ٠٠
وفى ظلام الليل تسللنا بالطوف الى وسط مجرى
النهر ٠٠ ولكن بدون أن نتبادل ولو كلمة واحدة

الفصل السادس

كيف ضعكت عليهم ياهك ؟

كانت الساعة تقارب الواحدة بعد منتصف الليل
حين بدأ الطوف يأخذ طريقه زاحفا فوق سطح النهر
مغادرا شاطئ الجزيرة ..

وقرب الفجر رسمونا على رمال الشاطئ، في منطقة
تنمو فيها الأعشاب والشجيرات الكثيفة حيث أخفينا
الطوف ونعطيه ببعض فروع الشجر .. وقضينا النهار
كله على ذلك الشاطئ ..

وقام جيم باستخدام بعض الألواح الخشبية في

صنع ساتر علوى ثبتناه فوق سطح الطوف ليقينا
حرارة الشمس ويحمينا من ماء المطر كما يحمى
جاجياتنا أيضا من البلل .. كذلك فقد صنع جيم رفا
خشبيا يعلو سطح الطوف بنحو قدم ، لنضع عليه
البطاطين وبعض الحاجيات الأخرى لنجميتها من الابتلاع
بماء النهر حين تمر بجانبنا احدى الباخر وتحدث
أمواجا عالية .

وفي منتصف المساحة المحمية بهذا الساتر هيأنا
مكانا صغيرا أحدهما باطار من الطين الجاف لنسخدمه
كموقد نشعل فيه النار دون أن تخشى انطفاءها في الجو
الرطب أو حين يسقط المطر .. كما صنعت دفة خشبية
احتياطية لاستخدامها فورا اذا تعرضت دفة الطوف
للكسر أو التلف .. كما أقمنا عمودا نعلق عليه المصباح
حين تقترب هنا احدى الباخر المسافرة في النهر أثناء
الليل وذلك حتى نتلقى الاصطدام بها ..

وعندما حل ظلام الليل عاودنا الاقلاع مرة أخرى
.. وكان الجو بدءا للغاية فاستلقينا على ظهورنا وأخذنا

نراقب النجوم المتلائمة على صفحة السماء الصافية ..
واستمر حالنا على هذا النحو في الليلة التالية والليلة
الثالثة دون أن يحدث شيء غير عادي .

وفي خلال كل ليلة ، كنا نمر على بعض المدن
الواقعة على شاطئ النهر ، والتي كانت تبدو لنا
كقرقة فسيحة تتلاها فيها الانوار الساطعة ..

وفي الساعة العاشرة من الليلة الخامسة اقتربنا
من شواطئ مدينة سان لويس ، وقررت أن أنزل إلى
الشاطئ لشراء بعض الطعام بعشرة أو خمسة عشر
ستة ..

وكان في تقديرنا أننا سنصل في خلال ثلاثة أيام
أخرى إلى مدينة كايرو (القاهرة) التي تقع في ولاية
اللينوا والتي يخترقها نهر أوهايو .. وهناك سوق
نقوم ببيع الطوف ، ونشتري تذكرةين على أحدي
البواخر العاملة على نهر أوهايو ، حتى نصل إلى أية
ولاية من الولايات الحرة التي منعت نظام العبيد وبذلك
يتحرر جيم من مخاوفه ..

وفي الليلة التالية هبط علينا ضباب كثيف جعل
الرؤية صعبة للغاية .. حتى أصبحنا نخشى أن نمر على
مدينة كايرو دون أن نتمكن من رؤية أنوارها .. ولم
يعد لدينا شاغل يشغلنا سوى أن نتطلع لرؤية هذه
الأنوار من خلال الضباب .. وبين حين وآخر كان جيم
يصبح قائلاً : ها هي ها هي ..

ولكن أملنا كان يخيب حين نتبين أن الأنوار التي
شاهدناها لم تكن سوى أنوار عابرة .. فنعود إلى
مراقبة الأنوار من جديد .. وبعد فترة طويلة صاح
جيم متهلاً :

ـ حمداً لله .. لقد أصبحنا في أمان ياهك .. هامى
مدينة كايرو في آخر الأمر .. !

فقلت له :

ـ سأخذ القارب .. لأذهب وأرى وأتأكد .. !
وبينما كنت أتأهب للتتجديف .. سمعت جيم يقول :
ـ حمداً لله .. لقد اقتربت لحظة المحرية ..

شكرا لك يا هك .. ان جيم لن ينساك أبدا يا هك ..
فأنت خير صديق لجيم .. أنت الصديق الوحيد لجيم
في هذا العالم !!

وأخذت أجدف نحو الشاطئ .. ولكن فجأة
ظهر قارب عليه اثنان من الرجال ، اعتربا طريقى
فتوقفت عن التجديف .. وقال أحد الرجال :

- هل هذا الطوف مملوك لك ؟ !!

- نعم يا سيدى !!

- هل هناك أحد من الرجال على ظهر الطوف ؟ !!

- نعم يا سيدى .. هناك شخص واحد !!

- لقد هرب خمسة من العبيد هذه الليلة .. هل
الرجل الموجود على ظهر الطوف أبيض أم ذنجي ؟ !!

وبدأت اشعر بالقلق والاضطراب ولكنني قلت :

- نحن من البيض يا سيدى !

- سذهب لنتأكد من ذلك بأنفسنا ..
- ليتكم تفعل ذلك يا سيدي .. فان أبي مريض
.. وكذلك أمي وماري آن .. !

- سذهب لنرى .. هيا جدف نحو الطوف ..
وقلت بعد أن جدفنا لمسافة قصيرة :
- سيشكرون أبي على ذلك .. لأن الجميع كانوا
يغرون عندما يعلمون بحقيقة مرضه .. وكانوا يمنعوننا
من الرسو على الشاطئ بطفقنا .. !

قال أحد الرجلين :

- ما هي حقيقة الأمر بالنسبة لوالدك ؟ ..
- لا شيء يا سيدي .. انه .. انه .. انه ..!
وهنا توقف الرجلان عن التجديف ، وكان
قاربهما قد أصبح قريبا من الطوف .. وقال أحدهما :
- لا تكذب يا غلام .. واحبّرنا بحقيقة مرض
والدك .. قل الحقيقة ولا تكذب ..

- نعم يا سيدى .. سأقول الحقيقة بكل صدق .. ولكن أرجو مساعدتكما .. ويمكنكما أن تظلا بعيدين عن الطوف ..

وهنا قال أحد الرجلين :

- هيا بنا نرجع يا جون .. وابتعد عنا أيها الغلام .. ان أباك مريض بمرض معد .. وانت تعرف ذلك وتحاول أن تخفيه علينا .. هل ت يريد أن تنشر المرض في هذه المنطقة ..؟

واخرا قلت وأنا اتنفس الصعداء، وابكي في نفس الوقت :

- سيدى .. عندما كنت أقول الحقيقة .. كان الناس يغرون منا ولا يقدمون علينا أية مساعدة ..

- مسكون .. والآن اسمعني جيدا .. وعليك أن تفعل ما سوف أقوله لك .. عليك أن تساور بالطوف لمسافة عشرين ميلا وعندئذ ستصل الى مدينة .. وأخبر الناس هناك بأن معك مرضى يعانون من الحمى والبرد

.. وساضع لك في قاربك عشرين دولارا ذهبيا .. على
سبيل المساعدة ..

وهنا قال الرجل الآخر :

- انتظر يا باركر .. فسوف أعطيه مبلغا آخر
مساعدة مني في محنته ..
وبعد أن وضع الرجل الثاني مبلغا آخر ..

التفت إلى وقال :

- وداعا يا غلام .. وعليك أن تنفذ ما قاله لك
مستر باركر .. وأتمنى لك حظاً أفضل ..!
وابتعد الرجالان بقاربهما .. وجذفت بقاربى نحو
الطوف واعتلية ظهره .. ولكن لم أجد جيم .. لقد
اختفى ! .. وصحت مناديا :

- جيم !!

فرد على جيم هاما :

- هأنذا يا هك .. هل ذهب الرجال ..؟

كان جيم قد اختفى فى ماء النهر خلف الدفة ..
لقد غاص فى الماء تماماً وأبقى أنفه خارج الماء لكي
يتنفس .. وبعد أن صعد جيم الى ظهر الطوف .. قال
مبتهجاً :

- كيف ضحكت عليهم يا هك !! .. يالك من
ولد ذكى .. لقد أنقذت جيم مرة أخرى .. ان جيم لن
ينسى لك هذا الفضل اطلاقاً ..

وتحادثنا فيما سوف نعمله بهذه النقود .. وقال
جيم ان فى استطاعتنا الآن أن نركب الباخرة لنسافر
إلى الولايات المتحدة ومعنا نقود كافية ..

وقرب الفجر رسونا على الشاطئ .. وقضى جيم
النهار كله وهو يقوم بربط حاجياتنا فى شكل ربطات
يمكن حملها بسهولة استعداداً لمغادرة الطوف والسفر
بالباخرة .. وعندما بدأ القلام أقلقنا بالطوف مرة
أخرى .. وفي نحو الساعة العاشرة مساء شاهدنا
أضواء احدى المدن القريبة .. فأخذت القارب وجافت

نحو الشاطئ لاستطاع الأمر .. ورأيت أحد الصيادين
فسألته :

- سيدى .. هل هذه مدينة كايرو !؟ ..

فقال الصياد مندهشاً :

- كايرو .. لا بد أنك مجنون !

- أذن .. ما هو اسم هذه المدينة ..

- اذا كنت تريده أن تعرف فعليك بالذهاب إلى
هناك لتعرف اسمها ..

ووجدت نحو الطوف .. وببدأ جيم يشعر باليأس
والاحباط .. ولكنني طمأنته قائلاً :

- لا داعي للقلق .. ولا بأس .. وقد نكسون
كايرو هي المدينة التالية ..

ولكنني مع هذا بدأ أشك في الأمر .. وكذلك
بدأ الشك أيضاً يبدو واضحاً في ملامح جيم .. فقلت
يائساً :

- اخشى أن تكون قد مررنا على مدينة كايرو في تلك المدينة التي كانت تغطيها الشبورة الكثيفة ..

فقال جيم وقد يأس تماماً :

- أرجو ألا نتحدث في هذا الموضوع يا هك ..
فأنا على يقين من أن سوء الحظ سيحدث حتماً .. لقد
قلت لك أن لمس جلد الشعبان يؤدي دائماً إلى سوء
الحظ ..

وعندما أشرق النهار .. رأينا بوضوح أنها قد
تجاوزتنا بالفعل مدينة كايرو .. وتشاورنا فيما يجب
أن نعمله لمواجهة تلك المشكلة .. إننا لا نستطيع أن
نعود إلى كايرو سيراً على الأقدام .. كذلك فمن المستحيل
أن نعود إليها بالطوف .. لأن الطوف لا يسير أبداً ضد
التيار .. والشيء الوحيد الذي يمكن أن يساعدنا هو
أن نترك الطوف ونركب القارب .. وأن نجذب ضد
التيار عدة ليال حتى نصل إلى مدينة كايرو ..

كان هذا هو الحل الوحيد .. لذلك فقد نمنا

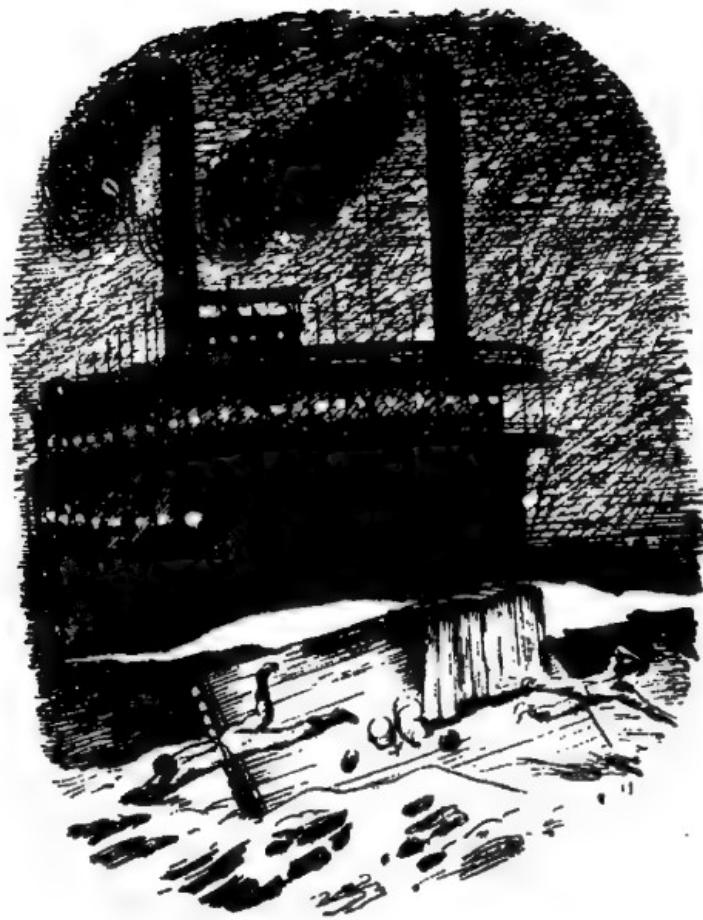
مختبئين بين الأعشاب طول النهار .. وفى الليل ذهبنا
إلى حيث خبانا الطوف .. ففوجئنا بأن القارب قد
اختفى !!

ولم ينطق أحدنا بكلمة .. إن هذا هو سوء الحظ
الحقيقة الذى جلبه علينا لمس جلد الشعبان .. فمما زاد
عسانا أن نصنع ..

ولم يعد أمامنا سوى أن نقلع بالطوف إلى مكان
يمكنا فيه أن نبيعه أو نتخلص منه ثم نشتري قاربا
نجده به ضد التيار حتى نصل إلى كايرو .. وهكذا
أقلعنا بالطوف مرة أخرى بعد أن حل ظلام الليل ..

ولكنها كانت ليلة موحشة دامسة الظلام .. وفي
خلال ساعات قليلة هبطت شبورة كثيفة جداً جعلتنا
لا نرى شيئاً على الأطلاق .. لا مجرى النهر ولا الشاطئ،
ولا الأنوار ولا أى شيء آخر ..

وفجأة سمعنا أصوات آلات أحدى السفن البخارية
وهي تقترب في اتجاهنا .. فأسرعنا باشعال المصباح
حتى ترانا السفينة فلا تصطدم بنا .. ولكن ضوء



د همتنا الباغرة والقلب الطوف ..

الصبح كان خابيا جدا وسط الضباب .. واقتربت
منا الباخرة التي كانت تبدو لنا كسحابة سوداء داكنة
.. وفي لمح البصر اصطدمت بنا بعنف ..

وكانت هناك صرخة .. أعقبها صوت جرس
الباخرة لا يقاف آلاتها .. ثم بعض المعنات والشتائم ..
وصوت الصفاراة البخارية .. وبطبيعة الحال فقد قفز
جيم من أحد جوانب الطوف .. وقفزت أنا من الجانب
الآخر ..

وغضت في ماء النهر محاولا الوصول إلى القاع
بأقصى سرعة حتى أتجنب عجلات المجاديف الآلية
للباخرة .. وهي عجلات هائلة يتتجاوز قطرها الثلاثين
قدما .. وكنت على وشك الموت غرقا عندما ارتفعت
مرة أخرى إلى سطح النهر ..

ورغم الضباب فقد شاهدت الباخرة وقد ابتعدت
بعد أن عادت آلاتها إلى العمل مرة أخرى .. فمثل هذه
السفن لا تبعا بالأطوااف ولا بمن يركبونها !!

وناديت على جيم .. ولكنني لم اسمع له صوتا ..
فعاودت النداء مرات ومرات دون جدوى .. وبدأت
أسبح متوجها نحو الشاطئ ..

وكانت أرض الشاطئ وعرة جدا .. ومع ذلك
فقد اضطررت للسير عليها لمسافة نحو ربع ميل .. الى
أن وصلت الى مشارف بيت من البيوت العريقة ذات
الطراز القديم .. وفجأة .. قفزت نحوى مجموعة من
الكلاب الضخمة أحاطت بي من كل جانب .. وكان على
أن أتوقف دون أن أجسر على التحرك ولو خطوة واحدة ..

الفصل السابع

الثأر !٠٠

وبعد حوالى نصف دقيقة ، فتحت احدى النوافذ
ولم يطل منا أحد .. وسمعت صوتا ياتى من خلالها :
- من هناك !٩ ٠٠

هفلت :

- أنا .. جورج جاكسون ١ ٠٠
- وماذا ت يريد فى مثل هذه الساعة من الليل ٤٠٠
- لا أريد شيئا يا سيدى .. لقد سقطت فى النهر من الباخرة التى عبرت منذ قليل ٠٠ !

- هل سقطت من الباخرة حقاً .. اذن فلا تخف
فلن يؤذيك أحد .. ولكن ابق كما أنت ولا تحاول أن
تتحرك .. هيا يا بوب وانت يا توم .. احضرنا
بنادقكما .. وانت يا جورج جاكسون هل معك أحد
آخر !!

- لا يا سيدي .. فأنا وحدي !
- جورج جاكسون .. هل تعرف عائلة ..
شبردسون !!

- لا يا سيدي .. لم أسمع عنها اطلاقاً !!
- طيب .. عليك الآن أن تتحرك ببطء شديد ..
وإذا كان معك أحد فدعه يتحرك خلفك والا فسوف
نطلق عليه النار فوراً .. وعليك ان تتقدم نحو الباب
.. وتفتحه فتحة صغيرة تكفي لمرورك الى الداخل ..
سامع !

وبعدات اتحرك خطوة خطوة .. وصعدت الدرجات
الثلاث المؤدية الى الباب .. وسمعت صوت فتح الملاج

والمتاريس .. ودفعت الباب قليلاً قليلاً إلى أن سمعت صوتاً يقول :

- يكفي هذا .. أدخل رأسك من فتحة الباب ..!
فأدخلت رأسى وأنا أشـك فى أنهـم سـوف يقطـعونـها ..!

ولكن على ضوء أحـدى الشـموع بالـداخل شـاهـدـتهم وـشـاهـدـونـي .. وـفـى خـلال رـبـع دـقـيقـة رـأـيتـهم جـمـيعـا ..
رأـيتـ رـجـلـاً ذـا شـعـر رـمـادي وـعـمرـه نـحـو سـتـين عـامـا ..
وـرـجـلـينـ آخـرـينـ فـى حـوـالـى الثـلـاثـينـ .. كـمـا رـأـيتـ سـيـدةـ جـمـيلـةـ ذاتـ شـعـر رـمـادي .. تـقـفـ خـلـفـها فـتـاتـانـ جـمـيلـتـانـ
فـى سنـ الشـبـابـ .. وـكـانـوا جـمـيعـا يـرـتـدونـ مـلـابـسـ فـاـخـرـةـ .. وـكـانـ الرـجـالـ يـصـوـبـونـ بـنـادـقـهـمـ نـحـوـ ..!

وقـالـ الرـجـلـ العـجـوزـ :

- لا بـاسـ .. لا بـاسـ .. أـدـخلـ !
وبـمـجرـدـ أنـ دـخـلتـ قـامـ بـاغـلاقـ الـبـابـ بـالـمـزـلاـجـ
وـمـتـارـيسـ مـرـةـ آخـرـى .. وـأـدـخلـونـى إـلـى حـجـرـةـ الـجـلوـسـ

وأخذوا يتفحصونى بدقه ٠٠ وقالوا جمیعاً اتنی لست
من عائلة شبردسون ٠٠ وعندئذ قال لي الجنلماں
العجز أن اعتبر نفسي كما لو كنت في بيتي ٠٠ وطلب
مني أن أخبرهم بقصتي ٠٠

**وهنا قالت السيدة الجميلة ذات الشعر
الرمادي :**

- ولم العجلة يا ساؤل ٠٠ ان الغلام المسكين مبتل
عن آخره ٠٠ وربما كان جائعاً ! ٠٠

- حقاً ياراشيل ٠٠ لقد نسيت ٠٠

فقالت السيدة :

- فلتذهب احدى البنات لايقاظ بوك ولتخبره
بأن ٠٠ ولكن ٠٠ أوه ٠٠ ما هو بوك بنفسه قد حضر
٠٠ من فضلك يا بوك ٠٠ خذ هذا الغريب الصغير وأعطيه
بعضاً من ثيابك !

وكان بوك هذا غلاماً في مثل عمري ٠٠ في نحو

الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة ٠٠ وقد جاء يتائب
ويدعك عينيه بيده ، ويجر بندقيته بيده الأخرى ٠٠

وتسائل بوك قاتلا :

- أليس هناك أحد من عائلة شبردسون ٠٠
فهز الرجل العجوز رأسه ٠٠ وصعدت مع بوك
إلى حجرته بالدور العلوي حيث أعطاني بعضًا من
ملابسها فارتديتها بعد أن خلعت ملابسي المبتلة ٠٠
وسألني بوك :

- كم من الوقت تنوى البقاء معنا ٠٠ أرجو أن
تبقى معنا بصفة مستديمة ٠٠ فسوف تقضي معاً أوقاتاً
حلوة طيبة ٠٠ فنحن الآن في الإجازة المدرسية ٠٠ هل
أنت موافق على ذلك ٠٠ إذن تعال ٠٠

وعندما هبطنا إلى الدور السفلي ٠٠ قدموا إلى
طعاماً لم أذق مثله في حياتي ٠٠ قدموا خبزاً مصنوعاً
من القمح ٠٠ وقطعة كبيرة من اللحم البقرى ٠٠ وزبدًا

٠٠ وسلطة لين ٠٠ وأخذوا جميعاً يوجهون إلى أسللة
كثيرة فاخترعت لهم قصة ٠٠ وقالوا لي أن في امكانى
ان أبقى معهم لأى مدة أراها ٠٠

ولأن الوقت قد أصبح متأخرا وأوشك النهار أن يطلع فقد توجهوا جميعا إلى غرف نومهم .. وشاركت بوك في غرفة نومه ..

ولكن عندما استيقظت في الصباح ، فوجئت بأنني قد نسيت اسمى الذى ادعيته بالأمس .. وعندما استيقظ يوم قلت له :

- هل تستطيع أن تهجم الكلمات بطريقة
صحيحة !؟ ٠٠

فقال عل الفور :

- طبعاً

٠٠ ابراهيم أنك لا تستطع أن تنهي اسني

- ازاهنک .. اني استطعيم .. فهجاء اسمك هو:

ج. و. در. ج. ج. ۱۰۰ ک. س. و. ن. ها ما رأيك؟

وهكذا كتبت هجاءه اسمى على ورقة .. حتى لا
الساه بعد ذلك .. وحتى أستطيع هجاءه اذا طلب أحد
مني أن أفعل ذلك .

كانت العائلة طيبة جداً وراقية .. وكان البيت
الذى يعيشون فيه بيتاً عظيماً له يد من النحاس اللامع
مثبتة على بابه الخارجى .. أما غرفة الجلوس فكانت
رحبة واسعة تتصدرها مدفأة ضخمة تسع جذع شجرة
بأكمله .. وفوق جدار المدفأة وضعت ساعة جميلة ذات
دقائق جميلة عندما تعمل .. وفي بعض الاحيان عندما
يقوم بتنظيفها أحد الساعاتية الذين يتجلبون في شوارع
المدن ليصلحوا الساعات ، فان الساعة كانت تدق عندما
مائة وخمسين دقة قبل أن تتوقف !

وكانت هناك بعض اللوحات الجميلة معلقة على
جدران غرفة الجلوس .. وقالوا لي ان هذه اللوحات
جميعها من رسم احدى بنات الأسرة التي ماتت منذ
فترة وكان عمرها لا يتجاوز خمسة عشر عاماً ..
وقد لفتت نظرى احدى اللوحات الكبيرة ..

وقد قالوا لي ان الفتاة قد ماتت قبل أن تنتهي من رسمها .. وكانت اللوحة عبارة عن فتاة شابة ترتدي ملابس بيضاء ، تقف على سور أحد الكباري متأهبة لالقاء نفسها في النهر .. وكان شعرها يتطاير خلف ظهرها .. وكانت تنظر بوجهها نحو القمر الساطع بينما الدموع تترقرق في عينيها ..

ـ الذي لفت نظري في تلك اللوحة ، أن الفتاة كان لها ذراعان مضمومتان الى صدرها .. وذراعان آخريان مفرودتان عن آخرها .. وذراعان تمتلان نحو القمر .. وكانت الفنانة تنوي اختيار أحد هذه الأوضاع على أن تقوم بمحو الأوضاع الأخرى للذراعين .. ولكن الفنانة قد ماتت قبل أن تقوم بهذا الاختيار .. والحقيقة أن الفتاة المرسومة في اللوحة كانت ذات وجه صبور جميل .. ولكن أذرعها الكثيرة جعلتها تبدو مثل العنكبوت .. !

ـ أما الكولونيل جرانجر فورد رب هذه الأسرة ، فقد كان « جنلتمن » بكل معانى الكلمة .. كان يبدو طويلا

ونحيفا ، وله وجه شاحب لوحته الشمس وحليق الذقن ،
وله شفتان رقيقتان في غاية الرقة ، كما تتدلى سوالقه
الرقيقة على خديه .. وله أنف دقيق يرتفع الى أعلى ،
و حاجبان كثيفا الشعر ، وعيان سوداوان عميقتان
تبدواان كما لو كانتا تطلان من كهف عميق غائر .. أما
شعر رأسه فقد كان مسترسلا حتى كتفيه .. وكانت
يداه طويلتين نحيفتين ..

وفي كل يوم كان الكولونيل يحرص على ارتداء
قميص نظيف وحلة نظيفة بيضاء يكاد بياضها الشاهق
يؤذى العينين .. وفي أيام الآحاد كان يرتدى حلة زرقاء
يتخلع معطفها بازار نحاسية صفراء .. ويمسك فى يده
دائما عصا أنيقة ذات مقبض من الفضة الخالصة .. وعلى
وجه العموم فقد كان الكولونيل من ذلك النوع من
الرجال الذى يخجل اليك أنك تعرفه ، وتشق فيه ..

اما الابن الاكبر بوب ، والابن الذى يليه توم ،
فقد كانا شابين متشابهين الى حد كبير .. كانوا طويلين
ولهما اكتاف عريضة ، ووجهان أسمران وشعر طويل

أسود وعيون سوداء .. وكانوا يرتديان حسلاً بيضاء
ناصعة البياض مثل أبيهما .. ويلبسان دائمًا قبعات
عريضة من النوع المعروف باسم قبعات بناما ..

أما الابنة الكبرى الآنسة شارلوت فقد كانت في
حوالى الخامسة والعشرين ، وتبعد جميلة طويلة ، فخوره
بنفسها ونديها احساس جارف بالعظمية ، وإذا غضبت
من شيء فانها تطلق من عينيها نظرات ثاقبة يمكن أن
تجمدك في مكانك إذا وجهتها اليك ..

أما اختها الصغرى الآنسة صوفيا فكانت في حوالى
العشرين ، وجميلة مثل اختها .. ولكن جمالها كان من
النوع اللطيف الرقيق الذي يفيض حلاوة وعدوبه ..

وكان للأسرة أبناء ثلاثة آخرون ، ولكنهم قتلوا
جميعاً واحداً بعد الآخر .. كما كانت هناك أيضاً الابنة
أميلين التي توفيت ..

وكانت الأسرة تمتلك مزارع واسعة ولديها أكثر
من مائة خادم .. وفي كثير من الأحيان كان بعض أقارب

الاسرة يحضرون على ظهور الخيل ، قادمين من المناطق المجاورة التي لا تبعد أكثر من عشرة أميال أو خمسة عشر ميلاً ..

وكان هؤلاء الاقارب يقيمون ندى الأسرة نحو خمسة أو ستة أيام .. يعقدون خلالها حفلات مرحة قرب شاطئ النهر ، أو يتناولون الفداء في الغابات القريبة ، ويقيمون حفلات الرقص في البيت في كل مساء .. وقد لاحظت أن جميع الرجال كانوا يحملون بنادقهم في جميع الأحوال .. حقاً لقد كانت أسرة عظيمة !

وكانت هناك نحو خمس أو ست أسرات من الطبقة العليا تعيش في المناطق المجاورة .. وكانت أهمها أسرة شبردسون ، وهي أسرة عظيمة واسعة الشراة مثل أسرة جرانجرفورد .. وقد شاهدت بعض أفراد من تلك الأسرة وهم يركبون الباخر مع أفراد آخرين من أسرة جرانجرفورد ..

وفي أحد الأيام ، بينما كنا أنا وبوك نقوم بالصيد

في احدى الغابات القرية .. سمعنا وقع حوافر أحد
الخيول قرب الطريق .. وهنا قال بوك بسرعة :

ـ هيا .. فلنختبئ في الغابة فورا .. !

واختبأنا .. وأخذنا نراقب الطريق بحذر ..
وشاهدنا فتى أنيقا يمتطي ظهر حصانه وكان يحمل
بندقية .. وأخبرني بوك أن هذا الفتى هو هارنى
شبردسون .. وبعد فترة قصيرة أطلق بوك بندقيته
فطارت قبعة هارنى وسقطت على الأرض دون أن يصبه
أذى ..

وعلى الفور انطلق هارنى نحو المكان الذى اختبأنا
فيه .. ولكننا أسرعنا بالفرار .. ولأن الغابة لم تكن
كثيفة ، وحتى أتعاشى الاصابة ، كنت أنظر خلفي بين
حين وآخر ، وشاهدت هارنى وهو يطلق الرصاص مررتين
نحو بوك .. ثم استدار أخيرا وانصرف ، ولكننا مع
ذلك واصلنا الجري ولم نتوقف الا بعد أن وصلنا إلى
البيت ..

وبعد أن قام بوك بأخبار الأسرة بقصة اطلاق
الرصاص على هارنى شبردسون ، ظهرت بعض ملامح
الشروع على وجه الأب .. ولكنها قال بهذه :

— أنا لا أحب اطلاق الرصاص من وراء الظهر ..
لماذا لم تقدم إليه وتواجهه وجهاً لوجه ؟

فقال بوك :

— إن عائلة شبردسون تطلق النار من وراء
ظهورنا يا أبي .. وهم بذلك يحصلون على أفضل
فرصة .

وكانَتِ الآنسة شارلوت تسمع هذه الحكاية وقد
رفعت رأسها إلى أعلى وتبعد مثل الملكة .. أما الابناء
الكبيران فلم يقولا شيئاً .. وقد لاحظت أن وجهه
الآنسة صوفيا قد أصبح شاحباً وهي تسمع هذه القصة
.. ولكن وجهها عاد إلى لونه الطبيعي بعد أن علمت أن
هارنى شبردسون لم يصب بسوء !

وعندما أصبحنا وحدنا .. أنا وبوك .. سالته :

- هل كنت تريده أن تقتله حقاً يا بوك ؟ ..

- طبعاً .. !

- ولماذا كنت تريده أن تقتله .. هل فعل ضدك شيئاً أغضبك ؟ ..

- هو ؟ .. انه لم يفعل شيئاً ..

- اذن .. لماذا تقتله .. ؟ ..

- بسبب الثأر !

- الثأر ؟ .. ما هو الثأر ؟ ..

- آه .. نفرض أن هناك رجلاً تشاجر مع رجل آخر وقتله .. فيقوم أخو القتيل بقتل القاتل .. ثم يبدأ الآخوة وأبناء العمومة من كلا الطرفين في قتل بعضهم بعضاً .. واحداً وراء الآخر .. وهكذا يظل الثأر بينهم حتى يقتل الجميع .. وعندئذ يتعمى الثأر .. ولكن ذلك يستغرق وقتاً طويلاً .. !

- ومتى بدأ الثار بينكم وبين عائلة شبردسون
يا بوك ؟

- بدأ منذ مدة طويلة .. منذ نحو ثلاثةين عاما ..
كانت هناك مشكلة تتعلق بشيء ما .. ورفعت بشأن
تلك المشكلة دعوى قضائية أمام المحكمة .. وبطبيعة
الحال فقد حكمت المحكمة لصالح أحد الطرفين
المتخاصمين .. فقام الطرف الذي خسر القضية بقتل
الطرف الذي كسبها .. وهذا أمر طبيعي .. وهذا
بدأ الثار بين الطرفين ..

- ولكن من هو الطرف الذي بدأ القتل .. هل
هو من عائلتكم أم من عائلة شبردسون ؟

- لا أدرى .. ولكنني أظن أن أبي يعرف ذلك ..
كما يعرفه بعض كبار الأسرتين .. ولكنهم جميعا
لا يعرفون ما هو أصل المشكلة التي حدثت في
البداية .. !

- وهل قتل رجال كثيرون ؟

- نعم .. ولكن البعض كانوا يقتلون من القتل

٠٠ فقد أصيب أبي بعده طلقات ٠٠ كما طعن بوب
بسكين ٠٠ كذلك فقد أصيب توم مرة أو مرتين ٠٠
ـ وهل حدث قتل في هذه السنة ٠٠ ؟
ـ نعم ٠٠ قتل واحد من عندنا ٠٠ وواحد من
عندهم !

وفي صباح يوم الأحد التالي ٠٠ ذهبنا جميعا إلى
الكنيسة التي تبعد نحو ثلاثة أميال عن البيت ٠٠ وكنا
جميعا نمتطي ظهور الخيل ٠٠ وعندما جلسنا بقاعة
الكنيسة كان الرجال يضعون بنادقهم بين أرجلهم أو
يسندونها على الحائط بجانبهم ٠٠ وكذلك فعل جميع
الرجال الآخرين من عائلة شبردسون ٠٠

وعندما عدنا إلى البيت تناولنا القداء ٠٠ وبعد
نحو ساعة بدأ الجميع ين逡ون ويرغبون في النوم ٠٠
واستلقى بوك على أعشاب الحديقة وببدأ ينام بجوار
الكلب الذي كان مستلقيا هو الآخر على العشب ٠^١
وصعدت إلى الغرفة المعلوية لاستريح قليلا ٠٠

وهناك فوجئت بوجود الآنسة صوفيا التي سالتني
مامسة اذا كنت استطيع ان اتسلل بهدوء ودون ان
أخبر أحدا ، وأذهب الى الكنيسة لاحضر كتاب الصلاة
الخاص بها ، والذى نسيته على المبعد الذى كانت تجلس
عليه .. فاجبتها بأنى استطيع ذلك بالطبع .. وذهبت
الى الكنيسة ..

والحقيقة أنى بدأت أشك فى الأمر ، وقلت لنفسى
انه ليس من الطبيعي أن تهتم احدى الفتيات بكتاب
صلواتها على مثل هذا النحو .. وعندما عثرت على
الكتاب تصفحته بسرعة ، فوجدت بين صفحاته ورقة
صغيرة كتب عليها بالقلم الرصاص : « الساعة الثانية
والنصف » .. ولم استطع أن أستنتاج شيئا ..
فوضعت الورقة فى مكانها بين صفحات الكتاب ..

وفور عودتى الى البيت ، صعدت الى المجنرة
العلوية ، فوجدت الآنسة صوفيا فى انتظارى .. وأخذت
الكتاب وقرأت الورقة فلمعت عيناه بسرور ، وقالت

لـ انى أحسن ولـ فى هذا العالم .. وـ ان عـلـ أن
احتفظ بـهـذا السـر ولا أـخـبـرـ بهـ أحدـا ..

وبـعـدـ ذـكـ غـادـرـتـ الـبـيـتـ وأـخـذـتـ أـتـمـشـىـ عـلـ
شـاطـئـ النـهـرـ وـأـنـاـ أـقـلـبـ هـذـاـ المـوـضـوعـ الفـرـيـبـ فـى
ذـعـنـى .. وـلـكـنـىـ لـاحـظـتـ أـنـ جـاكـ الخـادـمـ الزـنـجـىـ الخـاصـ
بـبـوكـ كـانـ يـتـبعـنـى .. وـعـنـدـمـاـ اـبـتـعـدـتـ عـنـ الـبـيـتـ كـثـيرـاـ
لـاحـظـتـ أـنـ جـاكـ قـدـ بـدـأـ يـجـرـىـ نـحـوىـ ،ـ وـقـالـ بـأـنـفـاسـ
لـاهـنةـ :

ـ سـيـدىـ مـسـتـرـ جـورـجـ .. اـذـاـ جـشـتـ معـى ..
سـارـيـكـ مـكـانـاـ تـكـشـرـ بـهـ تـعـابـينـ السـمـكـ ! ..

وـسـرـتـ مـعـهـ نـحـوـ مـيـلـ أوـ أـكـثـرـ فـىـ مـنـطـقـةـ تـكـشـرـ
فـيـهاـ الـغـرـ العـمـيقـةـ الـمـلـوـءـ بـالـطـيـنـ .. إـلـىـ أـنـ وـصـلـنـاـ إـلـىـ
رـقـعـةـ مـسـطـحـةـ مـنـ الـأـرـضـ الـجـافـةـ مـلـوـءـ بـأـشـجارـ وـشـجـيرـاتـ
وـأـعـشـابـ كـثـيـفـةـ .. وـهـنـاـ قـالـ جـاكـ :

ـ مـسـتـرـ جـورـجـ .. اـذـاـ دـخـلـتـ بـيـنـ هـنـهـ الـأـعـشـابـ
فـسـوـفـ تـجـدـ مـاـ أـخـبـرـتـكـ بـهـ ! ..

وانصرف جاك عائدا الى البيت .. ودخلت على الفور بين تلك الأعشاب .. وعلى مسافة قريبة رأيت مساحة صغيرة مستوية من الأرض ورجلان نائمان .. وفوجئت بأن هذا الرجل النائم هو جيم العجوز بنفسه !!

وأيقظته وأنا على اعتقاد بأن رؤيته لي ستسبب له دهشة كبيرة .. ولكنه صاح فرحا واستقبلنى بسرور عظيم .. ولكنه لم يندهش .. بل بدا وكأنه كان ينتظر حضوري !!

ثم بدأ يحكى الحكاية :

— لقد سبحت خلفك في تلك الليلة .. وسمعتك وأنت تنادى على عدة مرات .. ولكنى لم أستطع أن أجيب حتى لا يقبض على أحد .. ولقد أصبحت اصابة بسيطة ولكنها جعلتني أسبع ببطء .. واعتقدت أننى

سأستطيع اللحاق بك عند الشاطئ .. وتبعدتك
ورأيتك تدخل الى البيت .. فاختبأت في الغابة القريبة
حتى الصباح .. وأنظرتك .. ودلتني بعض العمال
الزراعيين على هذا المكان الذي أختبئ فيه الآن ..
وكانوا يحضرون الى الطعام كل ليلة .. وكانوا
يخبرونني بأحوالك بصفة مستمرة .. !

وعنا سالته مندهشا :

- ولكن لماذا لم تطلب من جاك أن أحضر إليك
فورا ؟ ..

فقال بهدوء :

- كنت لا أريد أن أعكر صفوكم .. كما كان من
الضروري أن يمر وقت كاف لتصبح مستعدين تماماً ..
والآن أصبحنا مستعدين .. فقد اشتريت بعض الطعام
وأدوية ومقلة .. كما أصلحت الطرف الذي ..

- طوف .. اي طوف يا جيم !٩٠٠

- طوفنا القديم .. !

- طوفنا ؟! هل تقصد انه لم يتحطم وما زال
سلينا !٩٠٠

- نعم .. لقد حدثت بعض التلفيات البسيطة فى
مؤخرته فأصلحتها .. رغم أننا قد فقدنا جميع
 حاجياتنا فى هذا الحادث ..

- ولكن كيف عثرت على الطوف مرة أخرى ؟ ..

- لقد عثر عليه بعض الزنوج وخياؤه فى مكان
بالنهر تكثر به الأعشاب بالقرب، من الشاطئ ..

لا أريد أن أطيل الحديث عما حدث فى اليوم التالى ..
ولكن عندما استيقظت فى الصباح .. لاحظت
أن بوك قد سبقنى فى الاستيقاظ وخرج .. وعندما
مبعدت الى الدور الس资料 لاحظت أن البيت كان ساكنا
 تماما ولم أر أحدا .. لقد اختفى الجميع .. !

وقرب كومة من الأخشاب في الفناء الخارجى
رأيت جاك واقفا فسألته :

ـ ماذا جرى يا جاك ؟

فقال جاك في اهتمام :

ـ لقد هربت الآنسة صوفيا يا مسiter جورج ..
هربت لتتزوج من الشاب هارنى شبرادسون .. وقد
اكتشفت الأسرة هربها منذ نصف ساعة فقط .. فركب
الجميع خيولهم وأخذوا بنادقهم وانطلقوا .. وذهبت
السيدات لتحريض أقارب الأسرة .. أما مسيدى
الكولونيل فقد ذهب ومعه ابنه إلى شاطئ النهر
ليتبعقوها هارنى شبرادسون ويقتلونه قبل أن يعبر النهر ..
ومعه الآنسة صوفيا ..

وأسرعت بالذهاب إلى شاطئ النهر .. وهنالك
سمعت طلقات الرصاص .. فاعتليت كومة كبيرة من
جذوع الأشجار المقطوعة كانت موجودة في مكان قريب
من مرسى الباخر وأخذت أراقب ما يحدث ..

كانت هناك مجموعة من نحو أربعة أو خمسة رجال يركبون الحيل ويريدون الهجوم على شابين صغيرين كانوا يختفيان وراء كومة من الاخشاب مواجهة لمرسى البواخر . وكان الشابان جالسين على الأرض ظهرا لظهر ليربما الطريق من ناحيته ..

وتسقط راكبو الحيوان لحظة ، ثم استداروا ليهمجا على كومة الاخشاب من الجهة الخلفية ولكن أحد الشابين نهض واقفا وصوب بندقيته نحو الرجال وأطلقها ، فسقط أحد الرجال المهاجمين من فوق حصانه .. ونزل الرجال الآخرون من فوق ظهور خيولهم وحملوا الرجل المصابة إلى مكان ما خلف أحد المخازن .

وفي هذه اللحظة انطلق الشابان وأخذَا يجريان نحو كومة الحشائش التي أعلوها .. واحتبا خلفها .. ومن هذا المكان أصبح الشابان في وضع أفضل من قبل .. وكان أحدهما هو بوك .. أما الشاب الآخر فقد كان في حوالي التاسعة عشرة من عمره ..

وانطلق الرجال المهاجمون بخيولهم الى أن اختفوا
عن نظري .. وعندئذ ناديت على بوك الذى انهى
كثيرا لسماع صوتي من أعلى الكومة ثم طلب منى أن
أرقب الطريق من مكانى المرتفع ، وأن انبهه اذا عاد
الرجال مرة أخرى ..

فى حقيقة الأمر كنت أريد أن أنزل من فوق كومة
جذوع الاشجار ، وأذهب الى أي مكان آخر ، ولكننى
لم أعد الآن أستطيع ذلك .. وسألت بوك عما جرى
لهارنى والأنسة صوفيا .. فأخبرنى بأنهما أفلتا وعبرا
آمنين الى الشاطئ الآخر .. وقد فرحت لسماع هذا
النبا .. ولكن بوك أخذ يلعن اليوم الذى تمكן فيه
من اطلاق النار على هارنى ولم يصبه ..

وفجأة .. بوم بوم بوم ! ..

انطلقت ثلاث أو أربع بنادق .. وظهر الرجال وهم
يمشون على أقدامهم بدون خيول قادمين من ناحية
الثابة .. لقد أصبعوا في مواجهة الشابين تماما ..
وهنا اندفع الشابان وقفزا الى التهر ، فانطلق نحوهما

الرجال المهاجمون وهم يطلقون الرصاص ويصيرون :
اقتلوهما .. اقتلوهما ..

وقد أصابتني تلك المفاجأة بالدوخة .. حتى كدت
أسقط من فوق الكومة .. ولكنني تماسكت بعصوبية
.. وبقيت في موقعى هذا خائفا دون حركة حتى حل
ظلام الليل .. وكنت أفكر في أنى الملوم في كل
ما حدث .. وأصبحت بحالة من البؤس .. وقررت الا
أعود مرة أخرى إلى بيت هذه الأسرة .. وأخذت ألم
نفسى .. ألم يكن من الواجب أن أخبر الأب بأمر تلك
الورقة التي وضعت بين صفحات كتاب الصلاة ..
ويأمر هذا الطلب الغريب الذي طلبته مني ابنته ..
إنه كان على الأقل سيصبح قادرا على أن يغلق عليها
الباب ويمتنعها من الفرار .. ويمتنع بالتالي حدوث
تلك المصيبة وكل تلك المتاعب ..؟!

وعندما هبطت في العlam من فسوق الكومة ..
أخذت أزحف بحذر نحو الشاطئ .. ورأيت جندي
الشابين منبطعين في المياه الضحلة قرب الشاطئ ..

فسحبتهما الى الأرض حتى لا يجرفهما التيار ..
وبكيت عندما كنت أغطى وجه بوك .. لقد كان فتى
طيباً وعاملنى بكل لطف ..

ووسط الظلام الحالك .. أخذت طريقى الى المكان
الذى يختبئ فيه جيم .. ولكنى لم اعثر له على اثر
.. فاسرعت الى المكان الذى خبانا فيه الطوف وأنا
مشتاق تماماً الى أن ألقى بنفسى فوق ظهره وأغادر هذا
المكان الغظيع بلا رجمة .. ولكنى فوجئت بأن الطوف
قد اختفى .. وعندئذ انتابنى الخوف والفزع وكدت
أبكي ..

ولكنى سمعت صوتاً يقول :

- حمداً لله .. هانت ذا يا صديقى مرة أخرى .

لقد كان صوت جيم .. يأتي من الماء قرب
شاطئ النهر .. فاندفعت نحو الشاطئ بسرعة ،
والقيت بنفسى فوق ظهر الطوف .. وأخذنى جيم بين
أحضانه وهو يربت على ظهرى ويقول :

- باركك الله يابني .. لقد كنت أهلاً أنك
قتلت مرة أخرى .. وكنت أقلع بالطوف منذ لحظة ..
متوجهًا صوب مصب النهر .. وكنت عسل استعداد
للاقلاع بمجرد وصول جاك ليوكد لي إنك قد قتلت
فعلاً .. ولكن حمداً لله .. كم أنا مسرور بعودتك
سالماً يا صديقى العزيز ..

ومع ذلك فلم أشعر بالاطمئنان إلا بعد أن أصبحنا
في وسط النهر وعلى بعد نحو ميلين من ذلك المكان
الفظيع ..

وعلقنا مصباحنا المضيء فوق عمود الطوف ..
وانطلقنا مع التيار ونحن نشعر بأننا قد استعدنا
حريتنا مرة أخرى وأصبحنا أكثر أمناً ..

ولم أكن قد تناولت أي طعام منذ الامس ..
فقام جيم وأعد لنا عشاء طيباً .. وكم أصبحت
مسروراً بتخلصي نهايياً من مشاكل الشار .. وتخلص

جيم أيضا من الاختباء فى الطين .. وخذنا نقول
لأنفسنا : ليس هناك مكان فى العالم .. أفضل من
ركوب الطوف .. حيث نشعر بالحرية والبساطة
والراحة !!

الفصل الثامن

اثنان من الأوغاد !

ومرت ليتان أو ثلاثة ليال .. وكان الوقت يمر
لطيقا كمر السحاب .. كله هدوء ولطف وسعادة ..
وكان مجرا النهر يتسع في بعض المناطق حتى يبلغ
نحو الميل ونصف الميل في الاتساع ..

كنا نقلع بالطوف بمجرد أن يبدأ الظلام ..
وقبل طلوع الفجر بقليل ، كنا نرسو بالطوف في أية
منطقة رملية قرب الشاطئ .. ثم نخفيه عن الانظار
بعض الاشجار وفروع الشجر .. وبعد ذلك ننصب

الستانير لاصطياد الأسماك ، ونتركها تؤدى دورها
دون أن نبذل من جانبنا أى تعب أو عناء ..

ونبدأ بعدها في السباحة لنرروح عن أنفسنا
ونغسل متابعنا في ماء النهر . ولنراقب قرص
الشمس وهو يشرق في الأفق .. ونتمتع بالنسيم
الذى يهب بلطف ونعمه .. والهواء النقى البديع
الذى يحمل الى أنوفنا رائحة الزهور وأشجار
الغابات ..

ثم نشعل نارا صغيرة لا تلفت النظر ، نطهو
عليها بعض الأسماك التي اصطادتها الستانير ،
وتنتناول افطارا شهيما ساخنا .. ثم تجلس لتأمل في
صمت النهر ووحدته .. وفي المساحات الشاسعة
المترامية على مدى البصر .. الى أن يتسلل الى عيوننا
النعاس فننام .. ثم نستيقظ فترة ونواصل بعدها
النوم من جديد ..

وعندما يحل ظلام الليل .. نشرع في الاقلاع
بالطوف مرة أخرى .. وعندما يصبح الطوف في
منتصف النهر تماماً تتركه يسبح في حرية مع التيار
.. ونبداً في التدخين ونعن ندى أرجلنا في ماء
النهر ، ونتحدث طويلاً في جميع أنواع الموضوعات
وعن جميع أنواع الأشياء .. وأحياناً كنا نتخيل أن
النهر قد أصبح ملائكة لزمن طويل قادم .. وأحياناً
أخرى كنا نشاهد باخرة أو باخرتين تغمران عباب
النهر قربنا ..

وفي صباح أحد الأيام ، عثرت على قارب فركبته
واخذت أجده نحو مكان آخر من الشاطئ، آملاً في
العثور على بعض أشجار التوت لأجمع منها بعض
الثمار ..

وفجأة رأيت رجلين يجريان نحوى وقد تقطعت
أنفاسهما من شدة التعب . وتوسل إلى الرجلان لكي
أنقذ حياتهما .. وأخبراني أن الناس والكلاب

قادمون خلفهما ويتعقبون أثراهما .. فاركبتهما
بالقارب ، وجدفت نحو الطوف ..

كان الرجل الأول عجوزا في نحو السبعين من
عمره ، له سوالف كثيفة من الشعر الأشيب .. بينما
كان رأسه خاليا من الشعر على الاطلاق .. أما الرجل
الثاني فقد كان شابا في نحو الثلاثين .. وكان كل
منهما يحمل معه حقائب كبيرة ..

وسمعت حديثا غريبا دار بين الرجلين .. فقد
قال العجوز ذو السوالف البيضاء لزميله :

- ما هي قصتك .. وما هو سبب متابعتك !؟

فأجاب الشاب :

- كنت أبيع مادة أدعى أنها تنظف القذارة
المتراءكة على الأسنان وتنزع تسوسها .. ولكن هذه
المادة وان كانت تنظف صدأ الأسنان فعلا ، الا أنها
كانت تمحو السطح الخارجي للأسنان أيضا وتسبب

بعض الالم .. ويظهر أننى قد بقىت فى ذلك المكان
أكثر من الوقت المناسب .. وعندما اكتشفوا أمر تلك
المادة بدأوا يطاردوننى ، فجريت الى أن صادفتك عند
الناصية وأنت تجرى أيضا .. وأخبرتى أنهم قادمون
من تلك الناحية وقلت لنفسي لنجرى معا .. هذه هي
قصتي .. والآن .. ما هي قصتك أنت .. ١٩

لقال العجوز ذو السوالف البيضاء :

- لقد جئت الى ذلك المكان منذ حوالي اسبوع ..
وفى كل ليلة كنت أعقد للناس محاضرة ضد التمر
والمسكرات وأبين للناس مضارها وآثارها السيئة ..
ونظير ذلك كنت أحصل على ستة دولارات فى كل
محاضرة .. ثم انتشر بين هؤلاء الناس خبر يؤكد لهم
أننى أشرب التمر سرا .. وفى صباح هذا اليوم ،
يقطننى أحد الزنوج وأخبرنى أن الناس سوف
يقبضون على ويجرسوننى .. وسوف يدهنون جسمى
بالزفت ويفعلوونى بريش الطيور ليسخروا منى فى

جميع أنحاء القرية .. لذلك فقد شرعت في الهرب
والفرار فورا ، دون أن أنتظر حتى لتناول انطاري ..
رغم أنني كنت ومازلت حائلا حتى الآن .. !

وهنا قال الشاب :

- أيها الرجل العجوز .. لا بد أن نضم قواتنا
ونعمل سويا .. !

فتساءل ذو السوالف :

- ولكن ما هو عملك الأساسي .. ؟
- مطبعجي .. وأحياناً أعمل كطبيب يداوى
الجروح والأمراض .. أو مثل ، أو أقوم بتدريس
الفناء والجغرافيا .. وللتغيير كنت أقوم في بعض
الأحيان بالقاء الخطب والأحاديث في أي موضوع من
الموضوعات وبمقابل معقول .. وأنت .. ما هو عملك
الأساسي .. ؟

فقال العجوز :

- آه .. أحياناً كنت أعمل كطبيب لمداواة جميع أنواع الأمراض .. وأستطيع أن أتنبأ بالبخت وأرى الطالع اذا وجدت شخصاً يعمل معن في هذا المجال ليزودني سراً بالمعلومات التي يمكنه تجسيدها .. وفي أحيان كثيرة كنت أعمل في القاء الخطب والمواعظ !

وبعد فترة قصيرة ساد فيها الصمت .. تنهى الشاب بعمق وقال :

- خلاص .. لقد ضاع كل شيء .. !

فتساءل الرجل العجوز :

- لماذا .. وما هذا الشيء الذي ضاع منك ؟ ..

فقال الشاب وهو يمسح طرف احدي عينيه بخرقة بالية :

- انى افكر فيما آلت اليه أحوالى .. ومهنة الحياة البائسة التي كتب على أن أحياناً .. لقد أخذت

منى الدنيا كل شئ .. أخذت أحبابي .. أخذت
ممتلكاتي .. أخذت كل شئ .. كل شئ .. ولكنها
لن تستطيع أن تأخذ مني قبرى .. ففى يوم ما سارقد
في هذا القبر ومعى قلبي المحطم المسكين .. ولكنى
سامسح من كل هذه المتاعب .. !

فقال الرجل العجوز بغضب :

- ولماذا تلقى علينا بهمومك هذه .. اتنا لم
نصنع لك شيئاً يسيئك .. !

- نعم أعرف أنكم لم تصنعوا شيئاً ضدى ..
وأننى السبب فى كل المتاعب التى جررتها على نفسى
.. انكم لن تصدقوا ما سوف أقول .. اذا أخبرتكم
بسر عراقة مولدى .. !

- سر عراقة مولدك .. ما هو هذا السر .. ?

فقال الشاب بوقار شديد لا يخلو من الاحساس
بالعظمة :

- أيها السادة .. سأخبركم بحقيقة أمرى ..
فأنا أحمل لقب دوق بحكم القانون ..

وكدنا نسقط أنا وجيئ على سطح الطوف من
شدة الدهشة .. وواصل الشاب حديثه قائلا :

- نعم .. أيها السادة .. نعم .. فان جدى
الاكبر كان الابن البكر الاكبر لدوق بريديج ووتر ..
ولقد جاء جدى الى هذه البلاد فى اواخر القرن الماضى
يتنفس نسميم الحرية .. وتزوج هنا .. وأنجب ابنا
.. ثم مات .. وفي الوقت نفسه مات أبوه الدوق فى
انجلترا .. ولكن الابن الأصغر لهذا الدوق استولى
بطريقة غير شرعية على لقب الدوق وعلى جميع ممتلكاته
.. دون أن يضع أحد فى الاعتبار أى حقوق لابن
جدى الأكبر الذى يعتبر بحكم القانون صاحب الحق
الأول فى ميراث الممتلكات واللقب .. وأنا ايها
السادة .. الابن الأكبر لهذا الابن .. ومن حقى
شرعًا أن أحمل لقب دوق بريديج ووتر .. ومع هذا
كله .. فهأنذا امامكم الآن وقد سلب مني الحق فى

حمل هذا اللقب الرفيع .. وأعيش حياة لا تتناسب
مع مقامي .. حيث يطاردنى الناس ويلعنونى ..
أرتدى أسمالا ممزقة .. كسير القلب .. مضطرا إلى
مصالحة بعض المجرمين على هذا الطوف الحقير ..!
وأخذنا أنا وجيم نحاول تهدئته وتطييب خاطره
ونعلن أننا على استعداد لتقديم أية مساعدة له في
محنته .. ولكنه قال لنا :

ـ وما فائدة هذا كله .. ومع ذلك اذا أردتم أن
تطييبوا خاطرى فعلا .. فيجب ان تعرفوا بي كدوق
شرعى .. واذا خاطببى احدكم ، فليقل لي يا سعادة
اللورد .. او يا صاحب السعادة .. وأن ينصحنى
امامى باحترام .. وأن يكون أحدكم فى خدمتى حين
أتناول طعامى .. وينفذ ما أطلبه منه من طلبات
بسقطة ..

وقد رأينا أن كل هذه الطلبات سهلة ، فوافقنا
عليها وبدأنا نعامله على هذا الأساس .. ولكن يبدو
أن الرجل العجوز لم يكن مستريحا إلى هذا المركز

الرفيع الذى حصل عليه زميله الشاب .. فجلعن يفكـر
فى الأمر ، ولكنـه ظل صامتا ..

وبعد الظهر اقترب العجوز من الشاب وقال له
بهدوء :

— لقد أسفت لحالك يا دوق بريـدج ووتر ..
ومع ذلك فـانت لـست الشخص الوحـيد الذى سـلبـتـ
منـه مـمتلكـاتـه وـحقـوقـه وأـلقـابـه الرـفـيـعـة ..

وبـدأـ الرـجـلـ العـجوـزـ فـىـ البـكـاءـ وـسـالتـ الدـمـوعـ
منـ عـيـنـيه .. وـمعـ ذـلـكـ فـقـدـ واـصـلـ حـدـيـثـهـ وـهـوـ يـتـبـهـ
ويـثـنـ بـصـوتـ خـفـيفـ :

— دـوقـ بـريـدـجـ وـوـترـ .. هـلـ يـكـنـتـنـىـ آـنـقـ
فـيـكـ !؟ ..

فـقـالـ الدـوقـ :

— بلا شـكـ .. بلا شـكـ !

- إذن . . . دوق بريديج ووتر . . . أني اعترف
لك باني المرحوم « دوفين » (١) . . .

وأخذنا أنا وجيم نحملق في الرجل العجوز
بدهشة شديدة . . . وانتفض الدوق متسائلاً :

- أنت . . . من؟ !

وقال الرجل العجوز وهو يفكك دموع عينيه :

- نعم يا صديقي العزيز . . . انك ترى الآن أمامك
« دوفين » الابن الأكبر للويس السادس عشر ومارى
الطوانيت والذي قيل انه اختفى . . . أنا لويس السابع
عشر ملك فرنسا . . . شرعاً وقانوناً . . .

ولم تدر أنا وجيم ماذا نصنع أمام هذا الملك
الجديد . . . ولكننا أخذنا نطيب خاطره ونبدي له بعض
الحزن على حاله . . . واستعدادنا لمعاونته . . . فقال

(١) دوفين : هو اللقب الرسمي الذي يمنع للأبن البكر لملك
فرنسا .

بتواضع شديد انه سيستریح لو عاملناه طبقا لحقوقه
الملكية الشرعية .. وأن علينا أن نركع أمامه عندما
نحدثه .. وأن نناديه بلقب « صاحب الجلالة » ..
وأن نبقى في خدمته لتلبية طلباته أثناء تناوله
للطعام .. ولا يجلس أحدنا في حضوره الا اذا سمح
لنا بالجلوس ..

ومكذا قبلنا أناوجيم أن نعامل الملك بهذه
الطريقة .. وقد لاحظت أن الدوق قد بدأ يشعر
بالمرارة لحصول الرجل العجوز على مركز أعلى من
مركزه ، وتفوقه عليه بهذا الشكل الساحق ..

وبعد لحظات ، قال الملك المدوق :

- دوق بريديج ووتر .. فلتتمد يدك لانتصاف
ولنبيدا صداقه مخلصة !

وفرحتنا أنا وجيم بأن السلام قد بدأ يرفرف على
الطفوف ومن فيه ..

وبطبيعة الحال لم يمض وقت طويل حتى تبين
لي أن هذين الكذابين ليسا من الملوك ولا الدوقيات ..
وما هنا إلا اثنين من النصابين الأوغاد .. ومع ذلك فلم
 أقل شيئاً لعدم أهمية هذا الموضوع .. فإذا كان
هذا الوغدان يريدان أن نعاملهما معاملة الملوك
والدوقيات ، فلا مانع لدينا في ذلك .. مادامت هذه
المعاملة مستحقة السلام والولئام بيننا جميعاً !

الفصل التاسع

الوغدان .. على المسرح !

وبدا الملك والدوق يوجهان اليها الكثير من الاستئلة .. لماذا نقلع في ظلام الليل ونخفي الطوف اثناء النهار ؟ .. وهل جيم عبد هارب ؟ .. ولكنهما مع ذلك لم ييديا اهتماماً كبيراً بالاجابات .. وبعد أن تناولنا طعام الافطار قال الدوق للملك :

- هل قمت بالتمثيل يوماً في المسرح الملكي !؟

فقال الملك :

- لا .. أبداً !

- اذن .. فسوف تشتراك معى فى التمثيل ..
وعندما نصل الى أول مدينة صغيرة قادمة .. سنقوم
باستئجار احدى القاعات لنقدم على مسرحها مشهد
المبارزة بالسيوف من مسرحية ريتشارد الثالث ،
ومشهد المناجاة فى البلكونة من مسرحية روميو
وجولييت لشيكسبير ..

- انى لا اعرف اي شى عن فن التمثيل يا دوق
بريدج ووتر .. فهل يمكنك ان تقوم بتعليمى
وتدرىبي !؟ ..

- طبعا .. وبكل سهولة ..

- اذن .. فلنبدأ الآن .. فانا جاهز !

وهنا قال الدوق انه سيمثل دور روميو ..
 وسيقوم الملك العجوز بتمثيل دور جولييت ! .. فقال
الملك متربدا :

- ولكن يا سعادة الدوق .. ان جولييت كانت
شابة صغيرة .. وأنا عجوز أصلع بلا شعر في رأسي

٠٠ وسوالفى الكبيرة من الشعر الأبيض الشائب تغطى
خدى ٠٠ ألن ييدو ذلك غريباً وأنا أقوم بدور
جولييت ١٩ ٠٠

فقال الدوق بلا تردد :

— هذا لا يهم على الاطلاق ٠٠ فهو لاء الفلاحون
البسيطاء لا يفكرون في شيء من ذلك ٠٠ بالإضافة إلى
أنك سترتدى ملابس أخرى وستضع على وجهك بعض
المكياج والألوان والمساحيق ٠٠ كل ذلك سيجعلك من
عالم مختلف ٠٠ !

وأخرج الدوق من حقيبته بعض ملابس التمثيل
والأدوات المسرحية التي قال عنها أنها الدروع التي
سيستخدمها ريتشارد الثالث وزميله في المبارزة ٠٠
كما أخرج فستاننا للسهرة مصنوعاً من قماش قطني
 أبيض ٠٠ وقبعة سهرة مناسبة لهذا الفستان ٠٠

واقتنع الملك بكل ذلك ٠٠ وهنا أخرج الدوق
كتاباً ٠٠ وبدا يقرأ منه نص المشاهد المطلوبة ٠٠

وأندمج في التمثيل . . فأخذ يقفز ويتحرك من مكان إلى آخر . . وينجذب ويغدو ليبيان الطريقة الصحيحة التي يلقى بها الحوار بكثير من العظمة والبالغة . .

وبعد أن فرغ من ذلك . . أعطى الكتاب للملك ، وطلب منه أن يقرأ أجزاء الحوار الخامسة به وأن يحفظها عن ظهر قلب . .

ومررنا على أحدى المدن الصغيرة ، فطلب منها الدوق أن تتوقف وتنتظره حتى ينتهي من أداء بعض الأعمال العاجلة . .

وعندما عاد الدوق إلى الطوف مرة أخرى . . عرض علينا إعلانا مطبوعا كان معلقا على أحد جدران المدينة . . وتبين في إعلانه صورة لعبد هارب . . وكتبت تحتها أوصاف تفصيلية تنطبق تماما على أوصاف جيم . . العبد الهاوب من مزرعة بمدينة سبان جاك بمنطقة نيو أورلينز . . ومكافأة قدرها (٢٠٠) دولار بالإضافة إلى المصاريفات لمن يقبض عليه ويقوم بتسلیمه !

وقال الدوق :

— اعتبارا من الآن .. نستطيع أن نقلع بالطوف
أثناء النهار أيضا .. وإذا تعرض لنا أى أحد فسوف
نريه الإعلان المطبوع .. ونخبره بأننا قبضنا على العبد
الهارب وذاهبون لتسليميه واستلام المكافأة ..

وأقلعنا في تلك الليلة في حوالي العاشرة مساء
.. ولم نتوقف عن الاقلاع عندما أشرقت الشمس في
صباح اليوم التالي .. وظل الطوف يشق طريقه على
سطح التهر أثناء النهار ..

وبعد أن تناولنا الافطار .. جلس الملك
يستذكر دوره ويحفظ نصوص الموار عن ظهر قلب ..
وبعد ذلك أخرج الدوق من حقيبته سيفين مصنوعين
من الخشب .. وببدأ يتدرّب مع الملك على مشهد المبارزة
بالسيوف من مسرحية ريتشارد الثالث ..

وقام الدوق بدور ريتشارد الثالث ، بينما قام
الملك بدور المبارز الآخر .. وكانت الطريقة التي تبارزا
بها على سطح الطوف مبهرة لنا ومسلية .. كانوا يقفزان

من مكان الى آخر ويتبازان بالسيوف الخشبية كما
لو كانوا في معركة حقيقة .. وفجأة تزحلق الملك
وسقط على سطح الطوف ، فتوقفت المبارزة ، وجلسا
يستريحان من عناء التدريب .. وأخذوا يقصان على
بعضهما بعض التوارد والمحاكيمات عن مغامراتهما
السابقة ..

وكان العوق قد أعد بعض الاعلانات المطبوعة ..
ولم يحدث أى شيء في اليومين أو الأيام الثلاثة التالية
سوى استمرار المبارزة بالسيوف ، وحفظ الموار ،
والتدريب على القائه بطريقة تمثيلية ..

وفي صباح أحد الأيام ، اقتربنا من أحدى المدن
الصغيرة ، فرسونا بالطوف على بعد نحو ثلاثة أرباع
الميل من تلك المدينة .. وذهبنا جميعا - فيما عدا جيم
الذى ظل بالطوف - الى ساحة المدينة لنرى ان كانت
هناك فرصة لتقديم العرض المسرحي المرتقب ..

ولحسن الحظ فإن المدينة كانت تتأهب لأحد
الاحتفالات الزراعية .. وكان الفلاحون قد بدأوا يغدوون



التدریب على المبارزة .. كان فرحة مدهشة !

من المناطق المجاورة لحضور هذا الاحتفال الذى علمنا
بأنه سوف ينتهى قبل المغرب .. وكانت هذه المناسبة
فرصة ملائمة لاقامة عرضنا المسرحي .. فقام الدوق
باستئجار احدى القاعات .. وقمنا بتعليق اعلاناتنا
المطبوعة فى مختلف أنحاء تلك المدينة الصغيرة ..
وكانَت هذه الاعلانات تحمل العبارات التالية :

شيكسبير !!!

عرض مسرحي رائع !

ليلة واحدة فقط !

ديفيد جاريک الصغير

الممثل بمسرح دوري لين ، بلندن

وادموند كين الكبير

الممثل بمسرح هاي ماركت الملكي ، بهوايت شابيل
بودنج لين ، بيكانديل ، لندن

مشهد المناجاة في البلكونة بين روميو وجولييت

رومیو : ۰۰۰ ۰۰۰ مستر چارپیک

جولیت : ... مسٹر گین

وشتراك معهما جميع أعضاء الفرقة !

ملايس جديدة .. مناظر جديدة !

وأيضاً ..

(بناء على طلب خاص)

مشهد المازة من مسرحية ويتشارد الثالث!!

ویشارد الثالث : ۰۰۰ مسٹر چاریک

ویشنوند: ۰۰۰ مستر کین

الدخول للرجال ٢٥ سنة

• وللأطفال والخدم ١٠ سنوات

وبعد انتهاء الحفل الزراعي ، قدمنا العرض المسرحي .. ولكن لم يحضره سوى اثنى عشر متفرجا فقط ، دفعوا مبلغا يكاد أن يكفى لتفطية مصاريف العرض بصعوبة .. وقد ظل المتفرجون يضحكون ويسيخرون بالتمثيل وبالممثلين .. لدرجة ان الدوق قد أوشك أن يجئ من شدة الفيظ والاحباط .. وقال ان هؤلاء الفلاحين الجهلاء لا يفهمون شيكسبير .. ولا يعجبهم سوى المسرحيات والعروض الهابطة ..

وفي صباح اليوم التالي ، قام الدوق بطبعاعة اعلانات جديدة ، علقناها في جميع أنحاء المدينة الصغيرة .. وكانت الاعلانات تقول هذه المرة :

في البلاط الملكي

ملة ثلاثة ليال فقط

أشهر ممثلين في العالم

ديفيد جاريوك الصغير

- ٩ -

ادموند كين الكبير
في هذا العرض المسرحي العظيم

تحفة ملوكية لانظير لها !!!

الدخول ٥٠ سنتا

ملحوظة : للكبار فقط
ولا يسمح بدخول النساء ولا الأطفال

وبعد ذلك قال الدوق :

- هكذا .. وادا لم تجذبهم هذه الاعلانات .
فليكن معنى ذلك انى لا افهم عقليتة هؤلاء الفلاحين
الجهلاء .. وسترون بأنفسكم ما سوف يحدث
الليلة !!

و قضى الدوق والملك النهار كله فى تجهيز المسرح
والاستعداد لهذا العرض المسرحي .. وفى الليل
كانت قاعة العرض ممتلئة عن آخرها بالمتفرجين حتى
لم يعد هناك أى موطن لقدم ..

وعندما بدأ العرض ، وقف الدوق على خشبة
المسرح ، وأخذ يتفاخر ويتباهى بنفسه وبالعرض
المسرحي وبالمثل ادموند كين الكبير الذى أشار اليه
بأنه سيؤدى الجزء الأكبر من عرض الليلة ..

وأخيرا رفع الدوق ستار المسرح .. ودخل الملك
على الفور زاحفا على أربع وأخذ يرقص ويؤدى حركات
تشير الفصحى ، وكان جسمه كله مغطى بجميع الوان
قوس قزح ومتقوضا بنقاط وخطوط ودوائر وأشكال
مختلفة ..

واستغرق جميع المتفرجين فى الفصحى .. بل
وكاد بعضهم أن يموت من شدة الفصحى .. والحقيقة
أن منظر الملك وحركاته ورقصاته كان مثار سخرية

وكانـت الطـرـيقـة الـتـى يـؤـدـى بـهـا هـذـا العـرـض الغـبـى قـادـرـة عـلـى أـن تـضـحـكـ أـيـة قـطـة لـو جـاءـت لـتـشـاهـدـ هـذـا المـنـظـر ..

وـبـعـد ذـلـك أـنـزـلـ الدـوقـ السـتـار .. وـقـالـ لـلـمـتـفـرـجـينـ أـنـ الفـرـقةـ سـتـؤـدـى عـرـضـها هـذـا فـى الـلـيلـتـينـ الـقـادـمـتـينـ فـقـطـ ، لـأـنـهـا مـرـتـبـطـةـ بـموـعـدـ هـامـ فـى لـندـنـ ..

وهـنـا صـاحـ عـشـرـونـ مـتـفـرـجاـ :

- ما هـذـا .. هـلـ اـنـتـهـىـ العـرـضـ .. هـلـ هـذـاـ كـلـ شـيـءـ !! ..

فـأـفـهـمـمـ الدـوقـ أـنـ العـرـضـ قدـ اـنـتـهـىـ فـعـلاـ .. وـحدـثـ هـيـاجـ وـزـمـجـرـةـ .. وـلـكـنـ رـجـلـاـ أـنـيـقاـ قـامـ مـنـ بـيـنـ الـمـتـفـرـجـينـ وـصـاحـ فـيـهـمـ :

- اـنـتـظـرـواـ أـيـهـاـ النـاسـ وـالـزـمـوـاـ الصـمـتـ وـاسـمـعـونـىـ جـيدـاـ .. لـقـدـ خـدـعـنـا .. وـضـحـكـ عـلـىـنـاـ هـؤـلـاءـ الـمـمـثـلـوـنـ .. وـسـوـفـ نـصـبـعـ مـتـارـ سـخـرـيـةـ لـأـهـلـ الـمـدـيـنـةـ كـلـهـمـ .. وـلـهـذـاـ فـلـاـ بـدـ أـنـ نـدـعـىـ أـنـ هـذـاـ العـرـضـ الـمـسـرـحـيـ جـيدـ وـجـدـيـرـ بـالـمـشـاهـدـةـ .. حـتـىـ يـحـضـرـ أـهـلـ الـمـدـيـنـةـ كـلـهـمـ

ويشاهدو العرض بأنفسهم .. وبهذا نصبح جميعا
في نفس المركب .. ولن يستطيع أحد أن يسخر منا ..
ما رأيكم .. هل توافقونني على ذلك ؟ ..

فصاح المتفرجون :

- موافقون .. موافقون .. لابد أن يبلغ أهل
المدينة هذه الخدعة مثلنا .. !

وهنا قال الرجل الأنبيق :

- إذن .. فلتندع إلى المدينة وتنصح كل من
نعرفهم بأن يحضروا ليشاهدوا هذا العرض بأنفسهم !
ومطوال نهار اليوم التالي ، لم يكن لأهال هذه
المدينة الصغيرة حدث سوى ذلك العرض المسرحي
العظيم .. والتحفة الملكية المنقطعة النظير !

وفي الليل أقبل الناس من كل صوب ..
وامتلأت قاعة العرض بالمتفرجين !

وفي الليلة الثالثة امتلأت القاعة بالمتفرجين مثل

الكيلتين السابقتين .. ولكنني لاحظت أن معظم المتفرجين الذين حضروا العرضين السابقين قد حضروا أيضا هذه الليلة ، وكانتوا جميعا يخفون أشياء في جيوبهم وداخل معاطفهم .. وتسليت الى أنفني رائحة البيض الفاسد والخضراوات العطنة والأشياء المحالة الأخرى التي أحضرها الناس معهم .

وبعد أن امتلأت القاعة عن آخرها ، ولم تعد تسع أي متفرجين آخرين .. كنت أنا والدوقي واقفين عند باب القاعة الخارجي .. وتظاهر الدوقي بأنه سيدور حول مبني القاعة وأشار الى خفية أن أتبعه .. وعندما وصلنا الى منطقة مظلمة خلف القاعة ..

قال لي الدوقي :

هيا أجر الى الطوف بأقصى سرعة .. أجر وكانك تفر من شيطان يتبعك .. !

ووصلت الى الطوف .. ووصل الدوقي معى في نفس الوقت .. وفي أقل من ثانيةين .. أقلع الطوف

وأخذ طريقه سابحا نحو منتصف مجرى النهر ..
وغرقه التيار مبتعدا عن المدينة ..

وأخذت أفكرة في المصير التensus الذى سيلقاء
الملك على أيدي المتفرجين الغاضبين .. ولكنى فوجئت
بخروج الملك من مخبأ الطوف وقال لنا بثبات :
ـ هاه .. كيف سارت الأمور معك هذه
الليلة .. يا دوق بريديج ووتر !؟ ..

لقد بقى الملك مختبئا بالطوف .. ولم يذهب
إلى المسرح فى تلك الليلة ..

ولم تشعل مصباح الطوف إلا بعد أن أصبحنا
على بعد نحو عشرة أميال من المدينة .. وبعد أن هدأنا
 تماما ، أودقنا نارا وطهونا العشاء .. وكان الملك
والدوق غارقين في الضحك وهما يرويان كيف تمكنا
من خداع كل هؤلاء الناس والضحك عليهم .. !

لقد جمع هذا الوغدان أربعمائة وخمسة وستين
دولارا في تلك الليالي الثلاث .. ولم أر في حياتي

من قبل ، كيف يتم تجميع مثل هذا المبلغ الكبير عن طريق الاحتيال والنصب على الآخرين ..

وبعد فترة استغرقت في النوم .. ولم يوقظني جيم عندما حل موعد نوبتي ودورى في المراقبة .. وكثيراً ما كان جيم الطيب يفعل هذا ، ويقوم بالعمل وحده دون أن يقلقني ..

وقرب العصر .. تنبهت وفتحت عيني .. فرأيت جيم يجلس حزيناً وهو يدفن رأسه بين ركبتيه .. ويثن آنينا يقطع القلب .. وتظاهرت بأنى لم أستيقظ بعد .. وعرفت سبب حزن المسكين .. انه يفكر في زوجته وأطفاله الذين تركهم وراءه .. انه يتالم لأنه لن يرافقها بعد ذلك أبداً .. ان الحنين الى العودة الى بيته كان يمزق قلبه .. فكان يقول بصوت خفيض بين حين وآخر :

- مسكنة يا صغيرتى اليزا بيت .. مسكنة يا صغيرى جونى .. ألن اراكما مرة أخرى .. يالها من قسوة شديدة .. ان هذا منتهى الظلم والألم .. !

كم كان جيم زنجيا طيب القلب ٠٠ !

و ظهرت باني قد استيقظت تماماً ٠٠ وأردت
أن استلم منه التوبجية ودورى فى المراقبة ٠٠ وأخذت
المح له من بعيد عن حديث يخص زوجته وأطفاله ٠٠
وبعد فترة حزن قصيرة ٠٠ قال جيم :

- هل تعرف يا هك لماذا حزنت هذه الليلة ٠٠
لقد سمعت صوت صفعة على وجه أحد الأطفال بينما
كنت جالساً بالطوف عند الشاطئ ٠٠ لقد ذكرتني
تلك الصفعة ٠٠ بأنى قد عاملت طفلتي الصغيرة
اليزابيث بقسوة باللغة حين كانت في الرابعة من
عمرها ٠٠ لقد أصيّبت المسكينة بالحمى القرمزية
ولم أعلم أنه مرض خطير يصيب الأطفال ٠٠
وعندما مررت فترة الحمى وأخذت صحتها في التحسن
٠٠ كانت تقف الطفلة المسكينة بجوار الباب المفتوح
فقلت لها :

- أغلقى الباب وادخل ٠٠ !

ولكنها لم تفلق الباب ولم تدخل .. بل ظلت
واقفة قرب الباب وهي تبتسم لى فى براءة ..

ولكنى صحت بها مرة اخرى :

- ألا تسمعين .. قلت أغلقى الباب وادخل .. !
وظلت المسكينة واقفة تبتسم .. فجن جنونى
وقلت لها غاضبأا :

- اذن .. سوف أعلمك كيف تسمعين الكلام ..
وقدمت .. وصفعتها على وجهها صفعة اطارتها من على
الأرض .. فأخذت تبكي .. ودخلت الى الحجرة
الأخرى وبقيت هناك نحو عشر دقائق .. ثم خرجت
ورأيت الطفلة ما زالت واقفة جوار الباب المفتوح
والدموع تسيل على خديها .. ولكن فى هذه اللحظة
هبت ريح أغلقت الباب بعنف شديد .. ولكن الطفلة
لم تتحرك وظلت تبكي فى صمت .. يا ربى ماذا حدث
لها .. ففتحت الباب مرة أخرى وخرجت .. ولكنى
عدت بعد لحظة عل اطراف أصابعى حتى لا تراني

الطفلة الصغيرة المسكينة .. وصرخت بأعلى صوتي ..
بوم .. بوم .. ولكن المسكينة لم تتحرك قيد أنملة
ولم تتنبه الى وجودى .. لقد أصيّبت المسكينة بالصمم
.. لقد عملت الحسن القرمزية عملها .. وأصبحت
اليزابيث الصغيرة صماء لا تسمع شيئا .. وبكماء
لاتنطق بكلمة .. فجريت نحوها .. واحتضنتها بين
ذراعي .. وأخذت ابكي وانا اطلب من الله ان يغفر لي
قسوتى .. ولكنني يا هك لم أغفر لنفسي أبدا هذه
القسوة .. تصور يا هك .. صماء وبكماء .. ومع ذلك
فقد عاملتها بطريقة قاسية !

الفصل العاشر

أنت محتال ؟٠٠

وفي اليوم التالي .. وقبل أن يحل الظلام ..
رسونا بالطوف على شاطئ رمل .. وكنا نرى
بوضوح قريتين متقابلتين تقع كل واحدة منها على
أحد شاطئي النهر .. وبدأ الدوق والملك يفكران فيما
يمكن أن يفعلاه في كل من هاتين القررتين ..

وفي كل مرة كنا نغادر فيها الطوف .. كان
الدوق يقوم بتكتيف جيم بالحجال حتى يبدو منظره
كعبد هارب مقبوض عليه .. ولكن في هذه الليلة ،

قال جيم للدوق أن تركه مكتفاً هكذا طول النهار شيء
متعب ولا يتحمل ..

وعلى الفور فكر الدوق في طريقة أخرى .
فالبس جيم ملابس « الملك لير » ، وباروكة شعر
مستعار أبيض اللون .. وسوالف مستعارة .. وطلّي
وجهه ويديه وأذنيه ورقبته ببعض الألوان المستخدمة
في عمل المكياج المسرحي .. حتى بدا جيم في النهاية
في لون كثيب ، مثل لون جنة غريق غرق في النهر
تسعة أيام كاملة ..

وطلب الدوق من جيم أن يبقى هكذا بداخل
مخباً الطوف .. واحضر الدوق لوحاً صغيراً من الخشب
كتب عليه : مجنون ! .. خطير جداً عندما تأتيه
النوبة !!

وقام الدوق بتعليق هذا اللوح على عصا أقامها
في مقدمة الطوف .. وأخبر جيم بأنه إذا جاءه أحد ..
فعليه أن يهب واقفاً ويقفز عدة قفزات ويمثل دور

المجنون .. وآن عليه ان يعوى مثل الحيوانات
المتوحشة .. وبهذه الطريقة المضمنة لن يقترب أى
شخص من جيم خوفاً من خطره ..

وقال الدوق أنه سينذهب الى احدى هاتين
القريتين ، وآن على الملك أن يذهب الى القرية الأخرى ..
وذلك حتى يستطيعا الامر ليقررا كيفية التعامل مع
أهل كل قرية .

وقدر الملك أن يذهب في صحبته .. وكنا قد
اشترينا بعض الملابس الجديدة من المدينة السابقة
فارتديناها .. وكانت ملابس الملك سوداء اللون
وبراقة .. جعلته يبدو كما لو كان جندياً من الطبقة
العليا .. لم أكن أعرف من قبل كيف تقدر الملابس
على تغيير مظاهر الناس وتغيير صفاتهم الحقيقية .

وركبنا القارب وأخذت أجده نحو شاطئ القرية
.. وقبل أن نقترب من القرية شاهدنا احدى البوادر
النهرية راسية في المحطة السابقة لمحطة القرية ..

وهنا قال الملك :

- ها هي فكرة جيدة .. فهذه الملابس الجديدة
التي أرتديها تمكنتى من تمثيل دور الجنelman القادم
من سان لويس أو من سينسياتى أو من آية مدينة
كبيرة أخرى .. ما رأيك يا هكلبرى .. أسرع بنا لكي
نركب هذه الباخرة لمحطة واحدة حتى نصل الى القرية
وكاننا قادمون من مكان بعيد .. !

وبينما كنت أجدف نحو الباخرة رأينا شابا
من الفلاحين ، جالسا على الشاطئ ومعه حقيبةان كبيرة
الحجم .. وكان الشاب يجفف عرقه المتصبب على وجهه
من شدة الحر .. **وقال الملك للشاب :**

- الى أين أنت ذاهب .. أيها الشاب ؟
- ذاهب الى الباخرة ياسيدى .. فانا مسافر
الى تيو اورلينز ..

- اذن ٠٠ اركب معنا في القارب ٠٠ سنوصلك
إلى الباحرة ٠٠ وسيقوم خادمنا بمساعدتك في حمل
هذه الحقائب ٠٠ !

وقال الشاب شاسكرا وهو يحمل الحقيبتين
بنفسه ويضعهما في القارب :

- ان حمل هذه الحقائب الثقيلة في البحر يعتبر
عملاً مرهقاً ٠٠ سيدى ٠٠ عندما شاهدتكم لأول مرة
قلت لنفسي : ما هو المستر ويلكس قد حضر بعد فوات
الوقت المناسب ٠٠ ولكنني قلت لنفسي بعد ذلك : هذا
غير معقول ٠٠ ان مستر ويلكس لا يمكن أن يحضر على
قارب صغير ٠٠ قادماً من تلك المسافة البعيدة ٠٠
فهل أنت مستر ويلكس ٠٠ ؟

فقال الملك وهو يحاوّل استدراج الشاب
القروي :

- لا للأسف ٠٠ أنا اسمى بلودجييت ٠٠
الكسندر بلودجييت ٠٠ وانى آسف لمستر ويلكس الذى

لم يحضر في المزاد المناسب .. هل فاته شيء
يا ترى ١٩٠٠

فقال الشاب القروى :

- لا .. لم يفته الكثير .. فنصيبه في الميراث
محفوظ .. ولكن فاته أن يلحق أخاه بيتر ليراه قبل
أن يموت .. إن هذين الأخرين لم يرريا بعضهما منذ
إن كانوا صبية صغارا .. وكان بيتر أخ ثان أصم وأبكم
اسمه وليم .. ولكن بيتر لم ير أخاه وليم طوال حياته
.. وكان هناك أخ ثالث اسمه جورج .. كان يعيش
مع أخيه بيتر هنا .. وكان جورج هو الأخ الوحيد
الذى تزوج وأنجب .. ولكنه مات وماتت زوجته أيضا
في السنة الماضية .. والآن لم يبق من هؤلاء الأخوة
الاثنين هما هارفى الأخ الأكبر ولليم الأخ الأصم
الأبكم .. ولكنها للأسف لم يصلا في الوقت المناسب
لקי يرريا أخاهما بيتر قبل أن يموت !

وتساءل الملك :

- ولكن ألم يرسل أحد في طلبهما لكي يحضران
في الوقت المناسب !؟ ٠٠

واجب الشاب :

- نعم ٠٠ منذ شهر أو شهرين ٠٠ وذلك عندما
بدأ بيتر يشعر بالمرض ٠٠ طلب أن يرى أخيه
هارفي ووليم قبل أن يموت ٠٠ وعلى أيام حال فقد
ترك بيتر خطابا إلى أخيه هارفي ٠٠ قبل أنه يخبره
فيه بالمكان الذي خبأ فيه نقوده وثروته ٠٠ وأوصى فيه
بتقسيم بقية أملاكه بطريقة تكفل حياة كريمة لبنات
أخيه جورج الذي مات دون أن يترك لهم شيئا ٠

وتساءل الملك وهو يبدى اهتماما كبيرا بالموضوع :

- ولكن لماذا لم يحضر هارفي ٠٠ هل يعيش في
مكان بعيد ٠٠ وأين !؟ ٠٠

فقال الشاب :

- أوه .. انه يعيش فى انجلترا .. فى شيفيلد ..
.. انه يلقى مواعظه هناك .. وربما لم يصله
الخطاب ..

- وكم عدد بنات جورج ؟ .. وما هى أعمارهن ..

- انهن ثلات بنات .. مارى جين فى التاسعة
عشرة .. وسوزان فى الخامسة عشرة .. وجوانا فى
حوالى الرابعة عشرة .. !

- مسكنات .. كيف يتراكن هكذا وحيدات فى
هذا العالم البارد .. !

- لن يصيّبهن أذى .. فلقد كان لبيتر أصدقاء
كثيرون سيتولون أمر البنات ويرعنن .. هناك
الواعظ هويسون ، ولوت هوفرى ، وبين روكر ،
وآبنر شاكل福德 ، وليفى بل المحامى ، والدكتور
روبرتسون الطبيب .. وبالإضافة الى زوجات كل هؤلاء
.. كما توجد هناك أيضا الأرملة بارتلى .. وهناك

أيضاً أصدقاء آخرون .. ولكن بيتر كان يفضل هؤلاء الأصدقاء الذين ذكرت لك أسماءهم عن أصدقائه الآخرين .. وقد ذكر بيتر أسماء هؤلاء الأصدقاء في الخطاب الذي أرسله إلى أخيه هارفي .. حتى يقابلهم عند حضوره من إنجلترا ..

وهكذا أخذ الملك يوجه المزيد والمزيد من الأسئلة الدقيقة إلى الشاب القروي ، حتى أفرغ جعبه الشاب من كل ما فيها من معلومات ، وحتى تأكد من أن الشاب لم يعد لديه شيء يضيفه ..

واخيراً قال الملك :

- ولكن قل لي .. هل كان بيتر ويلكس غنياً؟ ..

فقال الشاب مؤكداً :

- غنى جداً .. كانت لديه مجموعة من المنازل .. ومساحات من الأراضي .. ويعتقد الناس أنه قد

قام باختفاء ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف من الدولارات
الذهبية في مكان ما ..

- وهل سي Shirleyون جنازته غداً ؟

- نعم .. حوالي الظهر .. !

وعندما وصلنا إلى مرسى الباخرة النهرية كانت
على أمهة الاستعداد لمغادرة المرسى إلى المحطة التالية ،
فلحق بها الشاب .. ولكننا لم نركبها .. وطلب مني
الملك أن يرسو على الشاطئ .. ثم قال لي :

- والآن .. هيا أسرع باحضار الدوق إلى هنا
.. وقل له أن يحضر معه الحقائب الجديدة التي
اشتريناها .. وأن يرتدي ملابس جديدة ..

وعندما عدت ومعي الدوق .. أخبره الملك
بجميع تفاصيل الحديث الذي دار بينه وبين الشاب
القروي .. وفي فترة بعد الظهر ، وصلت باخرة
نهرية أخرى فصعدنا إليها متوجهين إلى القرية التي
تقع في المحطة القادمة ..

وصلنا الى القرية .. وعل رصيف المرسى كان
هناك نحو اثني عشر رجلا .. فتقلم اليهم الملك
وسالهم :

فقال أحد مؤلاد الرجال :

- آسفين .. لا نستطيع أن نخبرك أين يعيش
مستر بيتر ويلكس .. وكل ما نستطيع أن نخبرك به،
هو أين كان يعيش بالأمس .. !

وعلى الفور أرتمى الورغد العجوز على صدر هذا
الرجل ، وأسند رأسه على كتف الرجل .. وبدا في
البكاء والنوح .. وقال وهو يئن :

- خلاص .. هل انتهى كل شيء .. قبل أن
أحضر في الوقت المناسب .. كنت أريد أن أراه قبل
أن يموت .. إن هذا أمر صعب .. صعب جداً ..

والتفت الملك الى الدوق وأخذ ي يكن ويعمل حركات واسارات بيديه وأصابعه حتى يفهم الناس ان الدوق هو الاخ ولهم الآخرين الأصم .. وبعد ان انتهى الملك من عمل هذه الحركات والاسارات انخرط الدوق فورا في البكاء .. وببدأ الناس يواسونهما ويطيبون خاطرهما .. بل وحملوا حقائبهما واتجهوا جميعا الى بيت المتوفى بيتر ويلكس الذى يقع عند سفح التل ..

وعندما وصلنا الى البيت ، تجمعناس كثيرون .. كما خرجت البنات الثلاث الى الباب ليستقبلن عبيها الغائبين ومن فرحت بهدا اللقاء .. بل كان الناس فرحين أيضا بالثمان شمل هذه الأسرة أخيرا على هذا التحول السعيد ..

وعندئذ قام الملك بالقاء خطبة في هذا الجمع من الناس .. ملأها بالتأوهات والمدحوم .. والعزن الشديد لأنهما لم يحضران في الوقت المناسب لرؤيه أخيهما قبل أن يموت .. وذلك بعد أن قطعا رحلة

طويلة تقدر باربعة آلاف من الأميال . . . قادمين من
إنجلترا إلى هنا ١١٠٠

وقال الملك إنه يسره هو وبنات أخيه جورج
أن يوجه الدعوة إلى العشاء هنـم الليلة لبعض الأصدقاء
الذين ذكرهم المرحوم بيتر في خطابه ، وهم على وجه
التحديد : مـستـر هـوبـسـون ، ولـوت هـوـفـي ، ومـسـتـر
بن روـكـر ، وأـبـنـر شـاـكـلـفـورـد ، ولـيفـي بلـ، وـدـكـتـور
روـبـنـسـون ، وجـمـيع زـوـجـاتـهـمـ ، وكـذـلـكـ الـأـرـملـةـ
بارـتـلـ ٠٠٠ !

وكان الـواـعظـ هوـبـسـونـ ، وكـذـلـكـ الدـكـتـورـ
روـبـنـسـونـ غـيرـ مـوـجـودـينـ فـىـ هـذـاـ الجـمـعـ لـاـرـتـبـاطـهـمـاـ
بـعـضـ الـأـعـمـالـ فـىـ المـدـيـنـةـ ٠٠ـ كـذـلـكـ لـمـ يـكـنـ لـيفـيـ بلـ
المـحـامـيـ مـوـجـودـاـ ٠٠ـ أـمـاـ بـقـيـةـ الـأـصـدـقـاءـ الـذـيـنـ أـشـ
إـلـيـهـ الـمـلـكـ فـقـدـ كـانـواـ كـلـهـمـ مـوـجـودـينـ وـسـمـعواـ الدـعـوـةـ
بـأـنـفـهـمـ ٠٠ـ وـتـقـدـمـواـ جـمـيعـاـ وـأـخـلـقـواـ يـشـدـونـ عـلـيـ أـيـدـيـ
الـمـلـكـ وـأـيـدـيـ الدـوقـ ٠٠٠ !

وبـعـدـ ذـلـكـ أـخـذـ الـمـلـكـ يـوجـهـ أـسـئـلـةـ دـقـيقـةـ عـنـ

أحوال ومواضيعات معينة تدل على أنه على دراية تامة بهذه الأحوال والمواضيعات التي كان أخوه بيتر يبلغه بها في خطاباته . . وبطبيعة الحال فقد كان الملك يكذب ويدلس على هؤلاء الناس . . لأنه عرف كل هذه المعلومات من الشاب القروي الأهبيل المحب للكلام والذي زوده بكل هذه التفاصيل ! . .

وقامت ماري جين - وكانت جميلة جداً وذات وجه صبور - باحضار الخطاب المغلق الذي تركه عمها المرحوم بيتر إلى عمها هارفي . . وقام الملك بغض الخطاب وأخذ يقرأ محتوياته بصوت مرتفع يسمعه الجميع . .

لقد أوصى المرحوم بأن يعطي البيت ومبلغ ثلاثة آلاف من الدولارات إلى البناء الثلاث . . كما أوصى بأن تؤول طاحونة الدقيق - وهي عمل يدر كثيراً من الربح - وبقيمة البيوت الأخرى والأراضي (وتبليغ قيمتها نحو سبعة آلاف من الدولارات) بالإضافة إلى مبلغ آخر قدره ثلاثة آلاف من الدولارات إلى أخيه

مارفى ووليم . . . وذكر المرحوم فى خطابه أيضاً أين
أخفى دولاراته الذهبية الستة آلاف . . . لقد أخفاها فى
غرفة الخزين . . .

ومنكدا ذهب الوغدان الى غرفة الخزين ليبحثا عن
الدولارات . . . وطلبا مني أن أصحبهم وأنا أحمل شمعة
مضاءة . . .

وعندما عثرا على الحقيقة ، فتحاما على الفور ،
وأفرغا ما فيها من دولارات ذهبية على الأرض فى كومة
صفراء براقة . . . وأخذنا يحصيان الدولارات الذهبية
ويعدانها عدا . . . ولكن الدولارات لم تكن ستة آلاف
بالضبط . . . كانت ناقصمة أربعينات وخمسة عشر
دولارا . . .

وقال الملك وهو يشعر بالخيرة :

ـ إننا نريد أن نعد هذه الدولارات أمام الجميع
. . . حتى لا يكون هناك أى شك أو ريبة . . . ومadam
المرحوم قال انه ترك فى الحقيقة ستة آلاف . . . فلا بد
أن نعدها ستة آلاف أمام الجميع . . .

وعندئذ قال الدوق :

- لا تضيع الوقت .. فلنستكمل المبلغ الناقص
من نقودنا ..

وقال الملك فرحا :

- هكذا فكرة جيدة ..

وأخذ كل من الملك والدوق يخرج ما في جيوبه
من نقود حتى لم يعد لدى أى منها دولار واحد ..
واكتمل أخيراً مبلغ الستة آلاف من الدولارات
الذهبية ..

**وحملنا الحقيبة وصعدنا بها .. ولكن النوق
قال للملك :**

- لدى فكرة أخرى .. فبعد أن نهد الدولارات
أمام الجميع .. نعلن أنها تنازلنا عن تصفيتنا من هذه
الدولارات إلى البنات .. ونعطيهن الحقيقة بأكملها !!

وعندئذ صاح الملك :

- يانها من فكرة رائعة ..

وعندئذ وصلنا الى الطابق العلوى .. كان الجميع قد تجمعوا حول المائدة .. وأفرغ الملك الحقيقة .. وببدأ يمسد الدولارات الذهبية أمام الجميع دولارا دولارا .. ستة آلاف بالتمام والكمال .. وببدأ الملك يزهو بنفسه وهو يستعد لالقاء خطبة أخرى ..

وقال :

- والآن .. أيها الأصدقاء جميعا .. لقد كان أخونا المسكين طيباً ورحيم القلب وعطوفاً على بنات أخيه فاوسي باعطائهن ثلاثة آلاف فقط من هذه الدولارات .. لأنه لم ينس أخيه هارفي ووليم ولكن ما نحن نعلن أمامكم جميعاً أننا تنازلنا عن نصيبينا من هذه الدولارات الى بنات أخيينا الصغيرات الوديعات .. والآن .. تقدمي يا ماري جين .. وأنت يا سوزان .. وأنت يا جوانا .. خذن جميع الدولارات .. خذن النقود كلها ..

لصاحت البنات متهللات :

- يا عمنا الحبيب .. هذا كرم عظيم ..
شيء جميل !!

وهنا قام أحد الرجال وأخذ يضحك ساخرا
في وجه الملك .. وكانت صدمة شديدة حلت بالجميع
.. فتقىم آبنر شاكللورد إلى هذا الرجل وسأله
في دهشة :

- لماذا تفعل ذلك يا دكتور روبيسون .. ألم
تعرف بعد أن هذا الرجل هو هارفي ويلكس ؟!
وهنا ابتسם الملك ومه يده إلى الدكتور مصافحا :
- أهلا بأعز أصدقاء أخي المرحوم .. أهلا
بك يا دكتور روبيسون !!

فقال الدكتور في حزم :

- أبعد يدك عنى .. هل أنت شقيق بيتر
ويلكس ؟ .. ما أنت سوى نصاب محтал !

وتعقدت الأمور .. ولكن الناس تجمعوا حول
الدكتور .. وأخذوا يقولون له ان هارفي ويلكس قد
أثبت باكثر من اربعين طريقة انه هارفي ويلكس ..
ومع ذلك فقد التفت الدكتور الى البنات الثلاث
وقال لهن :

ـ اطردن هذا الوغد المحتال فورا .. أرجوكن
ـ اطردنه الآن ..

وعندئذ قالت ماري جين وهي تعطى حقيبة
الدولارات الذهبية الى الملك :

ـ هذه هي اجابتي .. خذ يا عمي هذه الدولارات
الستة آلاف .. واستثمرهم لصالحنا في أي مشروع
او بایة طريقة تعجبك .. !

وصفق جميع الحاضرين استحساناً لوقف ماري
جين .. ورفع الملك رأسه وابتسم وهو يشعر بالفخر
والزهو ..

وعندئذ قال الدكتور يائسا :

- اذن سأرفع يدي عن هذا الموضوع وأكف عن
التدخل فيه .. ولكن سيأتى وقت تندمون فيه جميعا
على ما حدث فى هذا اليوم .. سترون بأنفسكم ..

وخرج غاضبا ..

الفصل العادى عشر

المقيبة المملوعة بالذهب !

وبعد أن انصرف المجتمعون .. سأل الملك ماري
جين عما إذا كانت يالبيت حجرات، اضافية تصلح
لإقامة هو وأخيه .. فقالت ماري جين إن هناك بالفعل
حجرة اضافية واحدة تصلح لإقامة العم وليم .. وأنها
ستتنازل له عن حجرتها الخاصة ليقيم فيها على أن
تنام هي في حجرة أخيها ..

وفى الليل .. امتلاً البيت بالضيوف من الرجل
والنساء الذى لبوا الدعوة للعشاء .. وقد أقيمت حفلة
كبيرة .. وتناولت عشاءً فى المطبخ ، وكانت البنات

وجميع من يعملون بالبيت يعطفون على ويكرمونى
ويحاولون اشعارى بأنى فى بي资料

وعندما توجهت للنوم .. كنت أشعر بالعار
والخجل من نفسي .. ولم أكن راضيا عن الجريمة التي
يدبرها الملك والدوق ضد هؤلاء البنات الصغيرات
المسكينات .. لذلك فقد قلت لنفسي : يجب أن أسرق
هذه النقود بأية طريقة .. وأقوم باختفائها في مكان
ما .. ثم أفر بالطوف إلى مكان بعيد .. وعندئذ أكتب
خطابا إلى ماري جين لأخبرها بالمكان الذي خبأت فيه
النقود ..

وهكذا قمت من سريري وتسللت إلى حجرة الملك
كنت أخطو بحذر على أطراف أصابع .. وكانت
الحجرة مظلمة لأنني لم أحمل معى شمعة .. وبعد فترة
سمعت وقع خطواتقادمة .. فاختبأت على الفور وراء
الستارة التي تخفي ملابس ماري جين المعلقة في تجويف
بالحانط على شكل دولاب للملابس .. وكتبت أنفاسي ..

.. ورأيت الملك والدوق وقد دخلا إلى المجرة وجلسا
يتماسان في الظلام .. قال الملك :

- هاه .. ما هذه الذي تخشاه ؟ ..

فقال الدوق :

- هذا الدكتور .. ما زلت أفكر في الكلام
الذى قاله هذا الدكتور .. لذلك فاني أعتقد أن من
الأفضل أن نهرب في الساعة الثالثة بعد منتصف
الليل .. ونسرع إلى النهر ومعنا الحقيبة المملوقة
بالذهب ! ..

فقال الملك مستفسراً :

- ماذا تقول .. هل نهرب ونترك ثمانية أو
تسعة آلاف أخرى من الدولارات وهي قيمة الممتلكات
التي تركها بيتر ويلكس .. هل نهرب ونترك كل
هذه الشروة ١٩ ..

رأخذ الودان يناقشان الموضوع من كافة جوانبه ..
وقال الدوق انه ينصح بالاكتفاء بالحصول على النقود ، ولا داعى لكتبي بيقيا حتى يجردا البنات من كل ممتلكاتهاهن .. ولكن الملك أخذ يتكلم ويتكلم حتى أقنع الدوق بخطته .. واستسلم الدوق في النهاية ..
ولكنه قال معنقا :

- أعتقد أننا يجب أن نخفى النقود في مكان مأمون لا تصل اليه يد ..

وقال الملك :

- هذا صحيح يا سعادة الدوق .. يجب أن نخفيها في مكان مأمون ..

قام الدوق وأخذ يتحرك على مسافة قريبة جدا من مخبئي خلف الستارة .. وقال انه يرى أن يخفينا الحقيقة داخل مرتبة محشوة بالقش كانت موجودة الى جانبي .. وقاما بالفعل باخفاء الحقيقة داخل المرتبة ..

وبمجرد ان حسرج الملك والدوى من الحجرة
تقدمت الى المرتبة واخرجت الحقيقة وتوجهت الى
حجرتى .. ورقدت على السرير ولكن بعد ان ارتديت
كامل ملابسى .. وأخذت انتظر ..

وبعد فترة سمعت وقع خطوات الملك والدوى
وهما يصعدان الى غرفتيهما .. وانتظرت بعض الوقت
حتى تأكيدت من أنهما قد استغرقا في النوم ، وعندئذ
تسليلت خارجا من غرفتي ومعي الحقيقة ..

وهيقطت الدرج بحذر شديد .. الى أن وصلت
الى غرفة الطعام .. وكانت هناك شمعة مضاءة رأيت
على نورها الرجال المكلفين بالسهر الى جوار التابوت
الذى ترقد فيه جنة المتوفى .. لقد استغرق هؤلاء
الرجال في نوم عميق وهم جالسون على الكراسي ..
كما كانت هناك شمعة مضاءة أخرى في الحجرة
الأمامية ، حيث يوجد التابوت وخطاؤه نصف مفتوح
.. وحاولت أن أفتح باب تلك الحجرة الذي يؤدى الى
الخارج ولكنى لم أتمكن .. فقد كان الباب مغلقا
بالمفتاح ..

ووجهاً سمعت وقع خطوات تهبط الدرج ..
وأخذت أبحث بسرعة عن أي مكان أخفى فيه الحقيقة ،
ولكنني لم أجد سوى التابوت فاخفيتها فيه .. وأسرعت
بالاختباء خلف أحدى ستائر ..

كانت ماري جين هي التي جاءت .. كانت تسير
بخطوات بطيئة نحو التابوت .. وتوقفت أمامه ..
ونظرت بحزن إلى وجه عمها الميت .. ثم ركعت على
ركبيهما ، وأخرجت منديلها ، وبدأت تبكي في
صمت ..

وتسليلت عائداً إلى غرفتي .. ورقدت على السرير
أشعر باليأس والاحباط ، بسبب هذه الأحداث
التي لم أكن أتوقعها والتي أدت إلى انهيار كل
خططي ..

وبقيت مستيقظاً .. وحاولت أكثر من مرة أن
أهبط الدرج لأخذ الحقيقة وأفر بها .. ولكن ذلك
أصبح ضرباً من المستحيل .. فقد استيقظ بعض

الرجال المكلفين بحراسة التابوت .. وخشيت أن
ينكشف كل شيء ..

وفي الصباح ، لاحظت أن الغرفة التي يوجد بها
التابوت كانت مقلقة .. وطلت مقلقة إلى أن انتصف
النهار .. وعندئذ فتحت الغرفة .. وسمح للأصدقاء
والمعزين بأن يدوروا بيضاء حول التابوت لينظروا إلى
وجه الميت لتوديعه الوداع الأخير .. وقد استغرقت
هذه العملية حوالي نصف ساعة .. وبعد ذلك قام
بعض الرجال بتغطية التابوت وثبتت غطائمه
بالمسامير ..

وساد جو حزين .. وقام الواقع سوبسون
بالقاء احدى مواعظه .. ثم قام الملك كالعادة بالقاء
خطبة جوفاء تضمنت الكثير من الكلام الفارغ ..

وذهب الجميع إلى ساحة المقابر .. وتم دفن
بيتر ويلكس في قبره .. وعدنا مرة أخرى إلى
البيت ..

وفي المساء ، أشار الملك الى أن أهله في إنجلترا
سيقلقون عليه .. وأنه يجب أن يبيع الممتلكات التي
آلت اليه والى أخيه وليم لكن يسرعا بالمسودة الى
إنجلترا .. وقال الملك أيضا انه سيأخذ معه البنات
ليعشن في رعايته هناك .. وقد فرحت البنات كثيرا
لدى سماعهن بهذا النباء .. وطلبن منه أن يبيع
ممتلكاتهن أيضا قبل أن يسافرن معه الى إنجلترا ..
لقد تألمت كثيرا لهذا المصير التماس الذي ستقع
فيه هؤلاء البنات الصغيرات ضحية لهذا الوغد
المحتال ..

وأعلن الملك عن بيع البيت والأرض وكافة
الممتلكات الأخرى .. وأن موعد البيع سيكون بعد
يومين من تشريح الجنائزه ..

وفي الصباح الباكر لليوم المحدد للبيع ، أيقظني
الملك والدوخ ، وكانا في غاية الاضطراب ..

وقال الملك :

- هل دخلت الى حجرتى ليلة أمس الأول !
فقلت على الفور :

- لا .. يا صاحب الجلالة !

- اذن .. هل رأيت أحدا يدخل الى غرفتى نى
تلك الليلة !

وقلت لنفسي : ما هي فرصتى الذهبية ..
وادعى انى أتذكر شيئا .. وقلت بعد لحظة :

- نعم .. أعتقد انى رأيت بعض الخدم يدخلون
إلى الغرفة عدة مرات ..

- استمر .. استمر .. ماذا فعل هؤلاء
الخدم .. ؟

- لا ادرى .. واعتقد انهم لم يفعلوا شيئا ..

وعندئذ نظر الملك الى الدوق ونظر الدوق الى
الملك .. وأخذنا يفكران ويهرشان رأسيهما ..
وفي النهاية قال الملك للدوق يائسا :

- ليس أمامنا سوى أن نبتلع هذه المصيبة ..
ولا نشير إليها بكلمة واحدة .. !

وأتعقد البيع في الميدان العلام .. وبيمعت
الممتلكات واحدة وراء أخرى .. وأنباء بيع الصفة
الأخيرة ، وصلت احدى البوادر النهرية إلى شاطئ
القرية ، وحدث هرج ومرج ، وفي خلال دققيتين جاء
بعض الرجال يصرخون في دهشة :

- لقد وصل أخوان آخران لبيتر ويلكس !!

الفصل الثاني عشر

المشكلة الكبرى

جاء بعض الناس ومعهم جنتلمن عجوز حسن المظير ، ورجل آخر أصغر سنا وذراعه اليمنى مربوطة بالضمادات .. وقال الجنتلمان العجوز :

- أنا هارفي ويلكس .. شقيق بيتن .. وهذا أخي وليم .. انه أصم أبكم .. لقد صادفنا الكثير من سوء الحظ .. فقد كسرت ذراع أخي وليم .. كما أن حقائبنا قد أنزلت من الباخرة عن طريق الخطأ في الليلة الماضية في البلدة السابقة .. ويقولون انهم سيحضرونها الى هنا فيما بعد ..

وقتها الملك وقال ساخرا :

ـ كسرت ذراعه .. هذا أمر محتمل .. وفقدوا
حقائبهم .. شيء معقول .. شيء مقنع .. !

وضحك الملك في سخرية .. كما ضحك بعض
الحاضرين أيضا .. فيما عدا الدكتور روبيسون وليمي
بل المحامي الذي عاد من مأموريته في لويسفيل ..
وصاح الدكتور قائلا :

ـ أيها الجيران الأصدقاء .. لا أدرى إن كان
هذا القادمان الجديدان من المحتالين أم لا .. ولكنني
على يقين بأن هذين المحتالين [وأشار إلى الملك والدوق]
من النصابين .. من الواجب علينا أيها الأصدقاء
ألا ندعهما يغادران هذا المكان الا بعد أن تقوم بالتحقيق
في هذا الموضوع .. فلنذهب إلى الفندق .. ولنجعل
مؤلاء الرجال يواجهون بعضهم وجها لوجه .. لابد أن
تعرف الحقيقة .. !

ووافق الجميع على ذلك ، وذهبنا الى الفندق
واشار الدكتور الى الملك والدوق وقال :

ـ اذا لم يكن هذان الرجال من المحتالين ..
فأعتقد انهم لا يمانعان في احضار الحقيقة الملوءة
بالذهب الى هنا .. حتى نحتفظ بها الى ان يثبتنا حقيقة
أمرهما .. ما رأيكم .. هل توافقونى على ذلك ؟

فوافق الجميع وأيدوا اقتراح الدكتور .. وكان
على الملك والدوق أن يواجهها هذا المأزق الصعب ..
وقال الملك في حزن عميق :

ـ أيها السادة .. عندما أعطتني ابنة أخي
ماري جين الحقيقة الملوءة بالذهب .. خفت عليها
من الضياع أو السرقة .. فأخفيتها بداخل مرتبة
محشوة بالقش بداخل غرفتي .. لأنى لم أكن مقتنعا
بوضعها في البنك لأيام قليلة .. ولكن الخدم سرفو
الحقيقة في صباح اليوم التالي ..

وبطبيعة الحال فلم يصدق أحد هذا الكلام .

وصاح الدكتور كما صاح الكثير من الرجال :

- کلام فارغ .. کلام فارغ ..!

وبعد ذلك بدأ تحقيق عام ٢٠٠٣ وطلبو من الملك أن يحكى قصته كما طلبو من الجنتمان العجوز أن يحكى قصته أيضاً ٢٠٠٤ وكان من الواضح تماماً أن الجنتمان العجوز يقول الصدق بينما الآخر يقول أكاذيب لا أحد يصدقها ٢٠٠٥

وقال الدكتور روبنسون مخاطبا أحد الرجال
المجتمعين :

- لو كنت حاضراً منذ البداية يا ليفي بل لا ...

٩٤ : لَهُنَا قَاطِعُهُ الْمَلِكُ صَائِحًا

ومد الملك يده الى المحامي وصافحه بحرارة ..
وأسر اليه ببعض الكلمات بصوت منخفض ..

فقال المحامي على الفور :

- هذه طريقة ممقولة وسأجريها لأنها ستكتشف
حقيقة الأمر .. وتعتبر دليلا قاطعا ..

وطلب المحامي احضار قلم وبعض الأوراق البيضاء ..
وقام الملك بكتابة بعض الكلمات .. ثم أعطى
القلم للدوق وأنهمه بأن يكتب كلمات أخرى ..
والتفت المحامي الى الجنتلمن العجوز وقال :

- هل يمكن أن تكتب لنا بعض الكلمات على
هذه الورقة ..

فقام الجنتلمان العجوز بكتابة بعض كلمات لم
يستطع أحد أن يقرأها .. واندعا المحامي عندما
رأى الورقة وحاول أن يقرأ الكلمات المكتوبة عليها ..

وأخرج المحامي من جيبه بعض الأوراق القديمة
وقال للناس :

- هذه هي بعض الخطابات التي كان هارفي
ويلكس قد أرسلها إلى أخيه بيتر .. وسأقارن الخطاب
الذى كتبت به هذه الخطابات بالخطوط التي كتبها
كل واحد من هؤلاء الرجال .. لأرى أي الخطوط هو
الصحيحة ..

واستراح الجميع لهذه الفكرة السديدة
وأنمسك المحامي أولاً بالورقة التي كتبها الملك والدوق
.. وقال المعذمي بعد أن قارن الخطوط ببعضها :

- إن أي واحد منا يستطيع أن يدرك على الفور
أن هذه الخطوط لا تتطابق مع الخط الذي كتبته به
الرسائل ! ..

وبعد كل من الملك والدوق في غاية المرج
والارتياح بعد أن كشف المحامي أمرهما .. وقام

المحامى بعد ذلك بمشاهدة خط الجنتلمن العجوز بخط الرسائل ، **وقال على الفور :**

- من الواضح أيضا ان خط هذا الجنتلمن غير مطابق لخط الرسائل .. بل ان هذا النيش الذى خطه الجنتلمان ليس كتابة على الاطلاق .. !

واندهش الجميع لهذه النتيجة غير المتوقعة ولكن الجنتلمان العجوز قال بسرعة :

- من فضلك دعنى أشرح لك الأمر .. ان أحدا لا يستطيع قراءة خطى .. ولكن أخى بيتر كان قادرًا على ذلك .. وكان ينسخ رسائلى بخط يده هو حتى تصبح مقرودة ومفهومة .. اذن فهذه الرسائل التى معك ليست مكتوبة بخطى أنا .. وانما هي مكتوبة بخط أخى ..

وعندئذ نظر المحامى الى الرسائل التى فى يده مرة أخرى ، **وقال متربدا :**

- ربما كان هذا صحيحاً .. وسنحاول معرفة
هذا الأمر بطريقة أخرى .. ولكن هناك نتيجة مؤكدة
خرجنا بها من هذه التجربة .. [ونظر إلى الملك
والدوق وأشار إليهما] .. أن هذين الرجلين ليسا
أخوين لبستر ويلكس !

ومع ذلك فان الملك لم يستسلم لهذه النتيجة
الواضحة ، بل احتاج قائلاً بأن هذا الامتحان لم يكن
عادلاً .. وعندئذ قال الجنتلمن العجوز :

- لدى فكرة جديدة .. هل يوجد أحد هنا
من الرجال الذين جهزوا جثة أخي بستر للدفن ..

وهنا تقدم أحد الرجال وقال :

- نعم .. لقد قمت أنا وأب تيرنر بذلك ..

وأشار الجنتلمان العجوز إلى الملك وقال :

- ربما يستطيع هذا الرجل أن يقول لنا ما هي
العلامة التي كانت موجودة على صدر أخي ..؟

شبح لون وجه الملك .. وظل صامتا لفترة
قصيرة .. وكل الناس تحملق في وجهه بعيون
فاحصة .. وقلت لنفسي : لقد أسقط في يده .. ولا بد
أنه سيسلم الآن فورا .. ومع ذلك فلم يستسلم
الملك .. وقال وهو يتظاهر بأنه كان يتذكر :

- نعم يا سيدى .. أستطيع أن أخبرك بهذه
العلامة .. لقد كانت عبارة عن سهم صغير مطبوع
باللون الأزرق .. سهم صغير جدا .. إذا لم تدقن
فيه النظر ، فلن تستطيع أن تراه !!

وقلت لنفسي : يبدو أن أحدا لن يستطيع أن
يهزم هذا الوغد العجوز الماكر الذي لا يخجل من نفسه
أبدا

وهنا تقدم الجتلمان العجوز من آب تيرنر وشريكه
وقال لهما :

- لقد سمعت ما قاله هذا الرجل .. فهل
كانت هذه العلامة مطبوعة على صدر أخي !!

فقال الرجلان معاً :

- لا .. لم نر مثل هذه العلامة .. !

وقال لهما الجنتلمن العجوز :

- عظيم .. انكم لم ترينا هذه العلامة التي قال بها هذا الرجل .. وما رأيتماه حقا هو حرف في «ب» و «و» .. وهما الحرفان الأولان من اسمه «بيتر ويلكس» .. وكان الحرفان مطبوعين بخط صغير جداً على صدر أخي .. وكانت بين الحرفين شرطة صغير تفصلهما هكذا .. [وكتب «ب - و »] .. وبالتأكيد فقد رأيتما هذين الحرفين .. أليس كذلك .. ؟!

فقال الرجلان على الفور :

- لا .. لم نر نر على صدره آية علامة أو حروف على الاطلاق .. !!

وساد الوجوم على جميع الناس .. وبدا بعضهم يقولون صائعين :

- كلهم عصابة من المحتالين النصابين .. لابد
أن نفرقهم في النهر !!

ولكن المحامي صالح قائلًا :

- أيها السادة .. أيها السادة .. بقى شيء واحد علينا أن نعمله أولاً .. فلتذهب إلى قبر بيتر ويلكس .. ونخرج جثته .. لنرى ما هي العلامة المطبوعة على صدره .. أو ربما لن نجد أية علامة .. وعندها نقرر أمرنا ..

وصاح الجميع :

- تمام .. هذا هو الحل !!

صدقوني .. لقد شعرت بخوف شديد ..
لقد أمسكونا جميعا .. وأحاطوا بنا من كل جانب ..
وأخذوا يتصرفون نحونا مثل القطط المتوجسة !!
وقد ازداد خوفي أكثر وأكثر .. عندما بدأت
السماء الملبدة بالغيوم والسحب تبرق وترعد .. وبدا

الظلام الا من ومضات البرق .. كما بدت الريح تهب
وتهز أوراق الشجر يعنف ..

وساقونا الى مساحة المقابر .. وأناأشعر بـ
هذه المشكلة هي أصعب وأخطر موقف صادفته في
حياتي .. فلم يكن يفصل بيني وبين الموت مشئولاً
 الا هذه العلامات على صدر الميت .. هذا ان كانت
هناك علامات على وجه الاطلاق ..

وعندما اشتبه الظلام .. أصبحت هناك فرصة
سانحة لفرارى .. ولكن كيف أهرب في الوقت الذي
يقبض فيه على مقصمي بشدة رجل قوى اسمه
هاينز ..

وتجمع الجميع عند القبر .. وكان معهم أكثر من
مائة جاروف ، ولكن لم يكن معهم مصباح واحد ..
وأرسلوا رجلا منهم ليقترب من مصباحا من أي مكان
قريب .. ومع ذلك فقد بدأوا يخرون على ضوء البرق
الذى يومض بين حين وآخر على صفحة السماء ..

وساد المكان كله نوع من الجنون الذى يرهق
الأعصاب .. فقد اشتد الظلام أكثر وأكثر .. ونشطت
الماهول والجواريف وهي تحضر وتحفر .. وانهمر المطر
كالسيل .. واشتد ومبغض البرق .. وارتفع صوت
الرعد .. وفي لحظة واحدة .. كنت تستطيع أن ترى
كل هذا الجم من الناس الذين يقومون بهذه العملية
الرهيبة .. وفي اللحظة التالية حين لا تبرق السماء ،
يصبح الظلام دامسا فلا تستطيع أن ترى شيئا على
الاطلاق !!

وأخيرا .. أخرج الرجال التابوت من القبر
وفكوا غطاء .. وفي لمح البصر صاح أحدهم :
ـ يا للسماء .. إن على صدره حفيبة مملوقة
بالذهب !!

وفي تلك اللحظة ، ترك هاينز معصمي .. وقفز
إلى التابوت ليلقى نظرة على هذه المفاجأة التي أذهلت
الجميع .. وفي نفس اللحظة انطلقت هاربا بأقصى
سرعة .. وفي أول ومضة برق تالية شاهدت قاربا

صغيراً قرب الشاطئ ، فقفزت اليه وبدأت أجده نحو
الطفو ..

ولم أصدق أنني نجوت إلا بعد أن اعتليت ظهر
الطفو ، وناديت على جيم بسرعة :

- هيا يا جيم .. لقد تخلصنا منهما أخيراً ..
فلننطلق بالطفو بأقصى سرعة !

وخرج جيم من مخبأه .. وهو يمدالي ذراعيه
ليعبر عن سروره بعودته .. ولكنني عنهما رأيته على
ضوء البرق صدمت ، وكاد قلبي أن يتوقف عن跳动
في صدرى ، وانكفت مذعوراً على ظهرى .. لقد نسيت
أن جيم كان متذكرًا في ملابس « الملك لير » .. وأنه
كان مدحونا باللون الأزرق القاتم مثل لون الغرقى ..
لقد كان منظره مرعباً !

والتحقني جيم من الماء حيث سقطت .. وأبدى
سروره بعودته سالماً .. وبتخلصنا من الملك والدوق ..
وقلت استحثه مرة أخرى :



الزعنى منظر جيم فسقطت فى النهر !

- ليس الآن وقت الكلام .. ساحكي لك كل شيء
فيما بعد .. أما الآن فعلينا أن ننطلق ..

وفي أقل من ثانيةين ، بدأ الطوف يسبح فوق سطح النهر .. ولكن بعد فترة قصيرة سمعت صوتنا أعرفه جيدا .. وعل وميض البرق شاهدت الملك والدوق يركبان قاربا ويجدفان نحونا .. وما ان اعتليها ظهر الطوف ، حتى تقدم الملك وأمسكني من ياقات معطفى وأخذ يهزنى بشدة ويقول :

- ترييد أن تفلت بجلك وتدعنا نواجه هذه المحنـة وحدنا .. أيها القرد !

وقلت عل الفور :

- أبدا يا صاحب الجلالـة .. أبدا !
- اذن ما الذى دفعك الى المـرـب وتركـنا ..
قل والا أخرجـت روحـك من بـدنـك .. !

وهنا قال الدوق :

- دع الصبي فى حالة .. انك لم تبحث عنه
لتاخذه عندما أتيحت لك فرصة الهرب .. فلماذا
تطلب منه أن يفعل شيئاً أنت نفسك لم تفعله ؟

وترك الملك ياقه معطفى .. وأخذ يلعن تلك
القرية وأهلها وكل شيء فيها .. ولكن الدوق قال له
في غيظ :

- من الأفضل أن تلعن نفسك أولاً .. فانت
الملوم منذ البداية .. وكل تصرفاتك وأفكارك كانت
سيئة وغير معقولة .. انك لم تفعل شيئاً يستحق
الثناء سوى فكرة السهم الأزرق الذى ادعى انه
مطبوع على صدر الميت .. فهذه الفكرة هي التي أنقذتنا
.. فلو لاها لما ذهبوا بنا الى ساحة المقابر .. وما عثروا
على حقيبة الذهب التي أذهلتكم وخلبت لهم ..
فاستطعنا أن نفر هاربين في تلك اللحظة .. لقد
كانوا سيشنقوننا حتى !

والقضت فترة شرب فيها الملك والدوق زجاجة
كاملة من الخمر .. ثم بدا ينحسان .. وسرعان
ما استغرقا في نوم عميق ..
وعندئذ حكى لجيم كل شيء .. !

الفصل الثالث عشر

أين جيم !؟٠٠

وطللنا سابعين بالطوف عدة أيام متواالية .
وهكذا أخذنا نقترب من المناطق الجنوبيّة ذات الجو
الحار .. وأصبحنا بعيدين تماماً عن موطننا الأصلي ..
ولم نكن نجسر على الرسو في أحدى القرى أو المدن
الصغيرة التي كنا نمر عليها ..

ولكن بعد أن أصبح المحتالان يشعرون بأنهما
بعيدان تماماً عن خطر الملاحقة .. بدأ يدبران بعض
المهيل لاستخدامها في خداع أهالي القرى مرة أخرى ..

قاما في احدى القرى بالقاء الخطب والمواعظ عن
أضرار شرب الخمر .. وفى قرية أخرى ادعيا أنها
مدرسان للرقص ومستعدان لتدريب الأهالى على قواعد
الرقص .. ولكن معلوماتهما عن الرقص لم تكن تزيد
عن معلومات اي حمار ، واكتشف الأهالى أمرهما
فطردوهما من القرية ..

وفى قرية ثالثة ادعيا قدرتهما على ممارسة الطب
وعلاج المبروح والأمراض .. ثم ادعيا أنها قادران
على رؤية البخت والطالع .. وهكذا حاولا خداع الناس
بكلى حيلة وضيعة .. ولكن صادفهم الكثير من سوء
الحظ ولم يكسبا شيئا .. وفي النهاية استلقيا على ظهر
الطوف مقلسين تماما .. لا يفعلان أي شيء سوى
التفكير في خدعة أو طريقة جديدة للاحتيال على
الناس ..

وفي صباح أحد الأيام رسونا بالطوف على بعد
نحو ميلين من قرية اسمها بايكسفيل .. وقال لنا
الملك انه سيذهب الى تلك القرية ليرى ما اذا كان أهلها

قد سمعوا بحكاية « التحفة الملكية المقطعة النظير »
أم لا .. وطلب منا الملك أن نظل مختبئين في هذا
المكان حتى يعودلينا قرب الظهر .. وقال لنا اذا لم
يعد حتى الظهر فيجب أن نذهب الى القرية للبحث
عنده ..

ولقد سرت كثيرا عندما جاء وقت الظهر ولم
يظهر للملك أى أثر .. فسوف أتمتع ببعض التغيير
على الأقل .. وهكذا ذهبت أنا والدوق الى القرية
لنبحث عن الملك ..

وهناك عثرنا عليه ، وكان سكرانا تماما لدرجة
أنه لم يعد يستطيع أن يمشي أو يتحرك .. وأخذ الدوق
يسبه ويلعنه .. فرد الملك بالمثل ..

وانتهت فرصة الشجاع الذى نسب بينهما ..
فانطلقت أجرى كالغزال الهارب بعد أن استبعدت
حريتى وتخلصت من هذين الوغدين .. وأخيرا وصلت
إلى الطوف وقد تقطعت أنفاسى .. وصحت لاهثا :

- هيا يا جيم .. لقد استعدنا حريتنا أخيرا !

ولكنى لم أسمع ردا .. لقد اختفى جيم ! .. لم
يعد له أى أمر ! .. فأخذت أجرى هنا وهناك وفى كل
مكان فى الغابة القريبة من الشاطئ .. وظللت
أنادى وأنادى .. ولكن بلا فائدة .. لقد اختفى
صدقى العجوز .. وجلست على الأرض وأخذت
أبكي ! ..

ولم أطق أن أظل هكذا عاجزا عن فعل أى شيء ..
.. فأخذت أفكر فى كيفية مواجهة تلك المصيبة ..
وقابلت صبيا فسأله اذا كان قد شاهد زنجيا غريبا
عن هذه المنطقة ، يرتدى كذا وكذا .. فقال الصبي :

- نعم .. انه الآن فى بيت سيلاس فلبس الذى
يبعد نحو ميلين من هنا .. ان هذا الزنجى عبد هارب
.. وقد قبضوا عليه .. وهناك جائزه قدرها مائتين
دولار لمن يقوم بتسليمه ..

فـسـالـتـ الصـبـيـ :

- ولكن كيف قبضوا عليه ؟ ..

- آه .. لقد جاء رجل عجوز غريب عن هذه
المنطقة .. وقال انه يعرف مكان هذا العبد المارب ..
ومستعد لبيع هذه الفرصة في مقابل أربعين دولاراً
فقط لأنه مستعجل وليس لديه وقت لتسليم العبد
لأصحابه في المنطقة التي عرب منها ..

وعدت إلى الطوف وقد أوشك قلبي أن يتحطم ..
فبعد كل هذه الرحلة الطويلة .. وبعد كل ما فعلناه
من أجل هذين الودجين .. ينتهي كل شيء هكذا ..
ويبيعانه إلى هؤلاء الغرباء مقابل أربعين دولاراً !؟ ..

وتواترت على ذهني كل الذكريات التي عشتها
مع جيم طوال هذه الرحلة الطويلة الحافلة بالأحداث ..
تذكرته حينما كان أمامي ومعي طوال النهار والليل ..
حين كنا نتمتع بضوء القمر .. وحين كانت تهب علينا
العواصف .. وحين كان طوفنا ينزلق سابحا فوق
سطح النهر بكل نعومة .. نعومة .. ونحن نتحدث
ونشقى وتضحك ..

تذكرته حين كان يواصل العمل بعد أن تنتهي

ثوبته حتى لا يوقظنى .. وتنذكرت حين كان يفرج
بعودتى بعد كل مرة أتغيب فيها عن الطوف .. وعندما
عدت اليه مرة أخرى بعد حكاية النار .. تذكرت
وهو يحنو على دائمًا ويطيب خاطرى .. وحين كان
يدعونى دائمًا بصدقه العزيز .. وحين كان يفعل كل
شيء وأى شيء فى سبيل راحتى وسعادتى ..

وتنذكرت حين أنقذته مرة وادعيت أنه أبي وانه
مصاب بمرض معد خطير فأفلت بذلك من القبض عليه
وأخذ يشكرنى على هذا الجميل ، ويقول لي اتنى خير
صديق له فى هذا العالم ! ..

وهكذا توالىت على ذهنى الأفكار والذكريات .
ولكنى قلت لنفسى في النهاية : لابد أن أعود إلى عالم
الجريمة مرة أخرى .. وأول جريمة سأرتكبها هي
سرقة جيم من الرجل الذى يقبض الآن عليه ! ..
ودبرت أمرى ووضعت خطة ..

وعندما حل الظلام أقلعت بالطوف إلى جزيرة
بوسط النهر تنطليها الغابات .. وهنالك نمت

قبيل طلوع الفجر .. وتناولت افطارى .. وارتدت
ملابسى .. ووضعت بعض الاشياء فى صرة .. وركبت
القارب ، وأخذت أجدف نحو المكان الذى اعتقاد أنه
المكان المسمى فيليب .. وهنالك أخفيت الصرة فى
الثابة ، وملأت القارب بالصخور حتى اختفى تحت
سطح الماء ..

وعندما وصلت الى أول الطريق ، رأيت لافتاً
مكتوب عليها « ورشة فلبس لنشر الأخشاب » ..
نعرفت أنى فى الطريق الى المكان الصحيح .. وواصلت
السير .. وكان الدوق هو أول شخص صادفته فى تلك
المدينة الصغيرة .. كان يقوم بتعليق اعلان عن « التحفة
الملكية المتقطعة النظير » وعرضها لمدة ثلاثة ليال فقط ..
اندهش الدوق حين رأىنى وقال :

ـ هالو .. من أين أنت قادم .. وأين الطوف ..
هل هو مخبأ فى مكان مأمون !!

وقلت له على الفور :

- هذا بالضبط ما كنت أتمنى أن أسألك عنه
يا صاحب السعادة !

فقال وهو يبتدىء مزيناً من الدهشة :

- ماذا تقصد بأنك كنت ت يريد أن تسألني ؟ ..

قلت له :

- عندما رأيت الملك سكرانا بالامس .. قلت لنفسي انه لن يفيق الا بعد ساعات نستطيع بعدها ان نصحبه الى الطوف .. وانتهت الفرصة لاقضي بعض الوقت في هذه المدينة الصغيرة .. وبعد أن حل الظلام .. ذهبت الى حيث كان يرسو الطوف .. ولكن لم أجده .. وقلت لنفسي لعلهم قد صادفوا بعض المتابعين فاضطروا الى الرحيل .. وتركتوني .. وجلست على الأرض وأنا أبكي .. ونمت في النهاية طول الليل .. وهاندأ أخيراً أجده أمامي يا صاحب السعادة .. فماين الطوف .. وأين صديقى جيم المسكين .. !؟

وقال الدوق :

— لا أدرى أين ذهب الطوف .. فبالأمس عدت
مع العجوز الغبي الى حيث كان يوجد الطوف ولكننا
لم نصر عليه .. لقد اختفى .. وقلنا لأنفسنا ان هذا
الوغد الصغير قد استولى على طوفنا وهرب به ..

— ولكن ياسيدى الدوق .. هل يمكننى ان
أهرب دون أن يكون معى صديقى جيم !؟ ..

— لا أدرى .. ولكن هل تعتقد أن جيم سيفشى
سرنا للناس .. لو فعل ذلك فسوف نسلخ جلده ..

— وكيف يفتحى سركما .. الم يهرب منكما !؟ ..

— لا .. لم يهرب .. ولكن العجوز الغبي باعه
بمبلاع من النقود أفقه كله ..

فقلت وانا ابكي بعرقة :

— باعه !؟ .. أين .. أين جيم .. أين هو
الآن .. أريد أن أراه .. أريد أن أراه ..

- انك لن تستطيع ان تصل اليه .. وسوف
تبقى هنا لمدة ثلاثة أيام .. واذا وعدتني بأنك لن تقضي
سرنا لاهالي هذه البلدة .. وبأنك ستقتضي جيم بالا يفتشي
سرنا أيضا .. فاني سأخبرك بمكانه ..

- أعدك بذلك ! ..

- انه الآن في حوزة مزارع فلاج اسمه ابراهام
فوستر .. يعيش في الريف في مكان يبعد عن هنا
بنحو أربعين ميلا .. على الطريق المؤدية الى لافاييت !

وطبعاً كنت أعرف أنه يكذب .. كان يريد أن
يبعدني عن هذه البلدة على الأقل لمدة الأيام الثلاثة التي
سيعرضون فيها « التحفة الملكية » .. ومع هذا فقد
تظاهرةت بأنني صدقته .. وقلت له :

- إذن .. مسافر اليه الآن ! ..

ومشيست في الطريق لمسافة تقارب من ميل ..
ولكنني قفلت عائدا نحو الطريق المؤدية الى بيت
فلبس !

الفصل الرابع عشر

وصول توم وأخيه سيد

وعندما وصلت الى هناك ، كان المكان هادئاً ساكناً وبيدو كما لو كان في يوم عطلة . فقد ذهب العمال جميعهم الى الحقول . وتسلقت السور وأخذت طريقى نحو المطبخ .. و كنت سعيد الحظ لأنى وجدت الكلمات المناسبة في الوقت المناسب .

اقبليت نحو امراة في حوالي الخامسة والأربعين من عمرها ، ويجرى خلفها مجموعة من الأطفال الصغار .. واستقبلتني المرأة بابتسامة عريضة وهي تقول :

- هل وصلت أخيراً !!

وتقدمت نحوى واحتضنتنى بمعطف زائد
وهي تقول :

- إنك لاتشبه أمك كما كنت أظن .. ولكن
هذا لا يهم .. فأنا مسرورة لرؤيتك .. تعالوا يا أولاد
 واستقبلوا معى ابن خالتكم توم .. قولوا له مرحباً !!
ولكن الأطفال وضعوا أصابعهم فى أفواههم ،
واختبأوا خلف أمهم .. وسحبتني المرأة من يدي ،
وأتجهت بي نحو البيت .. وسار الأطفال خلفنا ..
وعندما أصبحنا بداخل البيت ، أجلسستنى على مقعد
مريع وجلست أمامى على المقعد المقابل وهي لم تزل
تمسك بيدي الاثنين ..

وواصلت حديثها الفاضل :

- الآن فقط أستطيع أن أنظر إليك وأتفحصك
 بدقة .. ما الذى أخرك .. لقد كنا ننتظر وصولك
 ولكنك تأخرت .. هل حدث شيء للسفينة التى قدمت
عليها ١٩٠٠

فقلت متربداً :

- نعم .. حصل عطل بالآلات يا سيدتي !

فقالت على الفور :

- لا تقل يا سيدتي .. قل يا خالتى .. ياخالتنى
سالى .. لقد كان عمك يذهب كل يوم لمحطة السفينة
لعله يجده قادماً على احدى السفن .. لقد ذهب اليوم
منذ نحو ساعة .. ولا بد أنك قابلته في الطريق ..
انه يبدو عجوزاً وله ..

- لا .. لم أقابل أحداً ياخالتنى سالى ..

وبدأت أشعر بكثير من العيرة والقلق .. وكنت
أريد أن أنتهي بأحد الأطفال جانباً لأسأله من أنا في
ظنهم .. ولكنني لم أجده أية فرصة مواتية .. فقد
وأصلت مسر قلبس حديثها بصفة مستمرة ، وأخذت
تربيت على ظهرى ، وبدأت المرحلة الحرجة في الحديث
حين قالت :

- ولكنك لم تقل لي شيئاً عن أخرى ، ولا عن

الآخرين .. الآن سأمسك لسانى واسكت .. أخبرنى
عن أحوالهم .. وقل لي ما قالوه لك لتقوله لي .. !

وبدأت أتلعثم ولا أدرى ما أنا بقائل .. ومع
ذلك فقد فتحت فمى وبدأت أقول أى شيء .. ولكن
لحسن الحظ حدث شيء أنقذنى من هذه الورطة .. فقد
سحبتني مسر فلبس من يدى فجأة وخبأتني خلف
السرير .. وهى مت قائلة :

- لقد وصل عمك فلبس .. لن أخبره بحضورك
الآن .. الا بعد أن أعد له مفاجأة لطيفة ..

لقد رأيت الرجل العجوز للحظة واحدة ..
وبدأت مسر فلبس تسأله :

- هاه .. هل وصل توم .. !؟

لقال الرجل العجوز :

- لا .. ولا أدرى لماذا تأخر .. لقد بدأ
أقلق عليه .. !

وقالت مسر قلبس :

- ولكن .. لابد أنه قد وصل فعلا .. وربما
قابلته في الطريق ولكنك لم تعرفه .. ان قلبي
يشعرني بذلك ..

- لا .. لا يمكن أن يحدث ذلك ..

- انظر من النافذة .. هل هناك شخص قادم
تجاه البيت !! ..

وما أن اتجه الرجل العجوز الى النافذة حتى
جذبتني مسر قلبس من يدي ، وأوقفتني بجانبها .
وعندما استدار الرجل ورأني ، انفجرت مسر قلبس
ضاحكة بصوت مرتفع ، بينما كنت أنا قلقاً وغارقاً في
عرقى من شدة القلق والارتباك .. وحملق في الرجل
العجز سيلاس قلبس واعتبرته الدحشة ، وقال :
- من هذا !! ..

فاجابت مسر قلبس ضاحكة :

- هذا توم سوير .. توم سوير بعينيه !! ..
وهنا مادت الأرض تحت قدمي .. ولكن الرجل

العجز تعلم نحوى ، وأخذ يهز يدي بقوة مرجحا بي ،
وأخذت مسر فلبس ترقص طربا .. وبدا سيل من
الأسئلة عن سيد .. وعن مارى .. وعن بقية أفراد
العائلة ..

كنت فى غاية السرور لخروجى من هذا المأزق
الخرج .. وشعرت وكأنى قد ولدت من جديد ..
وحكىت لهم الكثير عن أفراد عائلتى - أقصد عائلة
توم سوير - التى أعرف بطبيعة الحال الكثير من
أخبارها وأحوالها بحكم صداقتنى العجيبة لتوم سوير ..
وهكذا أخذت أتصرف على أساس أنى توم سوبر ..
وكان ذلك أمرا سهلا للغاية .. ولكن عندما
سمعت صوت باخرة نهرية تأخذ طريقها نحو محطة
القرية ، قلت لنفسي : ما العمل لو أن توم سوير كان
قادما على ظهر هذه الباخرة؟! .. وماذا سيكون
موقعى لو حضر الى هنا ورأنى ونادانى باسمى الذى
يعرفه .. اسمى الحقيقى .. لابد أن أذهب لأنقاذه
قبل أن يأتي الى هنا ، لنتدب الأمر سويا ..
وهنا .. استأذنت منهم مدعيا بأن على أن أذهب

إلى محطة البواخر لأبحث عن حقالبي .. وهم الرجل العجوز بالقيام لصاحبتي .. ولكنني قلت له أني استطيع أن أقود الحسان الذي يجر العربة ، وطلبت منه ألا يقلق نفسه بسببي ..

ووهكذا قدت العربة وحدي واتجهت صوب محطة البواخر .. وفي منتصف الطريق ، رأيت عربة أخرى قادمة من الاتجاه المقابل ، وكان توم سوير راكبا فيها .. وعنده صحت بأعلى صوتي :

- قف !! ..

ـ وما أنا رآنى توم .. حتى فغر فاء من شدة الدهشة .. ثم أخذ يبلغ رئيسه بصعوبة .. وقال معبرا عن خوفه :

- أنا لم أفعل شيئا يؤذيك أبدا يا هكلبرى ..
أنت تعرف ذلك .. فلماذا تعود الآن لتخيفنى !! ..

ـ فقلت على الفور :

- أنا لم أمت ياتوم .. أنا ما زلت حيا ..
ـ صحيح !! .. لست شبحا !! .. ألم تقتل !! ..

- لا .. لقد خدعتم جميعا .. تمال والمسني
بيدك اذا لم تصدقني ..

وتقديم توم نحوى ، ولبسنى ، واقتني بما قلت ..
.. وكان فى غاية السرور لمقابلتى .. وكان يريد أن
يعرف كل شىء فى لحظة واحدة .. وتلهف بشدة
على سماع مغامراتى القامضة .. ولكن قلت له أنى
ساحرى له كل شىء فيما بعد .. وشرح له المشكلة
التي أواجهها الآن أمام عائلة فلبس وطلبت منه
المشورة فيما عسانا أن نصنع للخروج من هذا المأزق ..

وأخذ توم يفكر ويفكر .. وقال فجأة :

- لقد وجدتها .. وجدت الحل .. عليك ان
تأخذ حقيبتي وتدعنى أنها حقيبتك .. وعدت الى البيت
على مهل .. وسائلق بك بعد حوالى ربع ساعة ..
وعندما أصل الى البيت .. ظاهر بأنك لا تعرفي .. !

قلت له :

- موافق .. ولكن انتظر لحظة .. فهناك سر
لا يعرفه أحد غيري وساخبرك به .. هناك زنجي

محبوس .. وأنا أريد أن أسرقه لاطلاق سراحه .. انه
العبد الهاوب الذى كانت تمتلكه العجوز ممز واطسون
.. انه جيم وأنت تعرفه ..

وهنا قال توم مندهشا :

- ماذا تقول !؟ .. ان جيم ...

فقلت على الفور :

- لا تكمل .. فاني أعرف ماذا ستقول ..
ستقول انه عمل بغيض .. ولكن لنفترض انه عمل
بغيض .. ماذا يهم .. أنا نفسي انسان بغيض ..
ولكنى سوف أسرق جيم من محبوسه .. وسوف أطلق
سراحه .. وكل ما أريده منك أن تحتفظ بهذا السر
ولا تخبر به أحدا ..

وهنا برقت عينا توم وقال بعزم :

- سأساعدك فى برقتة وإطلاق سراحه !

وكان هذا أغرب مما توقعت ، وكدت أكتب
اذنى .. فمن ذا الذى يمكنه أن يصدق أن توم سوير

بنفسه سيشترك في سرقة عبد زنجي هارب ليطلق
سراحه !؟

وعلى أية حال ، فقد وضمنا حقبة توم على
عربتي .. وسرت متمهلا نحو بيت عائلة فليس ، بينما
اتجه هو بعربته الى طريق آخر ..

وبعد حوالى نصف ساعة ، وصلت العربة التي
تقل توم أمام البوابة المخارجية للبيت ، وشاهدتها الحالة
سالى من النافذة ، وترجل توم واتجه نحو مدخل
البيت ، واندفع الجميع نحو الباب ليروا من القادم ..
وعندما اقترب توم من باب البيت ، رفع قبعته
بتعبية مؤدبة وقال :

ـ هل هذا منزل مستر آرشيبالد نيكولز !؟ ..
فقال مستر فليس :

ـ لا يابني .. ان منزل نيكولز على بعد ثلاثة
أميال من هنا .. تمال لتناول غدامك معنا وسوف
أشحذك الى منزل نيكولز لأذلك عليه ..
وشكره توم على هذه الدعوة الكريمة بأدب

شديد .. ودخل الى البيت .. وقال انه غريب قادم من هيكسفيل بولاية اوهايو .. وأن اسمه وليم طومبسون .. وانحنى مرة ثانية بأدب شديد ..

ثم أخذ توم يعكى أشياء كثيرة عن ميكسفيل .. وعن كل فرد فيها .. وانهمك فى الحديث وانهمكت الأسرة فى الانصات .. وفجأة قام توم من مقعده وقبل مسر فلبس قبلة سريعة .. ثم استمر فى حديثه .. ولكن مسر فلبس هبت واقفة ، وأخذت تمسح مكان القبلة بظهر يدها ، وصرخت قائلة :

- يالله من غلام وقع !!

فتظاهر توم بالدهشة ، وقال :

- لقد أردت أن أفاجئك يا سيدتي ! ..

- تفاجئنى ! .. ماذا تظن عنى .. وماذا تقصد بتقبيل !! ..

فقال توم بتواضع :

- لا أقصد شيئا .. ولكن كنت أظن انك تحبين ذلك !

فهبت فيه مسر قلبى ، بل وأوشكنت أن ترفع
يديها لتضربه ، ولكنها صرخت فيه قائلة :

- يالك من مجئون .. وما الذى جعلك تعتقد
أنى أحب ذلك ؟!

فقال توم متهملا :

- لا أعرف .. ولكنهم أخبروني بذلك ..

- أخبروك بذلك ؟ ! .. من هم الذين أخبروك
بذلك ؟ !!

- كلهم .. كلهم ..

- من كلهم هؤلاء .. قل لي أسماءهم .. !
فتظاهر توم بالغضب ، وأخذ يلوى قبعته بطريقة
عصبية وقال :

- كلهم قالوا لي : قبلها .. فيهى تحب ذلك ..
ولكنى آسف يا سيدتى .. فلن أفعل ذلك مرة
أخرى .. الا بناء على طلبك ..

- بناء على طلبي .. اني لم اسمع كلاما مثل ذلك
طول حياتي !

وأخذ توم ينظر حوله إلى أن التقت عيناه بي ،
قال بصوت لطيف :

- توم !! .. هل تعتقد بعد ذلك أن خالي سالي
ستفتح ذراعيها مرحباً بي .. وتقول « أهلاً يا سيد
سوبر » !!؟

وهنا هي الحال سال واقفة وقالت بفرح :

- ليفر الله لي ٠٠ يالك من عفريت صغير
لقد خدعتنى باتقان !

وتقدمت اليه لتحتضنه وتبليه . . ولكنها اشترط
عليها ان تستاذن منه أولاً ليسمع لها بتقبيله . .
فضحكت . . واستاذنت . . وغير ته بقبلاتها وحنانها . .
ولكنها قالت فجأة :

- يالها من مفاجأة مدهشة .. الغريب أن اختي
كتبت لي أن توم سيعضـ وحده .. ولم تشر إلى حضور
سيـ ..

فقال توم :

ـ هذا صحيح .. حتى اللحظة الأخيرة كان من المقرر أن يحضر توم وحده .. ولكن الحالة بوللي سمحت لي بالحضور معه .. وقررنا - أنا وتوم - أن نجعل وصولنا اليكم في شكل مفاجأة طريفة .. فيذهب هو أولاً ويلتقي بكم .. ثم أحضر أنا بعد ذلك وأتظاهر بأنني غريب .. ولكنك يا خالتى سالى عاملت الغريب بقسوة ..

فقالت الحالة سالى :

ـ لقد كنت تستحق الضرب والصلف على وجهك .. لقد تضايقـت فعلاً في البداية .. وهكذا تراصل الحديث طوال الوقت الذي تناولنا فيه طعام الغداء وطوال فترة بعد الظهر إلى أن حل المساء .. ولكن العائلة لم تشر بكلمة واحدة عن العبد الهاـرب .. إلى أن جاء أحد الأولاد من أبناء مستر فلبس ، وطلب من أبيه أن يسمح له ولتوم وسيـد ، بأن يذهبـوا لـمشاهدة « التحفة الملكية المنقطعة النظير » ..

وهنا قال هستر فلبيس :

- لا .. فقد أخبرني العبد الهارب كما أخبر
بيرتون بأمر هذا العرض الغبي الذي سيقدمه اثنان من
النصابين .. وذهب بيرتون ليخبر الناس بأمر هذين
النصابين .. وأعتقد أن الناس قد طردوهما الآن من
المدينة ..

وبعد العشاء .. توجه الجميع الى غرف النوم ..
وكانوا قد خصصوا لنا - أنا وتوم - غرفة بالطابق
العلوي .. وما أن وصلنا اليها ، حتى تسللنا عبر
النافذة ، وقفزنا الى السقف المنحدر ومنه الى الأرض ،
واتجهنا الى المدينة ، لنقوم بانذار الملك والدوق بما
سوف يدبّره الناس نحوهما ..

وائنا الطريق ، حكيت لتوم كل شيء عن الملك
والدوق .. وعن التحفة الملكية المنقطعة النظير .. وعن
قصة الرحلة التهريّة الطويلة التي قمنا بها أنا وجيم
على ظهر الطوف والمغامرات التي صادفناها ..

ولكن يبدو أننا وصلنا متأخرین بعد أن انقضی
الأمر بالنسبة للملك والدوق .. فعندما وصلنا إلى
قلب المدينة ، شاهدنا جمیعاً غیراً من الناس یحملون
الشاعل .. ويصرخون مهلهلين .. ویدقون بعلب
الصفيح ببعضها محدثین صخباً وضجة عالیة ..
وینفحون في المزامير المصنوعة من قرون البقر .. !

وفي وسط هذا الجمیع الهاجج ، كان الملك والدوق
جالسين على عربة .. عاریین .. وقد طلی جسم کل
منهما بالقار الأسود .. ونفیش عليها ریش أبيض ..
لقد شعرت بالشفقة نحو هذین المسکینین .. انه لشیء
فظیع أن یجرس الانسان على مثل هذا النحو .. أو أن
يعامل الانسان أخاه الانسان بمثل هذه القسوة ..

وبطبيعة الحال ، فلم نستطع فعل أي شيء
لمساعدتها .. وعلى هذا فقد عدنا إلى البيت .. وکنت
أشعر بكثير من الحزن ..

الفصل الخامس عشر

خطة لفرب نفق ..

توقفنا عن الكلام وبدأنا نفك ..

وبعد فترة صاح توم :

— يا لنا من أغبياء ياهك .. لماذا لم تأتنا هذه الفكرة من قبل .. لقد عرفت المكان الذي سجن فيه جيم ! .. انه ذلك الكوخ المجاور للمطبخ .. لم تلاحظ ذلك .. هل تذكر أننا حينما كنا نتناول طعام الغداء .. رأينا أحد الخدم يتوجه نحو هذا الكوخ ومعه بعض الطعام ..

- نعم .. اذكر ذلك ..
- طعام من هذا !! ..
- طعام للكلب .. ربما !
- كنت أعتقد أيضا أنه طعام للكلب .. ولكن الآن أجزم بأنه ليس طعاماً للكلب ..
- لماذا !! ..
- لأن الطعام كان يتضمن بعض الفواكه ..
- هذا صحيح .. لقد لاحظت ذلك .. وقلت لنفسي عندئذ أن الكلاب لا تأكل الفواكه .. ومع ذلك فقد فاتت على هذه الفكرة .. أن هذا يدل على أن الإنسان يمكنه أن يرى ولا يرى في نفس الوقت !! ..
- لقد لاحظت أيضاً أن الخادم قد فتح باب الكوخ بالفتاح حين دخل .. وأغلق الباب بالفتاح حين خرج .. وأنه أعطى الفتاح للعم سيلاس فلبس حين كنا قد فرغنا من تناول الطعام .. الأمور اذن واضحة :

فالفاكهة تعنى أن الطعام لرجل .. واغلاق باب الكوخ
بالمفتاح يدل على أن الرجل سجين .. وجميع الأحوال
تدل على أن هذا السجين هو جيم .. الآن يمكننا أن
نضع خطة محكمة لسرقة هذا السجين واطلاق سراحه ..

وبعد فترة من التفكير شرح لي توم جميع تفاصيل
الخطة التي يراها مناسبة .. وهي خطة يمكن أن تؤدي
إلى اطلاق سراح جيم .. ويمكن أن تؤدي أيضاً إلى
صدور الحكم باعدامنا جميعاً .. ومع ذلك فقد اقتنعت
بالخطة وتحمس لها ..

هناك حقيقة واحدة مؤكدة : وهي أن توم سوير
انسان ذكي وحاذق .. وأنه مصمم على تنفيذ خطته
لاطلاق سراح جيم .. ولا أدرى ما الذي يدفع غلاماً
محترماً مثله ينتمي إلى عائلة محترمة لكي يقدم على
مغامرة اطلاق سراح عبد هارب .. وهي عمل يقول
الناس انه عمل شائن يجعل العار عليه وعل عائلته ..

لم أفهم الدوافع التي جعلت توم سوير يقوم بهذا العمل .. وقد أشفقت عليه بصدق .. فانا أعلم أن توم يعتبرنى صديقا مخلصا له .. ولهذا فقد رأيت أن من واجبى أن أنبئه الى خطورة هذا العمل ، وأطلب منه أن يبتعد عن الموضوع باكمله .. وحين همت بفعل ذلك ، استثنى توم قائلا :

- هل تظن أننى لا أعرف ما أنا مقبل عليه ..
الم أعدك بأننى سأساعدك فى سرقة جيم واطلاق سراحه ..

- نعم ..

- اذن دعنا ننفذ هذه الخطة ..
وكان هذا هو كل ما قلناه .. ولم يهد أمامنا أن نضيف الى هذا الموضوع كلمة واحدة ..

وعندما عدنا الى البيت .. توجهنا مباشرة الى الكوخ المجاور للمطبخ لنفحصه ونفحص المكان المحيط به .. ولأن الكلاب أصبحت تعرفنا ، فلم تنبغ ولم تحدث ضجة ..

فحصنا باب الكوخ وجانبيه الآخرين .. وكانت هناك نافذة مربعة الشكل بالجانب الشمالي للكوخ ولكنها مقلقة بلسوح من الخشب السميك . فقلت :
لtom :

- هذه النافذة تكفي لمرور جيم من خلالها .. اذا
قمنا بانتزاع هذا اللوح الخشبي ..

: قال Tom :
- ولكن هذا الحل سهل مثل حروف الهجاء الف
باء .. دعنا نبحث عن حل يكون أكثر تعقيدا
يا هكلبرى فين !

- ما رأيك اذا قمنا بنشر هذا اللوح الخشبي
بالنشراء .. هذه هي الطريقة التي اتبعتها عندما
هربت في المرة السابقة وادعيةت مصرعي ..

- هذه فكرة جيدة فعلا .. ومثيرة للغموض وتجربة المتابعة .. ولكنني أراهن أننا سجد فكرة أخرى أفضل من هذه الفكرة مرتين على الأقل .. !

ولاحظنا وجود عشة مسقوفة تقع بين الكوخ وسور البيت .. وكان سقفها مصنوعاً من الراح متباوررة من الخشب ، ولا يزيد عرض هذا السقف عن ستة أقدام .. وكان للعشة باب خشبي معلق يقع في الجانب الجنوبي ..

وأحضر توم قضيباً ثقيلاً من الحديد استعمله في خلع ترباس الباب .. وما أن دخلنا إلى العشة حتى أغلقنا الباب وأشعلنا عوداً من الشتات .. ولم يكن في داخل العشة سوى بعض الأدوات الزراعية الخاصة بالحديقة .. وتبين لنا أن جانب العشة كان ملائقاً لجانب الكوخ الذي سجن فيه جيم .. وخرجنا .. وأغلقنا باب العشة كما كان من قبل ..

وكان توم في قمة السعادة وهو يقول :

- الآن فقط يمكننا أن نبدأ العمل .. ستحضر
نفقا إلى الكوخ .. وسيستغرق الحفر حوالي أسبوع
كامل .. !

واتجهنا إلى غرفتنا لكي ننام .. دخلت أنا من
الباب الخلفي للبيت لأن العائلة لا تغلق أبواب البيت
حتى أثناء الليل .. أما توم فقد كان الدخول من
الباب الخلفي يعتبر أمرا سهلا بالنسبة له .. وبحث
عن طريقة أخرى أكثر تعقيدا .. فتسلىق السقف
المائل .. وتسلل إلى الغرفة من خلال النافذة .. هذه
هي الطريقة التي ترضيه .. !

وعندما انبليج نور الصباح .. نزلنا إلى فناء
البيت ، وأخذنا ندلل الكلاب ونربت على شعرها لنكسب
مزيدا من صداقتها .. وقابلنا الخادم الزنجي نات الذي
يقوم بحمل الطعام إلى جيم .. وكان يحمل في يده
صينية صغيرة عليها بعض الخبز واللحم ، ومتخدنا
طريقه إلى الكوخ ..

كان نات ذا وجه بشوش ويضفر شعره المحمد
عدة ضفائر مربوطة بالدوبار .. وقال لنا انه يفعل
ذلك لتعاشي اعمال الساحرات الشريرات .. وقال لنا
أيضا انه أصبح يعاني في هذه الليالي من أعمال
الساحرات الشريرات .. حيث أصبح يرى جميع أنواع
الأشكال الغريبة ، ويسمع جميع أنواع الأصوات
الغربية ..

وسأله توم في بساطة :

- طعام من هذا .. ؟

فابتسم نات ابتسامة طيبة وقال :

- اذا كنتما تريدان الذهاب معى لتعرفا طعام من
هذا .. فتعاليا ..

وذهبنا معه نحو الكوخ .. وكنت أخشى ما سوف
يحدث عندما يفاجأ جيم بروبيانا .. وحدث بالفعل
ما توقعته .. فبمجرد أن شاهدنا جيم حتى صاح
فرحا :

— ماذا ! ١٩ ٠٠ هَكْلِبَرِي فِين ٠٠ وَسَيِّدِي مُسْتَر
١٩ ٠٠ تُوم

وَعِنْدَئِذ قَالَ نَاتٌ مُنْهَشًا :

— يَا لِلَّسْمَاء ٠٠ هَلْ يَعْرَفُكُمَا يَا سَيِّدِي ٩ ٠٠
فَنَظَرَ تُومُ إِلَى نَاتٍ نَظَرَةً مُتَعْجِبَةً ، وَقَالَ :
— مَنْ هُوَ الَّذِي يَعْرَفُنَا ٩ ٠٠ .

فَقَالَ نَاتٌ :

— هَذَا الْعَبْدُ الْهَارِبُ ١ ٠٠ !

فَقَالَ تُومُ بِشَبَّاتٍ :

— لَا ٠٠ لَا أَعْتَدَ أَنَّهُ يَعْرَفُنَا !
— وَلَكِنَّهُ يَا سَيِّدِي صَاحِبُ فَرْحَانٍ وَنَادِيَّا كَمَا
بِاسْمِيكُمَا ٠٠

فنظر اليه توم نظرة مواسية ، ومدعيا القلق على
حالة المسكين ثابت .. و قال مندهشا :

- هذا أمر عجيب يانات .. من ذا الذي صاح
فرحا .. ومتى صاح فرحا .. وماذا قال عندما صاح
فرحا ..

ثم نظر توم الى وسائلني :

- هل سمعت أحدا صاح فرحا !

فقلت على الفور :

- لا .. لم أسمع أى شيء ..

وعندئذ التفت توم الى جيم ، وأخذ يتفحصه
كما لو كان يشاشة لأول مرة ، وسأله بعد فترة :
- هل صحت فرحا !

فقال جيم بعد أن فهم اللعبة :

- لا .. لم أقل شيئا ..

وسائله توم :

- هل تعرفنا .. هل رأيتنا من قبل ؟ ..
- لا ياصيدي .. لا أعرفكم .. ولا رأيتكما من
قبل .. !

وعندئذ نظر توم الى نات وسائله بغضب :

- هاه .. والآن ما رأيك ؟

فقال نات مستسلما بصوت مرتعش :

- لا أدرى يا سيدي .. إنها أعمال الساحرات
الملعونات .. ولكنني أرجوك يا سيدي لا تخبر أحدا
 بذلك .. فسيدي مستر سيلاس فلبس سيعاقبني ..
 لأنه قال لي مرات عديدة انه لا توجد في الدنيا ساحرات
 شريرات مثلما اعتقاد .. !

واعطاه توم قطعة معدنية من النقود ، ووعده
 بأنه لن يخبر أحدا بحالته تلك .. وعندما خرج نات

من باب الكوخ ليرى القطعة المعدنية فى ضوء النهار ،
وليجز عليها بأسنانه ليتأكد من أنها غير مغشوشة ..
تقدم توم الى جيم وهمس له :

- ظاهر دائماً بأنك لا تعرفنا .. واذا منعك
أصوات حفر أثناء الليل ، فاعلم أننا نحفر ثقنا يصلح
لhero بك .. إننا ننفذ خططة لاطلاق سراحك !!

الفصل السادس عشر

فن اختراع المصاعب !٠٠

ما زالت أمامنا ساعة كاملة قبل أن يحل موعد الافطار .٠٠ لذلك فقد توجهنا إلى الغابة ، لأن قوم قالوا إننا سنحتاج إلى ضوء عندما نقوم بحفر النفق أثناء الليل .٠٠ وقد استبعد فكرة الاستعانة بضوء المصباح لأنه أكثر من القدر المطلوب للحفر ، كما قد يكشفنا فتفسد العملية ، بالإضافة إلى تعرضنا للمتاعب .٠٠ ولذلك فقد قمنا بجمع حزمة من « النار

التعلبية ، (١) .. التي تشع ضوءاً ناعماً خافتًا أثناء
الظلم .. وقمنا باخفاء ما جمعناه من هذه النار
التعلبية .. وجلسنا للاستريح .. وقال توم :

- المصيبة أن هذه العملية قد أصبحت سهلة
تماماً .. بحيث يصعب تنفيذها كخطوة صعبة ! ..
فمن الضروري مثلاً أن يكون هناك حارس تقوم
بتخديره .. أو يكون هناك كلب نعمل على إسكاته ..
ولكن عمليتنا للأسف سهلة جداً وخالية من التعقيدات
والصعوبات ! .. إن رجل حييم مربوط بسلسلة مشتبة
في رجل السرير .. ومن السهل جداً أن نقوم برفع
رجل السرير ونفك السلسلة .. فما هذا .. أليس
هناك شيء أكثر صعوبة ؟ .. كما أن العم سيلاس
فلبس يشق في الجميع ولا يشتك في أحد .. انه يعطي
المفتاح ببساطة إلى نات ، دون أن يرسل وراء نات

(١) Fox Fire مادة شبه فوسفورية تنتج من تحلل بعض قطع
الأخشاب وأفرع النباتات بعد تعطتها « المترجم »

شخصا يراقبه .. لماذا أصبح كل شيء سهلا على هذا النحو .. أين الصعوبات أذن؟ .. وإذا لم تكن هناك صعوبات في تنفيذ هذه العملية ، فان علينا أن نخترع هذه الصعوبات بأنفسنا .. أليس كذلك يا هك؟ .. وعلى أية حال فان علينا الآن أن نبحث عن شيء يصلح كمنشار !!

فقلت مندهشا :

- وماذا سنصنع بهذا المنشار؟ ..

فقال توم على الفور :

- تقول ماذا سنصنع بهذا المنشار .. هه .. أليس علينا أن ننشر رجل السرير حتى نفك السلسلة التي ربطت فيها رجل جيم؟ ..

- ولكنك قلت منذ لحظة أن في استطاعتنا أن نرفع رجل السرير فقط ونمرر السلسلة من تحتها ونفكها .. وهذا أمر سهل جدا يا توم !!

- لماذا تقول ذلك يا هكليبرى فين .. ألم تقرأ
في حياتك كتابا واحدا؟! .. ان الكتب تقول ان اطلاق
سراح سجين يمثل هذه الطريقة الصبيانية السهلة أمر
لا يستحق العناء ولا التفكير ولا تشغيل الذهن ..
وجميع الخبراء يقولون في مثل هذه الحالة ، ان من
الضروري نشر رجل السرير بالمشاركة .. وأن يتسلع
النشارة حتى لا يعثر عليها أحد ويكتشف الأمر .. كما
يجب أن نلعن مكان النشر ببعض الشحم والقدارة حتى
يصعب على العين الخبيرة ، مهما كانت خبيرة ، أن
تكتشف أن رجل السرير منشورة .. وبذلك تتم
الخدعة .. لا بد أن ننشر أولا رجل السرير ، حتى
إذا حل موعد تنفيذ عملية اطلاق سراح السجين ، فلن
يكون علينا الا أن نضرب رجل السرير ضربة خفيفة ،
فيسقط الجزء المنشور منها ، ونسحب السلسلة ..
وبذلك تنتهي أول عقبة .. وليس عليك بعدئذ الا أن
تفتح النافذة وتتمرد من خلالها العجل المجدول الذي
ستستخدمه كسلم للهبوط الى الأرض .. وفجأة

ستكتشف أن الجبل الذى استخدمته يقل تسعة عشر
قدما عن الطول المطلوب ، فتضطر عندئذ الى القفز الى
الارض ، فتنكسر رجلك .. ولكنك تحتمل الألم ،
ويأتى خدمك المخلصون ومعهم حسان يساعدونك فى
الصعود الى ظهره .. وعندئذ تنطلق الى عالم الحرية
وتعود الى موطنك .. انه عمل عظيم يا هك ، وليس
بالعمل الهين .. صدقنى .. ليتنا نجد حفرة بجوار
الکوخ لنسقط فيها بعد أن نهبط بالجبل المجدول الذى
سنستخدمه كسلم .. على أية حال فإذا كان لدينا وقت
كاف فى ليلة الهروب .. فلا بد أن نقوم بحفر حفرة
تصلح لذلك ..

وهنا سالت توم سؤالا ذكيا :

- لكن .. ما فائدة مثل هذه الحفرة .. ما دمنا
سننطلق سراح جيم عن طريق حفرة نفق تحت
الارض !؟ ..

ولكنه لم يسمعنى .. كان مستغرقا فى تفكير

عميق ، وتبعد عيناه سارحتين فى مكان بعيد .. وتنهد
بعد لحظة ، وقال وهو يهز رأسه يائسا :

- لا .. لا .. هذا ليس ضروريًا بالمرة !!

فتسأله :

- ما هذا الذى ليس ضروريًا بالمرة ؟ !!

- أن تقوم بنشر رجل جيم وقطعها !!

- يا حفيظ ! .. ان هذا ليس ضروريًا بالطبع ..

ولماذا بحق السماه تفكير فى أن تنشر رجل جيم
وتقطعها !!

- كثير من الخبراء يقولون ذلك .. وعملوهـا
فعلا .. فعندما تعتذر فك السلسلة قاموا بقطع أيديهم
وأفلتوا بذلك من السجن .. ولكن ما دامت السلسلة
مربوطة فى رجل جيم وليس مربوطة فى يده ، فعندئذ
يمكن قطع الرجل بدلا من قطع اليد .. ولكن جيم لن
يتفهم الأسباب التى تدعونا الى قطع رجله طبقا للخطط
المتبعة فى أوربا .. ولهذا فسوف نستبعد هذه الفكرة ،

ولكن بشرط واحد ، هو أن يستعمل جيم العجل
المجدول كسلم للهبوط .. ولذلك فعلينا أن نقطع
ملاءات السرير الى أشرطة تجدها في بعضها على شكل
سلم .. وبعد أن نصنع هذا السلم علينا أن نقوم
بتهريبه الى جيم حتى يكون مستعدا لاستعماله في
الوقت المناسب .. و يمكننا أن نهرب هذا السلم بداخل
قطيرة .. وهي الطريقة المفضلة لدى الخبراء ..
وكثيرا ما هربوا مثل هذه الأشياء داخل الفطائر التي
ترسل الى المسجونين بطريقة سرية .. وأنا شخصيا
أكلت بعض الفطائر السيئة التي يحتمل أن تكون
مصنوعة مثل هذا الغرض .. !

- ما هذا الذي تقوله يا توم سوير .. ولماذا
تفكر في مثل ذلك .. ان جيم لن يكون بحاجة أبدا
إلى مثل هذا العجل المجدول على شكل سلم !

- هه .. من الأفضل لك أن تقول أنك لا تعرف
 شيئا عن مثل هذه الأفكار .. يجب أن نقوم بتهريب
العجل المجدول الى جيم .. الجميع يفعلون ذلك !

- ولكن يحق السماء .. ماذا سيصنع جيم بهذه
الحبل المجدول ؟ .. !

- تقول ماذا سيصنع به ؟ .. أن في امكانه
أن يخفيه تحت السرير .. ألا يستطيع ذلك .. هذه
وسيلة سهلة صنعتها الجميع من قبل .. ولنفرض
أيضاً أن جيم لن يستخدم هذا الحبل المجدول ..
يكفى أن يخفيه تحت السرير ، ولتصبح هذا الحبل
المجدول لغزاً عندما يكتشفون مكانه بعد أن يهرب ..
وربما سيصبح هذا الحبل المجدول دليلاً . بالنسبة
للمحققين الذين يبحثون عن الأدلة !

قلت مستسلماً :

- حسن يا توم .. ولكننا اذا مزقنا ملائات
السرير فستخلق لأنفسنا الكثير من المتاعب مع الحالة
سالى .. ولدى فكرة أخرى .. سأقوم بسرقة « حبال
الفسيل » التي تنشر عليها الملابس .. ما رأيك .. ؟ .. !

فواافق توم على تلك الفكرة التي أوحى اليه بفكرة
أخرى ، فقال لي موسيا :

- وعليك أيضا أن تسرق قميصا يا هك !
- وماذا سنصنع بهذا القميص يا توم ؟
- سنعطيه لجيم ليكتب على كمه بعض الكلمات
والذكريات التي يصادفها أثناء سجنه . . .
- ولكن جيم أمن لا يعرف كيف يكتب . . .
- هذا لا يهم . . . يمكنه أن يكتب بعض العلامات
. . . ليس في وسعه أن يقوم بذلك . . . ولكن علينا
أيضا أن نهرب إليه مع القميص قلما . . . قلما مصنوعا
من يد معلقة أو من قطعة قديمة من الحديد . . .
- ولماذا نستخدم معلقة أو قطعة قديمة من الحديد
في صنع القلم . . . أليس من الأفضل والأسرع أن نصنع
قلما من ريشة تخليها من جناح أحد الطيور !؟ . . .
- هاه . . . يا لك من غبي . . . ان المساجين
يوضّعون في سجون معلقة لا تطير فيها الطيور رائحة

غادية حتى يخلعوا ريشة من أحد أحججتها . . . أنهم دائمًا
يصنعون أقلامهم من بقايا شمعدان نحاسي قديم أو شيء
مثل ذلك . . . وقد يستغرق منهم هذا العمل شهوراً
وشهوراً . . . لأنهم يبردون المعدن بحكة في الحاطن إلى
أن يتم صنع القلم في النهاية . . . وحتى لو كانت لديهم
ريشة من جناح أحد الطيور ، فلن يستخدموها كقلم
للكتابة . . . لأن هذه الطريقة غير شائعة بين
المساجين . . . !

- طيب . . . وكيف سيستخدم جيم القلم في
الكتابة دون أن يكون لديه حبر !؟ . . .

- بعض المساجين يصنعون حبراً من صدأ الحديد
المخلوط بالدموع . . . ولكن مثل هذا النوع من العبر
مستخدم كثيراً بواسطة النساء السجينات . . . أما الخبراء
من الرجال المسجونين فيستخدمون دماءهم كعمر
للكتابة . . . وفي استطاعة جيم أن يفعل ذلك . . . فعندما
تكون لديه الحاجة لارسال رسالة سرية غامضة ، ليبلغ
فيها العالم بالمكان الذي يقع فيه سجنه ، أو أية رسالة

آخرى من هذا القبيل ، فان عليه أن يكتب هذه الرسالة
على سطح قطعة من الصفيح ويلقىها من النافذة ..
بعض المشهورين من المساجين كانوا يفعلون ذلك ..
وهي طريقة جيدة في الوقت نفسه ..

- ولكن جيم ليس لديه قطع من الصفيح تصلح
للكتابة على سطحها ..

- هذه ليست مشكلة عويصة .. يمكننا أن
نهرب إليه بعض قطع الصفيح .. !

- ولكن ما فائدة هذه الرسائل التي سيكتبهما
جيم على قطع الصفيح .. !؟

- قد لا تكون هناك أية فائدة على الإطلاق .. بل
ربما ستضيع وقتك كله في محاولة قراءة ما كتبه أحد
السجناء على قطعة من الصفيح .. !

توقف توم عن الكلام عندما سمعنا صوت النغير
المصنوع من قرن أحد الحيوانات ، معلنًا حلول موعد
تناول طعام الافطار .. فأسرعنا عائدين إلى البيت ..

وبعد ذلك قمت بسرقة ملامة وقميصا أبيض كانا
منشورين على جبل الفسيل .. ووضعت هذه
المسروقات في حقيبة قديمة .. ثم ذهبت إلى الغابة
وأحضرنا « النار الثعلبية » ووضعتها في الحقيبة
.. أيضا

وأخذنا نراقب المكان جيدا حتى تأكد لنا عدم
وجود أي شخص في فتاء البيت ، وعندئذ تسفلت توم
ووضع الحقيبة في العشة الملائقة للكوخ ، بينما توليت
أنا أعمال المراقبة ..

وجاءنى توم بعد أن خرج من العشة وقال بشبات :

ـ الآن أصبحنا مستعدين بكل شيء ، فيما عدا
الأدوات التي سنتعملها في حفر النفق ..

فقلت لأذكره بالأشياء والأدوات الزراعية الموجودة
بالعشة :

ـ لا تكفينا هذه الأدوات الموجودة بالعشة ..

فضحك ساخراً وقال :

- يا هك فين ! .. هل سمعت من قبل أن سجيننا
كان لديه جاروف وعتلة من الحديد .. وهل هذا
معقول .. إن مثل هذا السجين قد يكون لديه أيضا
مفتاح السجن .. هل هذا معقول ؟ !

- طيب .. لنفرض أننا لن نستخدم الجاروف
والعتلة الحديدية .. كيف سنحفر التفهق ؟

- سنستخدم السكاكن ! .. إننا في حاجة إلى
سكنين .. !

- هذه فكرة غبية جداً يا توم .. هل سنحفر
التفهق بالسكاكن ؟ !

- لا يهم إذا كانت هذه الفكرة غبية أو ذكية ..
فجميع المساجين قد استخدمو السكاكن في حفر
أنفاقهم .. كانوا يحذرون بالسكاكن ليس في التربة
الترابية الهشة فقط ، بل وفي الصخور الصلدة . أيضا
.. وكان هذا العمل يستغرق في العادة فترات طويلة
جداً .. هناك مثلاً ذلك السجين الذي كان محبوساً في

قلعة دي ايف بميناء مارسيليا بفرنسا .. لقد حفر
لنفسه نفقا هرب منه .. هل تدري ما هو الزمن الذى
استغرقه حفر هذا النفق ؟!

- لا أدرى .. ربما استغرق شهرا ، أو شهرين
ونصف .. !

- هه .. لقد قضى هذا السجين سبعة وثلاثين
عاما حتى انتهى من حفر النفق الذى امتد من فرنسا
حتى الصين ! .. هذه هي الطريقة المثل لحفر الانفاق
التي يهرب منها المساجين .. !

- لنفرض .. ولكن جيم لا يعرف أحدا في
الصين .. !

- وهل تظن أن السجين الفرنسي كان يعرف في
الصين أحدا ؟ .. هذا لا يهم .. !

- وهو كذلك يا توم .. ولكنني أرجوكم أن تذكرو
أن جيم رجل عجوز .. ولا يمكنه البقاء حيا حتى تنتهي
من حفر النفق بالسلاسل .. بعد سبعة وثلاثين عاما ..
ليخرج بعد ذلك حررا في الصين ..

- ليس من الضروري أن يخرج في الصين ..
يمكنه أن يخرج من النفق في نيو أورليانز .. كما أن
هناك شيئاً أريد أن أقوله .. فليس من الضروري أن
نستمر في الحفر لمدة سبعة وثلاثين عاماً .. إن بوسعنا
أن ننتهي من حفر النفق بأقصى سرعة وفي أقصر وقت
ممكن ، ولكن علينا أن نتظاهر بيمنا وبين أنفسنا ، أننا
قد قضينا في الحفل سبعة وثلاثين عاماً . فما رأيك ؟!

وعندئذ تنهت قائلة :

- هذا كلام معقول جداً .. وأنا شخصياً لن يهمني
أن أتظاهر بيمني وبين نفسي ، أني قضيت في حفر النفق
خمسين أو حتى مائة سنة .. سأذهب فوراً لاحضار
السجينين !

فقال توم :

- بل أحضر ثلاثة سكاكين .. إننا نريد سكيناً
إضافية لاستخدامها كمنشار !

لقللت وقد أوشك صبرى أن ينفد :

- توم بحق السماء .. . وإذا كان هذا غير مخالف
للنظام أو غير مخالف للدين .. . هناك منشار قد يم
ضىء ملقى فوق السور .. . يمكننى أن أحضره لك اذا
كنت تريده حقاً أى منشار .. .

لقال توم بصوت يائس :

- يبدو أنك لن تتعلم شيئاً يا هك مهما حاولت
أن أعلمك .. . اذهب فوراً وأحضر السكاكيين الثلاث كما
قلت لك !

وذهببت .. . وأحضرت السكاكيين !

الفصل السابع عشر

الحفر ..

وبعد أن تأكدنا من أن الجميع قد ذهبوا للنوم في تلك الليلة ، غادرنا غرفتنا من خلال النافذة ، ومبطئنا على السقف المنحدر ، ثم على عمود النور ، واتجهنا مباشرة إلى العشة . ودخلنا وأغلقنا الباب من الداخل .

وعلى الفور أخرجنا « النار الشعلبية » ، وبدأنا عملية تجهيز أرض العشة لحفر النفق الموصل إلى الكوخ . ثم بدأنا بعد ذلك عملية حفر الأرض بالسكاكين .

وأخذنا تحفراً وتحفراً بالسكاكين إلى أن انتصف

الليل وشعرنا بالتعب والارهاق الشديد ، وتوقفنا عن الحفر عندما صارت أيدينا تؤلمنا غاية الألم وأصبح من المستحيل مواصلة الحفر باستخدام السكاكين .. فبعد كل هذا العناء والآلم ، تبين لنا أن السكاكين لا تصلح لحفر النفق بهذه الطريقة .. وارتيمينا على الأرض منهكين .
وعندئذ قلت لتون :

- هاه .. ما رأيك يا توم .. ماذا نفعل الآن ؟

فقال توم بعد أن فكر قليلا :

- سأخبرك .. ليس أمامنا سوى حل واحد ..
أنه حل غير سليم وغير أخلاقي ، وكنت أريد أن أجنبه واتحاشاه .. ليس أمامنا سوى أن نستخدم الجاروف والعتلة الحديدية .. بشرط أن نتظاهر بيتنا وبين أنفسنا أنها نستخدم السكاكين !

عندئذ صحت فرحا :

- هذا هو الكلام المقبول .. وأنا شخصيا لا أعتن بالجانب الأخلاقي لهذا الحل .. ان الجاروف والعتلة

المهدية هما أصلح الأدوات لحفر النفق الذى سيؤدى
إلى اطلاق سراح جيم ..

فقال توم بعزم :

ـ ان لنا بعض العذر لاستخدام العتلة المهدية
في الحفر مع التظاهر بأنها سكين .. والآن .. أنا لا
أريد أن أقف هكذا وأرى جميع القواعد وهي تتحطم
 أمامي .. اعطني السكين !!

قال توم ذلك وهو يمسك بسكينه في يده ..
لذلك لم أجده أمامي الا سكيني فأعطيتها له .. فأخذها
مني والقاما على الأرض ، وقال آمراً :

ـ قلت لك اعطني السكين !!

احتربت قليلا ولم ادر ماذا أفعل .. ولكنني فهمت
أخيرا أن توم كان يريد أن أعطيه العتلة المهدية ،
وأتظاهر بأنى أعطيه السكين ، وفي الحال ، أعطيته
العتلة التي كانت مركونة على أحد جدران العشة ..

فأمسكها في يده .. وجلس على الأرض .. وبداً يحفر
بهمة دون أن ينطق كلمة واحدة ..

وأمسكت بالجاروف وببدأت أرفع التراب .. ثم
تبادلنا الأدوات فأعطاني العتلة الحديدية وأعطيته
الجاروف .. وواصلنا الحفر على هذا النحو لمدة نصف
ساعة ثم توقفنا لأننا كنا منهكين .. وخرجنا من العشة
وأغلقنا بابها من الخارج ، ثم توجهنا إلى البيت ..

دخلت أنا من الباب الخلفي ، وصعدت درجات
السلم حتى وصلت إلى الغرفة .. وعندي نظرت من
النافذة ، شاهدت توم وهو يحاول أن يتسلق عمود
النور ليقفز منه إلى السطح المائل ليدخل بعد ذلك من
خلال النافذة .. ولكن جميع محاولاته قد باءت بالفشل ،
لأن يديه كانتا تؤلمانه ، وسمعته يقول :

- لا فائدة .. يبدو أن تنفيذ هذه العملية أصبح
صعباً ومستحيلاً .. ماذا يألك .. أليس لديك فكرة
تساعدني على الخروج من هذا المأزق .. !

فقلت له متربداً :

- نعم لدى فكرة سهلة ولكنها قد تكون مخالفة
للقواعد الأخلاقية ٠٠ ما رأيك أن تصعد على درجات
السلم ، وتنظاهر بينك وبين نفسك أنك تتسلق عمود
النور ٠٠

واقتنع توم بهذه الفكرة ٠٠

وفى صباح اليوم资料，قام توم بسرقة ملعقة
وشمعداناً صغيراً من النحاس ليصنع منها القلم الذى
سنهر به الى جيم ، كما سرق أيضاً ست شمعات ٠٠ أما
انا فقد سرقت ثلاثة قطع من الصفيح ٠٠ وقال توم ان
قطع الصفيح هذه غير كافية لكتابه الرسائل التي
سيلقيها جيم من نافذة السجن ٠٠ فقلت له انها كافية
للستخدام فى هذه المهمة ، فعندما يقوم جيم بالقاء
الرسائل المكتوبة على قطع الصفيح من النافذة ٠٠ فان
هذه الرسائل ستتسقط على الأعشاب التي تنبت بجوار
الكون ، وعندها يكون بامكاننا ان نلتقطها ونعيدها

إليه ليكتب عليها من جديد .. وهكذا .. واقتضى توم
بتلك الفكرة !

وفي الساعة العاشرة من تلك الليلة ، وبعد أن
تأكدنا من أن الجميع قد خلدوا إلى النوم .. غادرنا
الغرفة من خلال النافذة هابطين على السقف المائل ثم على
عمود النور ، واتجهنا فوراً إلى العشة ، وأمسكنا
بالجاروف والعلبة الحديدية ، وببدأنا نحفر بهمة
شديدة لمدة ساعتين ونصف ساعة إلى أن انتهينا تماماً
من حفر النفق !

وكانت فتحة النفق تقع تماماً تحت السرير الذي
ينام عليه جيم بداخل الكوخ .. وزحفنا عبر النفق
وأصبحنا بداخل الكوخ حيث كان جيم نائماً ..
وأشعلنا شمعة .. وتبين لنا على الفور أن جيم يبدو في
صحة جيدة ، فأيقظناه بلطف وبالتدريج حتى لا يفاجأ
بوجودنا .. ولكنه أصبح في غاية السرور عندما رأانا
أمامه .. فأخذ يشكرنا ويعرف بفضلنا بكلمات طيبة .

وطلب منا جيم أن نبحث عن أداة لكسر السلسلة

التي تربط قدمه لينطلق هاربا دون أن يضيع الوقت . . .
ولكن توم اقنعه بأن هذه الطريقة تخالف القواعد
الصارمة . . . وأخذ يشرح له الخطط التي وضعها لإطلاق
سراحه طبقاً للقواعد والأصول التي يتبعها الخبراء . . .
وأبدى له استعداده لتغيير هذه الخطط أو تعديلها متى
كانت هناك ضرورة لذلك .

وطمأنه توم بأن كل شيء على ما يرام ، ولا داعي
للزعج ولا مكان للمخوف . . . وعلى هذا فقد أطمأن جيم
وببدأ يتحدث عن ذكريات الماضي وعن المفاسد التي
قمنا بها . . . كما شرع توم في القاء العديد من الأسئلة
. . . وقال جيم أن العم سيلاس فلبس كان يزوره كل يوم
أو يومين ليشترك معه في أداء الصلوة . . . وأن الخالة
سالي تحضر إليه أيضاً لطمأنه على راحته وتقديم اليه
مزيداً من الطعام . . . وأثنى جيم على العم والخالة ثناء
طيباً . . . وقال انهما عطوفان ورحيمان ويستحقان كل
شكراً وعرفان . . .

وهنا طرأت في ذهن توم فكرة جديدة ، فقال
فرحا :

- شيء عظيم .. لا بد أن نستخدم كلًا من العم
والخالة في حمل الرسائل اليك دون أن يشعر أى
منهما بذلك .. أني أعرف تماماً كيف أتسنى تنظيم
وتنفيذ هذه الخطة !

فصححت مذاعورا .

- لا يا توم .. أرجوك .. لا تفعل شيئاً مثل
ذلك .. ان هذه أغبى فكرة سمعتها في حياتي .. !
ولكنه لم يهتم بما قلت وتجاهلني .. وكانت هذه
هي طريقة المفضلة عندما تطراً مثل هذه الأفكار على
ذهنه ويصمم على تنفيذها ..

وأخذ توم يحكي لجيم تفاصيل خططه .. وأخبره
بانه سوف يرسل اليه العجل المجدول على شكل سلم
بداخل كعكة كبيرة سيحضرها اليه الخادم نات .. وأن
عليه أن يخرج العجل من الكعكة دون أن يلاحظ نات
ذلك ..

وقال توم أيضا انه سيرسل الى جيم بعض الاشياء
الصغريرة بداخل جيب المطف الذى يرتديه العم
سيلاس ، وأن على جيم أن يقوم بسرقة هذه الاشياء دون
أن يلاحظ العم ذلك .. كما قال أيضا انه سيتعلق بعض
الرسائل باربطة المريضة التى ترتديها الحالة ، ليتقطها
جيم عندما تحضر الحالة لزيارتة .. كما طلب من جيم
أن يكتب مذكراته على قماش القميص وأن يستخدم دمه
كعبر للكتابة .. الى آخر مثل هذه الأفكار والخطط
الغريبة ..

وبطبيعة الحال لم يقتتنع جيم بهذه الأفكار
والخطط ، ولكنه قال لتوم انه سيحاول أن يقوم بتنفيذها ..
وكانت لدى جيم كمية من الطباقي ، فحسونا الباب
وأخذنا ندخن ، وقضينا وقتا سعيدا ..

وبعد فترة خرجنا من الكوخ زاحفين خلال النفق ،
واتجهنا الى غرفتنا بالبيت .. وكان توم فى قمة السعادة
والاحساس بالراحة والفرح .. وقال لي ان مثل هذا
العمل يعتبر من المغامرات الكبرى .. وأننا سنظل نذكره

طوال حياتنا .. وبوسعنا أن نستمر فيه لسنوات طويلة .. بل وندع مهمة تحرير جيم واطلاق سراحه لاولادنا بعد أن نموت .. وأكده توم أن جيم نفسه سيحب هذا العمل بعد أن يعتاد عليه .. كما أكد أن قصة هذه المفارقة ستتشاءع بين الناس بعد ثمانين سنة .. وعندها نصبح جميعاً من المشهورين !!

وفي صباح اليوم التالي ، ذهبنا ناحية كومة من الاخشاب كانت موضوعة بأقصى فناء البيت واختبأنا خلفها . وقام توم بتكسير الشمعدان النحاسي الى قطع صغيرة ووضعها في جيبيه مع الملعقة .. ثم توجهنا بعد ذلك الى المطبخ ..

ودون أن يشعر نات بشيء ، قام توم بوضع قطعة صغيرة من الشمعدان بداخل رغيف الخبز المخصص لجيم .. ثم ذهبنا الى الكوخ في صحبة نات الذي حمل الطعام الى جيم .. كنا فريداً أن نطمئن الى كيفية سير العمل .. !

وقد تم العمل بالفعل على خير وجه كان ي يريد

توم ، فعندما قضم جيم رغيف الخبز ، اطبقت أسنانه على قطعة النحاس المخبأة بداخل الرغيف ، وأوشكت أن تتحطم . . وعندما فهم جيم أن قطعة النحاس هذه مهرية إليه ، ظهرت بأنه قضم قطعة من الحجر ، حتى لا يفهم نات أي شيء من هذه الأسرار والأشياء الغامضة . ولكن جيم أصبح لا يضع أي طعام في فمه قبل أن يفرز الشوكة فيه مرة أو اثنتين ليتأكد من عدم وجود أي شيء آخر من تلك الأشياء المخبأة .

وكنا قد نسيينا أن نغلق باب العشة في الليلة السابقة . . لذلك فقد فوجئنا بظهور كلبين يخرجان من تحت سرير جيم بعد أن تسللا إلى الكوخ عبر الثقب . . ثم ظهر كلبان آخران . . ثم ثلاثة كلاب وهكذا إلى أن أصبح بداخل الكوخ أحد عشر كلبا ولم يعد هناك مجال للتنفس . .

ارتوى نات على الأرض واما على ركبتيه بين الكلاب وقد أصابه النعر فأخذ يشن وينوح كما لو كان يختضر . . وقال وهو يرتعش :

- الساحرات ٠٠ الساحرات ١

وفي هذه اللحظة فتح توم باب الكوخ والقى
بقطعة من اللحم خارج الكوخ ، فاندقت الكلاب كلها
نحوها .. وخرج توم من الكوخ لحظة ، اغلق فيها باب
العشة ، وعاد الى الكوخ مرة أخرى ..

انحنى توم على نات وأخذ يواسيه ويطيب خاطره .
ويسأله في شفقة عما اذا كان قد تخيل شيئاً من
الأشياء التي تحدثها له الساحرات ..

وعندئذ وقف نات مذهولاً وقال :

— أرجوك يا مستر سيد .. لا تظن أني قد جئت
.. أنا لست مجئونا يا مستر سيد .. ولكن رأيتهم
بنفسي .. أكثر من مليون كلب وشيطان لقد لامستهم
ولامسوني .. آه لو استطعت الامساك بواحدة من تلك
الساحرات الشيرات لا ادرى لماذا يلتحقنى على هذا
النحو .. لماذا لا يبتعدن عنى ويترکننى في حالى ؟

فیال توم ناصحا :

- أتدرى لماذا جاءتك الساحرات الشريرات فى هذا
الوقت المبكر وانت تحمل طعام الافطار لجيم .. انهن
بساطة يشعرن بالجوع .. وما عليك الا أن تصنع لهن
« كعكة الساحرات » .. !

فتساہل نات حائزہ :

- ولكنني يا ماستر سيد .. لا أعرف كيف تصنع
كعكة الساحرات هذه .. لم أسمع عن شيء مثل ذلك
من قبل ..

- لا تهتم .. سوف أصنعها لك بنفسى .. !

فال قوم بشپا :

- لا داعي لمثل ذلك .. سوف أصنع لك كعكة الساحرات لأنك انسان طيب .. وتعاملنا باحترام ..

ولكن هناك بعض الشروط لابد أن تنفذها بدقة .. فيجب أن تكون حريصاً وتحتفظ بهذا السر .. وعندما ترانا قادمين اليك في المطبخ عليك أن تعطينا ظهرك ، وعليك أن تظاهر بأنك لا ترانا ولا ترى ما سوف نضعه بداخل الكعكة .. وعندما تعطى الكعكة لجيم ، أدر وجهك عنه وأبعد عينيك حتى لا تراه وهو يفرغ الكعكة من محتوياتها .. يجب أن تفعل كل هذه الأشياء بدقة ، والا تسوف تتعرض الى متاعب الساحرات وغضبهن عليك .. كما أن هناك شيئاً آخر .. اياك أن تلمس الأشياء الخاصة بالساحرات التي ستتووضع في الطعام الخاص بتوم بين حين وأخر اياك أن تلمسها .. !

فقال نات موالفقا :

- كيف المسها يا مستر سيد .. هل أنا مجنون حتى أفعل شيئاً مثل ذلك .. انتي لن المس باصبعي أي شيء يخص الساحرات ولو أعطوني مليون دولار !!

الفصل الثامن عشر

تسع ملاعق أم عشرة .. والكعكة ذات المibel المعدول ..

أعددنا لكل شيء عدته .. وتوجهنا الى كوم القاسم
والمهملات الذي يقع خلف فناء البيت .. حيث عشرنا
على وعاء قديم من الصفيح رأينا أنه يصلح لعمل الكعكة
فأخذناه وذهبنا به الى غرفة المزین وملأناه بالدقيق ..
وعشرنا على مسمارين كبيرين قدر توم آنها يصلحان
للسجين .. حيث يتمكن من استخدامهما في حفر اسمه
وذكرياته وأحزانه على جدران السجن ..

وأسقطنا أحد المسارين بجحيب المريلة الخاصة
بالحالة سالى حيث كانت المريلة معلقة على أحد المقاعد .
كما شبكتنا المسار الثاني بحافة القبعة الخاصة بالعم
سيلاس والتي كانت موضوعة على المنضدة .. وقد قمنا
بذلك بعد أن عرفنا عن طريق الأطفال بأن العم سيلاس
والحالة سالى سيدصلان الى الكوخ لزيارة جيم . فانتهزنا
هذه الفرصة لتوصيل المسارين اليه ..

وعندما كنا نتناول طعام الافطار ، وضع توم ملعقة
في جيب معطف العم سيلاس الذي لم يشعر بذلك ..
وكانـت الحـالـة سـالـى غـير مـوجـودـة ولـكـنـها حـضـرـت بـعـد لـحظـة
وـكـانـت غـاضـبة محـمـرة الـوـجـه مـتـعـكـرـة الـمـازـاج ، وـقـالت للـعم
سيلاـس فـي يـأسـ :
— لقد بـحـثـتـ عـنـهـ فـيـ كـلـ مـكـانـ .. اـنـيـ أـكـادـ أـجـنـ ..
أـينـ اـخـتـفـيـ قـمـيـصـكـ الآـخـرـ .. ؟!

فـقـالـ العمـ سـيـلاـسـ :

— هـذـاـ شـيـ غـرـيبـ لـاـ أـسـتـطـيعـ أـنـ أـفـهـمـ .. وـلـكـنـيـ
مـتـأـكـدـ مـنـ أـنـنـيـ قدـ خـلـعـتـ هـذـاـ قـمـيـصـ ..

وقالت الحالة :

— طبعا خلعته .. وغسلناه .. ونشرناه بالأمس
على حبل الفسيل .. لقد رأيته بنفسه .. كذلك فقد
اختفت احدى الملاعق .. كان لدينا عشر ملاعق ..
انها الآن تسع ملاعق .. فلو افترضنا ان البقرة قد
أكلت القبيص وابتخلت .. فانها لا تستطيع ان تتبلغ
الملعقة أيضا .. هذا شيء اكيد .. وليت الأمر قد اقتصر
على ذلك .. وإنما هناك أشياء أخرى ..

فقال العم سيلامس مندهشا :

— ما هذا .. هل اختفت أشياء أخرى ..!

وقالت الحالة على الفور :

— اختفت سبعة شمعات .. ربما تكون قد أكلتها
الفتران التي تمرح في البيت بدون أن تفتك في أن تقوم
بسد جحورها .. لقد طلبت منك ذلك أكثر من مرة ..
ومع ذلك اذا كانت الفتران قد أكلت الشمع .. فلا يمكن
أن نتهمها باكل الملعقة .. أين اختفت الملعقة ..!

وقال العم :

- حاضر يا سالي .. سأقوم غدا بسد جميع
الجحور والشقوق التي تعيش بداخلها الفثran ..
وهنا دخلت الخادمة ليزا وقالت مدعورة :
- سيدتي .. لقد اختفت احدى ملايات السرير !!

فصاحت الحالة :

- يا للسماء .. وأين اختفت هذه الملاة
أيضا !! ..

وهنا قال العم سيلاس وهو يشعر بالأسف :
- أعدك يا سالي أنني سأقوم بسد جحور الفثran
اليوم .. ولن أؤجل هذا العمل الى الغد !!

فصاحت به الحالة :

- الزم الصمت .. هل تظن ان الفثran قد
أكلت ملاة السرير أيضا !! ..

ونظرت الحالة إلى الخادمة ليزا وقالت لها :

- وأين اختفت تلك الملاعة يا ليزا ..

- لا أدرى يا سيدتي .. لقد كانت معلقة بالأمه
على حبل الغسيل .. ولكنها غير معلقة الآن !

قالت الحالة بيس :

- هذه هي نهاية العالم .. لا بد أن القيامة
ستقوم الآن فورا .. إن هذه الأشياء لم يحدث مثلها
طوال حياتي .. لقد اختفى القميص .. ثم اختفت
الملاعة .. واختفت معلقة وست شمعات ..

وأضافت الخادمة ليزا :

- يا للمهيبة .. لقد اختفى أيضا الشمعدان
النحاسي !

صرخت فيها الحالة قائلة :

- أغربني عن وجهي والا ألتقي بك على الأرض !!
وهكذا وصلت الحالة سالى إلى قمة الميرة والغضب

وفقدت أعضائها تماماً .. وأخيراً .. وضع المعلم سيلاس يده فجأة في جيب معطفه .. وأخرج الملعقة من جيبيه وهو يشعر بالدهشة ..

فقالت الحالة سالي على الفور :

- تماماً مثلما توقعت .. لقد كنت تخفي الملعقة في جيبي طول الوقت .. ومن المحتمل أنك أخفيت الأشياء الأخرى أيضاً ..

فقال المعلم معتلراً :

- والله لا أعلم يا سالي كيف كان ذلك .. !

وصاحت الحالة فيينا جميعاً :

- اذهبوا كلّكم .. ابعدوا عنى .. ولا تعودوا مرة أخرى قبل أن يعود السلام إلى عقلي ويعود الهدوء إلى قلبي !

وخرجنا جميعاً من غرفة الطعام .. وبينما كنا نجتاز غرفة المعيشة ، مد المعلم سيلاس يده إلى المنضدة وأخذ قبعته .. وسقط المسamar الذي كنا قد شبكتناه

بحافة القبعة .. فمد العم يده الى الارض ، والتقاط
المسمار .. وببساطة شديدة وضعه على المنضدة !

وعندئذ قال لي توم :

- لن تكون هناك فائدة من استخدام العم سيلاس
في نقل رسائلنا الى جيم .. انه لا يصلح لذلك كما
رأيت .. ويعجب الا نعتمد عليه في شيء من هذا
القبيل مرة أخرى ..

واختار توم في موضوع الملعقة .. وأخذ يفكر
قليلًا ثم اهتدى الى فكرة .. وأخبرني بما علينا أن
نفعله .. فذهبنا الى المطبخ .. وأخرجنا السلة التي
تحتفظ فيها الحالة بالملاعق .. وانتظرنا ..

وبمجرد أن رأينا الحالة قادمة نحونا .. ظاهر
نوم بأنه يعد الملاعق بعد أن قام بصنفها في صفين واحد
وقدمت أنا باخفاء احدى الملاعق .. وقال توم للحالة :

- ماذا يا خالتى .. ان عدد الملاعق تسع ملاعق
فقط وليس عشر ملاعق كما تقولين ..

فقالت الحالة :

— اذهب والعب بعيدا ولا تحريرنى .. لقد عدلت الملاعق بنفسى وووجدتھا عشرة ..
ويبدو ان الحالة قد فقلت صبرها وأعصابها مره أخرى حين عدلت الملاعق وووجدتھا تسعا .. فقلت وهي لا تصلق نفسها :

— يالها من مصيبة .. انها تسعة ملاعق فقط ..
لماذا يا ربى تححدث مثل هذه الاشياء الغريبة .. سأقوم بعد الملاعق مره أخرى ..

وهنا وضعت الملعقة في السلة بسرعة بدون أن تلحظ الحالة حركة يدي .. وعدلت الملاعق بعنایة .. واحدة بعد أخرى .. فووجدتھا عشرة .. فقلت وهي تشعر بشئ من الراحة :

— الحمد لله .. انها عشر ملاعق الآن .. !

وعندئذ قال توم :

— لا أعتقد ذلك يا خالتى .. انها تسعة ملاعق فقط !

- كفى غباء .. لقد رأيتني وأنا أعدها ..
- نعم رأيتك وأنت تتعدين تسع ملاعق وليس
عشرا كما تقولين ..

- اذن ساعتها مرة أخرى ..!
وبسرعة التقطت من السلة ملعقة قبل أن تبدأ
الحالة في عدما .. وقامت الحالة بعد الملاعق ببطء ..
ملعقة ملعقة .. فوجدتتها تسعا .. ففقدت أعصابها
وأخذت ترتعش وقد أوشكت على الجنون ..

وأخذت تعد الملاعق مرات ومرات .. حتى اختلط
عليها الأمر في النهاية ، لدرجة أنها أخطأت وقامت بعد
السلة نفسها واعتبرتها ماعقة .. وهكذا عدت الحالة
الملاعق سبعة مرات .. فوجدتتها تسع ملاعق في ثلاثة
مرات ، وعشرين ملاعق في المرات الثلاث الأخرى ..

وأخيراً أمسكت الحالة بسلة الملاعق والقتها على
الأرض ، وطردتنا من المطبخ بعد أن قالت لنا إلا تريها
وجهينا قبل الظهر ، والا فانها ستقوم بسلح جلودنا ..
وفى أثناء ثورتها ، أسقطنا الملعقة فى جيب

هربلتها .. ونحن على يقين أن جيم سيلأخذ الملعقة
والمسمار عندما تزوره الحالة قبل الظهر .. وهذا ما حدث
بالفعل .. !

وفي تلك الليلة وضعنا ملاعة السرير مرة أخرى
على حبل الغسيل .. وسرقنا ملاعة أخرى من الدولاب
ثم أخذنا نعيده الملاعة إلى الدولاب ونأخذ الملاعة المنشورة
على حبل الغسيل لعدة أيام تالية ، حتى اخترط الأم
 تماماً بالنسبة للحالة ، وأصبحت لا تعرف على وجاهة
البيتين عدد الملاعات التي تستلکها .. بل وأعلنت بصراحة
أنها لن تهتم بعد الملاعات أيا كان .. ولا كيف تخفي
الملاعات ثم تظهر .. وقالت أنها بذلك تنقد حياتها
بدلاً من أن تموت من شدة الحسراة والغررة ..

وهكذا أصبح الموقف سليماً في النهاية ، بالنسبة
القميص والملاعة والملعقة والشماعات الست .. وكان
يضل ذلك راجعاً إلى البقرة وإلى الفتران وإلى الحيلة التي
معناها في خلط عدد الملاعق والملاعات .. أما بالنسبة
ل الشمعدان النحاسي ، فلم يكن موضوعه ذا أهمية
وصرعان ما نسي الجميع أمره ..

أما المشكلة الحقيقة ، فقد صادفتنا عند قيامنا
بصنع « كعكة الساحرات » التي كنا نريد تهريب الجبل
المجدول عن شكل سلم بداخلها .. لقد استغرق صنعها
عدة أيام ، وبذلنا فيه مزيداً من الجهد .. لقد اضطررنا
للذهاب إلى غرفة الخزين ثلاث مرات متتالية لتحصل
على عبوات من الدقيق .. وقد احترقت العجينة في
كل مرة محدثة دخاناً أسود يكاد يعم العيون ..
كنا نريد أن يكون السطح العلوي للكعكة محمراً بلون
داكن جداً - حتى يخفى الجبل المجدول المخبأ بداخل
الكعكة .. وفي كل مرة كانت الكعكة نفسها تحترق
هي وسطحها العلوي طبعاً ..

وأخيراً عثرنا على الطريقة الصحيحة لصنع كعكة
ذات سطح داكن اللون ، وتكون كافية في الوقت نفسه
لإخفاء الجبل المجدول .. وقمنا بزيارة جيم في الليلة
التالية وأخذنا معنا ملاعة السرير .. وأخذنا نمزق
الملاعة إلى شرائط طويلة جدّلناها في شكل ضفيرة
متينة .. وقبل أن تشرق شمس الصباح ، كنا قد
صنعنا جيلاً مجدولاً قوياً يمكن أن يستخدم في الشنق

من شدة متأنته وطوله .. وظاهرة نا بيننا وبين أنفسنا
بأن صناعة هذا الجبل المجدول قد استغرقت منا تسعة
أشهر كاملة !

وكنا قد قررنا أن نقوم بطبعي الكعكة في الغابة
بعيداً عن الأنظار .. لذلك فقد حملنا معنا معداتنا
وذهبنا إلى الغابة في صباح اليوم التالي ..

وما أن شرعنا في عمل كعكة الساحرات بالطريقة
الصحيحة ، حتى تبين لنا أن الجبل المجدول الذي
صنعناه يكفي وحده لصناعة أربعين كعكة .. وما يتبقى
منه بعد ذلك يكفي لعمل كميات هائلة من الشوربة.
وما يمكن أن تخيله من أطعمة أخرى .. وعلى هذا
فقد قررنا أن نكتفى بقطعة صغيرة من هذا الجبل
ونرمي أغلبها !

وكنا قد استولينا على « مدفأة السرير » الخاصة
بالعم سيلاس .. وهي عبارة عن كانون مصنوع من
النحاس له غطاء ، كان العم يستعملها لتدفئة السرير

في الليل الباردة .. وكانت هذه المدفأة خير وعاء
يصلح لصنع الكعكة ..

ولأننا المدفأة النحاسية بعجينة الكعكة ووضعنا
بداخلها قطعة الجبل المجدول ، وغطيناها وأشعلنا
النار تحتها ، ووضعنا فوق الفطاء أيضا بعض الأعشاب
المشتعلة لنضمن تحرير السطح العلوي للكعكة
بلون داكن ..

وبعد نحو خمس عشرة دقيقة من الطهي ومراقبة
النار .. نبحثنا في صناعة كعكة الساحرات .. وكان
منظرها الخارجي معقولا إلى حد بعيد ..

وهكذا حملنا الكعكة إلى البيت .. وأدار نات
عينيه عندما دخلنا إلى المطبخ ، ووضعنا كعكة
الساحرات ضمن محتويات صينية الطعام التي ستقدم
إلى جيم في الرابعة التالية .. كما وضعنا أينسا قطع
الصفيف الثلاث التي سيقوم جيم بالكتابة عليها ..

وبعد أن قدم نات صينية الطعام إلى جيم ، تجاشى
النظر إليه .. وقام جيم بتكسير الكعكة بنفسه ..

· وخرج منها قطعة العجل المجدول ، وخبأها بداخل
· قس المرتبة الموضوعة على السرير .. ثم قام جيم بعد
· ذلك بنبش بعض العلامات على قطع الصفيح ، وألقاها
· من نافذة الكوخ !! ..

الفصل التاسع عشر

القيام ببعض الأعمال الفظيعة !!

وكان صناعة الأقلام التي سيكتب بها جيم رسائله
تعتبر عملاً صعباً وشنيعاً للغاية .. وكذلك كانت
صناعة المنشار ..

وقال لنا جيم ان كتابة ذكرياته وأحزانه على
جدران الكوخ ستعتبر بالنسبة له أصعب الأعمال
قاطبة .. ولكن توم أصر على ذلك ، وقال ان كل
سجين لابد أن يترك مذكراته مدونة ومحفورة على
جدران السجن .. وقام توم بكتابه بعض النماذج التي
يدونها المساجين ، وأخذ يقرأها لنا ..

● هنا تعطم قلب سجين نبيل .. نساء
أصدقاء ونساء العالم .. !

● هنا عاش سجين كسير القلب .. ألقوا
به في غيابه هذا السجن العفن لمدة سبع وثلاثين
سنة !

● هنا مات سجين غريب ، بلا بيت ولا
أصدقاء ، وتجري في عروقه دماء ملκية ، بعد استمر
لسبع وثلاثين سنة يعاني المر والهوان .. !
كان صوت توم يرتعش وهو يقرأ لنا هذه
النماذج التي كتبها .. وكان ينفعل بشدة حتى خشينا
أنه قد أصيب بانهيار عصبي ..

وبعد أن انتهى توم من قراءة تلك النماذج ..
احتار في اختيار النموذج الذي سيكتبه جيم على
جدران سجنه .. لقد كانت كل النماذج جيدة وصالحة،
ولذلك فقد قرر توم أن يقوم جيم بكتابتها جميعا ..!
واعتراض جيم قائلاً بأن كتابة كل هذه النماذج
على الجدران الخشبية المكوح قد يستغرق منه أكثر

من عام كامل .. خصوصا وأنه سيستعمل مسمارا
في حفر الكلمات على ألواح الخشب .. بالإضافة إلى
أنه لا يعرف الكتابة أصلا ..

ولكن توم طمانه .. وقال له انه سيكتب الكلمات
بالقلم ، وأن على جيم أن يحفر الخطوط بالمسمار ..
وفجأة قال توم :

- ولكن المساجين لا يحفرون ذكرياتهم وأحزانهم
على ألواح الخشبية .. ان جدران السجون لا تصنع
من الخشب ، ولكنها تبني من الصخور والأحجار ..
لابد اذن أن تقوم باحضار احدى الصخور التي تصلح
لهذا الغرض !

وأصيب جيم بالذعر .. وقال ان الكتابة على
الصخر أسوأ بكثير من الكتابة على ألواح الخشب ..
وأنه سيقضى بقية عمره حتى ينتهي من كتابة كل هذه
النماذج .. ولكن توم طمانه مرة أخرى .. وقال انه
سيساعده بأن أساعد جيم في كتابة ذكرياته
وأحزانه ..

وأخذ توم يراقبنا - أنا وجيم - ونحن نصنع
بعض الأقلام التي سيسخدمها جيم في الكتابة على
الصخر .. وكنا نصنع هذه الأقلام من قطع الشمعدان
النحاسي التي جهزها توم بعد تكسير الشمعدان ..
وكنا نعاين صعوبة بالغة في عمل سنون تلك
الأقلام ..

وقال توم بعد أن برق في ذهنه فكرة جديدة :
- لقد جاءتنى فكرة عظيمة سنضرب بها
عصافورين بحجر واحد .. هناك رحى صخرية
موجودة بطاحونة الحبوب .. علينا أن نسرقها فورا
ونحضرها إلى هنا لأنها تحقق لنا غرضين هامين ..
حيث يقوم جيم بحفر ذكرياته على سطحها ، وحيث
يمكن أن نستخدمها في برى الأقلام وعمل سنون
الأقلام .. كما يمكن أن نسن بها حواف المنشار ..

وهكذا ذهبت مع توم لاحضار الرحى الصخرية
من الطاحونة .. وقد عانينا صعوبات عظمى في
زححة الرحى الصخرية الثقيلة من مكانها ، ومحاولة



الرحي الصخرية في طريقها الى الكوخ ..

دحرجتها أو تحريركها .. بل لقد كادت أن تدهمنا
الرحي وتسقط فوقنا ..

وعندما وصلنا إلى منتصف الطريق إلى الكوخ ؛
سقطنا منهكين من شدة التعب ، وكان العرق يتتساقط
منا بزيارة .. ولم نجد أمامنا وسيلة سوى استدعاء
جيم وابراجه من الكوخ ليساعدنا في هذا العمل
الشاق !

وقام جيم من فوق سريره .. وفك السلسلة
من رجل السرير ولفها حول رقبته .. ثم ساعدناه
في الزحف عبر النفق الذي حفرناه ، وخرجنا به حتى
موقع الرحي الصخرية .. وساعدت جيم في تحريك
الرحي ودحرجتها .. بينما وقف توم يلقي اليائسا
بتعليماته وأوامره .. لقد كان توم أقدر إنسان شاهدته
في حياتي على اصدار الأوامر والتعليمات !

وعندما وصلنا بالرحي الصخرية إلى العشرة
التي يبدأ عندها النفق الذي حفرناه .. تبين لنا أن
فتحة النفق ضيقة ولا تتسع لمرور الرحي وعندئذ

تقى جيم وأمسك بالعتلة الحديدية ، وحضر لتوسيع
فتحة النفق حتى أدخلنا الرحم من خلالها ٠٠

وقام توم بكتابه التمادج الخاصة بذكريات
السجين جيم وأحزانه على سطح الرحم ، وطلب من
جيم أن يحفر العروض والكلمات باستخدام المسamar
ومطرقة صغيرة من الحديد ٠٠ وأن يستمر في الحفر
باحفاء الرحم تحت مرتبة السرير المحسنة بالقشر
حتى يذوي ضوء الشمعة ٠٠ وعندئذ عليه أن يقوم
وي躺 عليها ٠

وفي النهاية ساعدنا جيم في ربط السلسلة
برجل السرير كما كانت من قبل ، وتأهينا للانصراف
٠٠ ولكن فكرة جديدة برقت في ذهن توم ، فصاح
فألا :

- جيم ٠٠ هل لديك هنا بعض العناكب ٠٠ ؟
- الحمد لله ٠٠ ليس لدى عنكبوت واحد
يا مستر توم !

- هذا لايهم .. سنتقم بالحضار بعض العناكب !

- لا .. أرجوك يامستير توم .. انى أخاف من العناكب الى درجة الموت .. وأخاف منها أكثر مما أخاف من الحيات ذات الأجراس !

وهنا طرأت في ذهن توم فكرة جديدة ، فقال بعد لحظة تأمل :

- هذه فكرة جيدة يا جيم .. لكن أين ستحتفظ بها يا جيم !!

ـ بالحية ذات الجرس !

- ولكن لماذا تخاف من الحية ذات الجرس الى
هذا الحد .. وعلـى أية حال يمكنك أن تتخلص من

كل هذا الخوف بعد فترة عندما تعتاد عليها .. إنك
 تستطيع أن تستأنسها ..

- استأنسها ؟ .. هذا مستحيل !

- لا .. إنه أمر في منتهى السهولة .. جميع
 الحيوانات يمكن أن تستأنس وتصبح وديمة اذا
 عاملتها بشفقة وحنان .. ولا يمكن أن يؤذى الحيوان
 شخصا يعطف عليه ويعامله برقة .. ان أى كتاب
 تفتحه تجد فيه هذه المعلومات .. وأنا متأكد من أن
 الحية ذات الجرس ستحبك وتنام معك على سريرك ..
 بل وستلتافي حول رقبتك لتداعبك .. وستضع رأسها
 بداخل فمك !

- أرجوك يا مISTER توم .. لا تقل مثل هذا
 الكلام أرجوك .. أنا لا أريد أن تضع الحية رأسها في
 فمي .. ولا أريد أن تنام معى على سريري !

وهنا قبل توم توسله وقال :

- طيب .. دعنا من الحية ذات الجرس ..

ما رأيك في ثعابين الأعشاب .. إنها لا تضر لأنها
خالية من السم .. ويمكنك أن تحفظ هنا بمجموعة
من هذه الثعابين .. وتعلق في ذيولها بعض الأزرار ..
وتتظاهر بينك وبين نفسك أنها حبات من ذات
الجرس .. واعتقد أن مثل هذا التظاهر يجوز في
بعض الأحيان ..

- انى لا أحب جميع أنواع الشعابين يامسترن توم
.. وأستطيع ان أعيش هاننا بدونها .. لم اكن
أتصور ان حياة السجين يمكن ان تصبىح صعبة وفظيعة
على مثل هذا النحو ..

- انها حياة صعبة بالفعل .. خصوصا اذا طبقنا جميع القواعد .. قل لي .. هل لديك فتران في هذا الكوخ ١٩٠٠

- لا ياسيدي .. لم أشاهد فى هذا الكوخ فارا واحدا ..

- اذن قسوف نحضر اليك بعض الفتنان !

— لماذا يا مستو توم .. أنا لا أحب الفتنان
ولا أريدها .. إنها أسوأ أنواع المخلوقات .. ورؤيتها
تصيب الجسم بقشريرة !

- ولكن يا جيم .. لابد أن تكون هناك بعض الفتن .. لا يمكن تصور أن هناك سجيننا بدون فتن .. فالمساجين دائماً يتعايشون مع الفتن ، ويغطّفون عليها ، ويقومون بتدريبها على عمل بعض الخداع والأشياء الأخرى .. وفي النهاية يصبحون أصدقاء للفتن ، وتصبح الفتن أصدقاء لهم .

وتنهد جيم مستسلما .. ومرت لحظات كان
توم يفكّر خلالها .. وعندما انتهى من تفكيره قال :
ـ هناك شيء آخر كدت أنساه .. هل تستطيع
أن تزرع زهرة في هذا الكوخ .. ؟

فقال جيم :

- يمكن استنبات أحد الأعشاب البرية الموجودة بكثرة خارج هذا الكوخ .. ولكن هذا عمل لا يستحق العناء ولا الجهد الذي سيبذل فيه ..

وقال توم مفترضا :

- لا .. من الضروري ان تكون هناك زهرة ..
وستحضر اليك أحد أعواد النبات لتزرعه هنا في هذا
الركن من الكوخ .. وليس من اللائق أن تسميه
عشبا بريا .. بل من الأفضل أن تسميه « بهجة
السجين » .. ويجب عليك أن ترعاه الى أن يكتمل
نموه ويزدهر .. وعليك أن ترويه بدموع عينيك !!

- لماذا أرويه بالمدوع يامستر توم .. لدى
الكثير من الماء .. ويمكنني أن أستقيه بسهولة ..

- هذا ضد القواعد .. وجميع المساجين يرددون
زهورهم الخاصة بالمدوع .. انهم يفعلون ذلك دائمًا ..

- ولكنني لا أستطيع ان اذرف الدموع هكذا
بسهولة .. بل انى لم ابك في حياتي سوى مرات
قليلة جدا .. فكيف اروى الزهرة بدموعي !؟

وشعرت بأن توم قد انهزم أمام هذا المنطق ..
ولكن توم لا يغلب أبدا .. فظل يفكر للحظة بسيطة ..

وقال بعدها أن جيم يستطيع أن يندرف الدمع بسهولة
إذا شم بصلة .. ووعده بأنه سيسفل في الصباح
إلى المطبخ ويسرق بصلة كبيرة سيهربها له بداخل
ابريق القهوة !

واعتراض جيم على ذلك قائلاً بأن وضع البصلة
بداخل الابريق سيفسد طعم القهوة .. واعتراض
أيضاً على قيامنا من قبل بتهرير الطباق بداخل ابريق
القهوة .. لأن ذلك قد أفسد الطباق وجعله غير صالح
للتدخين .. كما اعتراض كذلك على كثرة الواجبات
التي أصبحت ملقة على عاتقه .. فعليه أن يقوم
برعاية هذا العشب البري حتى يزدهر .. وأن يعقد
صداقه مع الفتران ويغطف عليها ويسليها .. وأن
يتعايش أيضاً مع الحيات والثعابين والعنакب وغيرها
من الحشرات الأخرى .. وفوق هذا كلّه عليه أن يقوم
بحفر الرحي الصخرية ليكتب ذكرياته وأحزانه على
سطحها بواسطة المسamar .. وهذه كلّها واجبات ثقيلة
ومسئوليات صعبة لا يستطيع أن يتحملها ..

وهنا فقد توم صبره ، وعاتب جيم قائلاً بأن
أمامه أعظم الفرص لكي يصبح من أشهر المساجين في
هذا العالم ، ولكنه يريد أن يضيعها بهذه الاعتراضات
غير المعقولة ..

واعتذر جيم لتسوم .. ووعده بأنه لن يعترض
مرة أخرى على أى شيء ..
وعندئذ خرجنا أنا وتوم من الكوخ .. وتوجهنا
إلى البيت !!

الفصل العشرون

الفثran والثعابين والرسائل المجهولة !

وفي الصباح ذهبنا الى القرية ، واشترينا مصيدة للفثran مصنوعة من السلك .. ووضعناها في مواجهة أحد الجحور الكبيرة بالبيت .. وفي خلال ساعة واحدة اصطدنا خمسة عشر فاراً من احسن الفثran ..

ووضعنا كل هذه الفثran في قفص خيانيه تحت سرير الخالة سالي .. ولكن أحد أبنائهما الصغار تسلل تحت السرير وفتح باب القفص ليرى ما اذا كانت الفثran ستفر من القفص أم تبقى فيه ..

وعدنا الى البيت على صراغ الحاله سالى ..
ووجدناها واقفة فوق السرير ، وتصرخ باعلى صوتها ..
والفنان تجري تحت قدميها وفوق السرير وفي كل
جوانب الغرفة .. وضررتنا الحاله بعضا كانت في
يدعا .. فجرينا الى الخارج .. قضينا نحو ساعتين
حتى اصطدنا خمسة عشر او ستة عشر فارا آخرين ! ..

كذلك فقد اصطدنا مجموعة كبيرة من العناكب
ومختلف الحشرات والمخلوقات الأخرى .. كما
اصطدنا نحو دستتين من ثعابين الأعشاب وثعابين
البيوت وضئناها في كيس خباناه بغرتنا ..

وبعد أن انتهينا من تناسول العشاء في تلك
الليلة ، وتجهنا الى غرفتنا ، فوجئنا بأن جميع
الثعابين قد هربت من الكيس ، لأننا فيما يبدوا لم
نكن قد أحكمنا إغلاق الكيس الذي يحتويها .. غير
أننا لم نهتم كثيرا بهروب الثعابين فهي ما زالت في
البيت وربما أخذت تتجول هنا وهناك في بعض

الحجرات ، لذلك فان من السهل أن تقوم بجمعها مرة أخرى .

ولكن الثعابين انتشرت في معظم أنحاء البيت ..
وكانت تظهر من مخايتها بين حين وآخر .. كنت تراها
مثلاً وهي تتسلل اليك من بين الشقوق أو من عوارض
النوافذ .. أو تجدها فجأة قد سقطت في طبقك وأنت
جالس إلى المائدة تتناول طعامك .. أو تزحف بعنومة
على قفاك وتدخل إلى ظهرك من خلال فتحة قميصك !! ..

ومع ذلك فقد كانت جميع الثعابين طيبة وغير
مؤذية ، بالإضافة إلى أنها كانت جميلة وهي تهادى
بیننا بأجسامها ذات الخطوط الملونة !

ولكن **الحالة سالي** كانت تخاف من جميع أنواع
الثعابين .. لا فرق بين المؤذية منها أو غير المؤذية ،
أو الملونة منها أو غير الملونة .. كانت الثعابين لديها
سواء .. وكانت تصايب برعوب قاتل حين ترى ثعباناً
يزحف نحوها ، أو حتى يزحف بعيداً عنها .. أما إذا
تجاسر ثعبان وزحف على ذراعها أو على صدرها ، فإن

الخالة كانت تلقى بآى شىء يكون فى يدها .. وتهب
منعورة ، وتنتفض بشدة ، وتصرخ بأعلى صوتها ..
فى الحقيقة لم أر فى حياتى امرأة مثلها ..

أما المصيبة الكبرى ، فكانت تحدث حين تجد
الخالة أحد الشعابين وقد تعدد على سريرها .. فعندها
كانت تطلق صرائحتها ، وكان البيت قد شب فيه
حريق هائل ١٠٠

و كانت الحالة تضر بنا بالعصا في كل مرة يظهر فيها أحد الثعابين في أي مكان بالبيت .. و كانت تتقول لنا في كل مرة ، ان الضرب بالعصا لن يعتبر شيئا عاودنا جمع الثعابين مرة أخرى .. !

غير أننا لم نهتم كثيرا بعصا الحالة ، فقد كانت غير مؤلمة ، كما كانت الحالة تضر بنا برقة .. أما اهتمامنا كله ، فقد انصرف نحو تجميع الثعابين الهاوبة بالإضافة الى تجميع ثعابين جديدة .. !

وبعد أن جهزنا كل شيء .. وأصبح لدينا كل ما نطلب من الثعابين والفتران والعناكب والحشرات والمخلوقات الأخرى .. ذهبنا الى جيم ، وأطلقناها جميعا بداخل الكوخ .. وعلى الفور بدأت تمرح في جميع الانحاء وجميع الأركان ..

كان جيم لا يحب العناكب .. كما كانت العناكب لا تحبه .. أما بالنسبة للفتران والثعابين والرحي الصخرية ، فقد قال لنا توم أنها تملأ عليه الكوخ ..

لدرجة أنه أصبح لا يجد مكاناً للنوم .. وقال لنا جيم انه اذا خرج من هذا الكوخ بعد أن نطلق سراحه ، فلن يصبح سجيناً مرة أخرى ، حتى ولو أعطوه مرتبًا مقابل ذلك !!

وفي خلال الأسابيع الثلاثة التالية .. كان كل شيء يسير على مايرام وبشكل مقبول .. فقد هربنا القميص الى جيم بداخل كعكة .. وذلك حتى يتمكن جيم من كتابة أو نقش بعض العلامات بدمه على قماش القميص .. ونبهنا عليه بأنه اذا عضه فأر من الفتران وسائل منه الدم ، فان عليه أن يرمي سفن القلم في دمه ويكتب على القماش بهذا الحبر الطازج !!

وفي خلال نفس الفترة أيضاً انتهينا من صنع جميع الأقلام وتوضيب سنتونها ، كما دونا جميع الذكريات والأحزان على سطح الرحاية الصخرية .. كما قمنا بنشر رجل سرير جيم وقسمناها الى نصفين وقد ابتلعنا كل النشرة التي تختلفت عن عملية النشر .. فأصبنا جميعاً بالملخص وووجع البطن حتى كدنا

شعر باقتراب الموت .. ولكن ذلك لم يحدث كما كان متوقعاً .

وفى النهاية أصبحنا كلنا متعبين منهوكى القوى .. وكان جيم أكثرنا تعياً وإنهاكاً ..

وكان العم سيلاس فلبس قد كتب عدة خطابات للمزارعة المجاورة لنيو أورلينز ليحضرها لاستلام عبدهم الهاوب .. ولكن العم لم يصله أى رد على خطاباته بسبب بسيط .. فليست هناك مزرعة اسمها المزارعة المجاورة لنيو أورلينز !

لذلك فقد قرر العم سيلاس أن يكتب إعلاناً ينشره في المرائد التي تصدر في نيو أورلينز ، والمرائد التي تصدر أيضاً في سان لويس .. وقد أصبحت بصدمة حين سمعت العم يذكر جراند سان لويس ، فمعنى ذلك أن جميع جهودنا ستضيع في لمح البصر .. وقلت لتون : لم يعد لدينا أى وقت نضيغه ، ويجب أن نتصرف فوراً ..

وقال توم موالفنا :

- نعم .. لقد حان الآن وقت ارسال الرسائل
المجهولة !

فتساءلت مندهشة :

- وما هي هذه الرسائل المجهولة ؟ ..

فقال توم ببساطة :

- هي رسائل تحذير بدون توقيع .. تكتب
بطريقة او باخرى .. وترسل او تسلم بعدة طرق
غامضة .. وفي أحياناً كثيرة يكون هناك شخص ما ،
يقوم بإبلاغ حاكم القلعة بالأخبار الازمة .. ان لويس
السادس عشر نفسه حين غادر قصر التوينيرى ، أعطى
احدى رسائله المجهولة لاحدى الفتياں التي قامت
بنقلها .. انها طريقة جيدة لارسال رسائل تلك الرسائل
المجهولة الخالية من التوقيع .. سوف تتبع تلك
الطريقة في ارسال رسائلنا .. كما ان هناك

شيئا آخر في غاية الأهمية .. فمن المعتاد غالبا أن تقوم أم السجين بزيارته بين حين وآخر .. وفي أحدي هذه الزيارات تقوم الأم باعطاء ملابسها للسجين ليتنكر بها حين يهرب ، وتقوم هي بارتداء ملابس السجين وتحل مكانه .. لا بد أن نستخدم هذه الطريقة أيضا !!

- أرجو أن تسمعني يا توم .. لماذا بحق الله نقوم بتحذير الناس مما ستفعله .. لماذا لأندتهم يكتشفون الأمر بأنفسهم .. فهذا هو شغفهم !!

- نعم أعرف ذلك .. ولكنك لا تستطيع أن تعتمد عليهم في مثل هذه الأمور .. اتهم في كثير من الأحيان يكونون أغبياء أو يشقولون بأنفسهم لدرجة أنهم لا يلاحظون شيئا .. ولذلك فإن من واجبنا أن ننبههم ونحذرهم والا فإن جميع الجهد التي بذلناها ستضيع هباء ولن يلحظها أحد .. وبذلك تصبح جميع اعمالنا بلا قيمة !

- بالنسبة لي .. فان هذا الأمر لا يهم !

واشمارتوم من قولي .. وقال باستهتار :

- ولكن بالنسبة لي .. فان هذا الأمر في غاية الأهمية .. !

فقلت وأنا أضع هذا للخلاف :

- وهو كذلك ياتوم .. إننا لن نختلف أبداً ..
أنا موافق على كل أمر يروقك .. ولكن قل لي .. من
أين سنحضر الفتاة الخادمة التي ستقوم بتوصيل
الرسائل المجهولة .. !

- هذا موضوع في غاية البساطة .. ستقوم أنت
بأداء دور الفتاة الخادمة ..

- أنا .. !

- نعم .. وكل ما عليك أن تتسدل إلى غرفة
الخادمة ليزا بعد أن يتصف الليل .. وتسرق ملابسها
لترتديها وتمثل بها الدور المطلوب .. !

- ولكن أرجو أن تلاحظ ياتوم أن هذه العملية ستؤدي الى متاعب كثيرة في صباح اليوم التالي .. ومن المحتمل الا يكون لدى ليزا الخادمة أية ملابس أخرى غير تلك التي سأسرقها .. فماذا ستكون النتيجة ٤٠٠

- انى أعرف ذلك تماما .. أنتا لن تحتاج هذه الملابس لأكثر من ربع ساعة فقط .. مجرد أن ترتديها، وتذهب فورا لوضع الرسالة المجهولة الأولى تحت عقب الباب ، ثم تعود فورا لتعيد ملابس الخادمة ليزا في مكانها .. هذا هو كل المطلوب .. !

- وهو كذلك .. ولكن ما أهمية قيامي بتوصيل الرسالة المجهولة وأنا أرتدي ملابس الخادمة ؟ .. انى أستطيع أن أؤدى هذه المهمة بملابسى العادية .. ما الفرق ! ٩٠٠

- اذا ذهبت لتوصيل الرسالة المجهولة وأنت تلبس ملابسك العادية .. فانك لن تبدو مثل الفتاة الخادمة .. هذا هو الفرق !

- ولكن ياتوم .. هذا لا يهم مادمت ساقوم باداء
هذه المهمة سرا ودون أن يراني أحد .. أو يعرف أحد
ان كنت أرتدى ملابس الخادمة أم لا .. !

- اسمع ياهك .. ان علينا أن نؤدى واجباتنا
دون أن نضع فى الاعتبار ما اذا كان الآخرون يروننا
أو لا يرون شيئاً على الإطلاق .. !

- طيب ياتوم .. وهو كذلك .. ساقوم أنا
بدور الفتاة الخادمة .. ولكن من سيقوم بدور
أم السجين .. ١٩

- بسيطة .. ساقوم أنا بدور أم السجين
وسأسرق رداء من ملابس الخالة سالي .. !

- معنى ذلك أنك ستعطى ملابس الخالة جليم ليتنكر
بها ويهرب وتبقى أنت سجيننا بالكونغ .. !

- لا .. من ذا الذى قال ذلك .. سأخذ ملابس
جليم بعد أن يخلعها .. وأحشوها بالقش وأمدهما على
السرير فتبدو مثل الشخص النائم .. وبعد أن يرتدى

جيئ ملابس أم السجين سيمكون في استطاعتنا عندئذ
أن نهرب جميا ، وننطلق الى آفاق الحرية ..

وهكذا لم نضيع الوقت .. وكتب توم رسالة
مجهولة .. وقامت بسرقة ملابس ليزا وأرتدتها ..
وأخذت الرسالة ، ومررتها الى داخل البيت من تحت
عقب الباب الأمامي .. وكانت الرسالة تقول :

« احذروا وكونوا متنبهين .. ان المتابع قادمة
.. افتحوا عيونكم جيدا .. »

« الصديق المجهول »

وفي الليلة التالية .. أرسلنا رسالة مجهولة
أخرى دسستها من تحت عتبة الباب الأمامي ..
وكانت هذه الرسالة عبارة عن رسم لجحمة وعظمتين
متقطعتين كشعار القراءنة .. وقد رسم توم هذا
الشعار بالدم ..

وفي الليلة الثالثة أرسلنا رسالة أخرى تتضمن
رسما لتأبُّوت من توابيت الموتى ..

وقد قلبت هذه الرسائل جميع أحوال العائلة
رأساً على عقب .. ولم أر في حياتي عائلة بأكملها
أصبحت تخاف وتنصب عرقاً من شدة الرعب هكذا
.. كانوا كلهم مذعورين وكان البيت قد امتلاه
آخره بجميع أنواع العفاريت والأشباح ..

وأثناء تناول العشاء ، سمعناهم يقولون بأنهم
قد وضعوا خادماً لحراسة الباب الأمامي للبيت وخادماً
آخر لحراسة الباب الخلفي ..

و قبل طلوع الفجر .. كنا قد أعددنا رسالة
مجهرولة مطولة .. وقفز توم من نافذة الغرفة إلى
السقف المائل ، ثم إلى عمود النور ثم إلى الأرض ..
وتسدل ليستطلع الأمر .. فوجد أن حارس الباب
الخلفي للبيت قد استغرق في النوم .. وانتهز توم
هذه الفرصة ، وقام بتعليق الرسالة المجهرولة على ظهر
الحارس ! ..

وكان نص هذه الرسالة الخطيرة كما يلي :

« ان عصابة متواحشة من قاطني الرقاب ستقوم بسرقة العبد الهاوب هذه الليلة .. وقد قامت هذه العصابة بتخويفكم وملأت قلوبكم بالرعب حتى تلزموا البيت ولا تخرجوا الى مطاردتها اثناء قيامها بسرقة العبد الهاوب .. وانا عضو بهذه العصابة ولكنني متدين وأردت أن أتوب عن فعل الأشياء الشريرة واعود الى الحياة الطيبة .. ولهذا .. فهاندا افتش لكم كل أسرار العصابة وكل خططها .. انهم سيعجّبون من ناحية شمال السور .. وسيكون معهم مفتاح مزيف سيفتحون به باب الكوخ ويستولون على العبد الهاوب ويهرّبون .. وقد كلفتني العصابة بأن اقف في مكان ما فوق السور لأراقب المكان اثناء قيام العصابة بعملية السرقة ، وكلفوني بأن انفع في نفير من الصفيح لأحضرهم اذا تعرضوا لاي خطر .. ولكن لأجل خاطركم فلن انفع في النفي .. وعندها تدخل العصابة الى الكوخ لتفك السلسلة التي ربط فيها العبد الهاوب .. سالوم بامامة مثل الغروف .. ولتكن هذه علامة اتفق عليها معكم .. ويمكنكم بمجرد سماع تلك المأمة

أن تهجموا على أفراد العصابة وهم بداخل الكوح
وتقتلوهم عن آخرهم .. عليكم أن تنفوا تعليماتي
هذه حرفا حرفا .. والا فان كل شيء سيثار وتحدث
متاعب لاحدهم .. وانا لا اريد منكم مكافأة على ذلك
.. يكفينى انى ارضيت ضميرى وفعلت شيئاً
طيباً .. ! » « الصديق المجهول »

الفصل العادى والعشرون

جيم ° ° هانتدا حر من جديد !

تناولنا افطارا طيبا فى الصباح ° ° وأخذنا معنا
طعام الغداء ° ° وتظاهرنا بأننا سندهب لصيد السمك °
ولكن ما أن وصلنا الى المكان الذى خبات فيه قاربى
الخفيف بين أعشاب شاطئ النهر ، حتى ركبنا القارب
واتجهنا فورا الى المكان الذى أخفيت فيه الطوف ° °
وعندما وجدنا الطوف سليما وفى حالة جيدة ،
اطمأن قلبانا ° ° وقضينا وقتا سعيدا ممتعا ° °
ولكن عندما عدنا قرب المساء لتناول طعام

العشاء ، وجدنا البيت كله مقلوبا .. وكان الجميع
في حالة من الاضطراب يفوق الوصف .. وب مجرد
أن انتهينا من تناول الطعام ، حتى ارسلونا فورا الى
غرفة النوم .. ولم يقل لنا أحد ولو كلمة واحدة عن
الرسالة المجهولة الأخيرة .. وبطبيعة الحال فقد كنا في
غنى عن ذلك .. لأننا نعرف ما جاء ب تلك الرسالة أكثر
من أي شخص آخر ..

وعندما أصبحنا في منتصف درجات السلم ،
أدانت الخالة سالي ظهرها لنا ، فتسليتنا فورا الى
دولاب الخزين وأخذنا بعض الطعام استعدادا للمغامرة
التي سنقوم بها هذه الليلة . وحملنا الطعام معنا الى
غرفتنا .. ونسنا نوما متقطعا حتى أصبحت الساعة
الحادية عشرة والنصف قبيل منتصف الليل .. وعندئذ
ارتدى توم ملابس الخالة التي سرقها من قبل .
وفحص الطعام الذي سيحمله معه عندما يقوم بدور
أم السجين . وقال توم :

- أين الزبد ..؟

مکالمات :

- لقد وضعت قطعة من الزبده على رغيف الخبز ..

- لا .. ليس هناك زبد .. !

- ولنفترض انه ليس هناك زيد .. فما أهمية ذلك .. ان فى استطاعتك أن تقوم بدورك بدون زيد !!

- ويمكننى أيضاً أن أقوم بدوري بالزبد .
هيا اذهب الى الدولاب وخذ بعض الزبد . . ثم عليك
أن تتسلل عبر النافذة وتهبط على عمود النور وتلتحق
بى فى الكوخ . . وسأذهب أنا الى هناك الآن لأحشو
ملابس جيم بالقش وكن مستعداً للمأمة مثل الخروف
عندما أعطيك اشارة بذلك . .

وتسلىت ببعده الى حيث يوجد دولاب الخزين
وتناولت قطعة من الخبز ووضعت عليها قطعة كبيرة
من الزبد .. وأطفأت الشمعة التي كنت أحملها
لتساعدني على الرؤية في الظلام .. وتسلىت بهدوء،

مرة أخرى آخذها طريقي إلى الطابق السفل .. ولكنني
فجأة رأيت المخالة سالى قادمة وهي تسرك في يدها
شمعة مضاءة ..

وعلى الفور وضعت الخبز والزبد في القبعة ،
ووضعت القبعة فوق رأسى .. وفي نفس اللحظة
شاهدتني المخالة على ضوء شمعتها .. فقالت لي
مندهشة :

- ماذا تفعل بغرفة الخزين في هذا الوقت من
الليل .. !

- لا أدرى يا سيدتي .. لا أدرى !
- لا تدري ! .. هه .. اذهب الآن وانتظرني
في غرفة الجلوس .. لابد أن أعرف ماذا كنت تفعل
في غرفة الخزين .. !

وذهبنا إلى غرفة الجلوس كما قالت .. وهناك
نوجشت بوجود جمهور غير .. خمسة عشر من
المزارعين .. وكل واحد منهم يمسك بندقية ! ..
وطبعا لم أستطع أن أرفع قبعتي تحيية لهم .. !

كان مؤلاء المزارعون قلقين رغم تظاهرهم بالهدوء ..
وكنت أود أن تحضر الحالة فورا لتنتهي من أمرى ..
إذ كان على أن أذهب إلى الكوخ باقصى سرعة لأخبار
توم بما يحدث ، ولكن قوم بتهريب جيم ونتمكن
جميعا من الأفلات من هذا الجيش القادم ..

وجاءت الحالة .. وبذلت تسالنى عدة أسئلة ..
ولكنى تلعثمت ولم أستطع الرد بطريقة مقنعة .. لقد
كنت مضطربا غایة الاضطراب لأنى لاحظت ان المزارعين
قد بدأوا يفقدون صبرهم وأخذوا يتململون وكأنهم
يريدون أن يدخلوا المعركة فورا .. فالساعة الآن
تقرب من منتصف الليل .. وهو الوقت المحدد لقيام
عصابة قاطعوا الرقاب بسرقة العبد الهاوب ..

وقال أحد المزارعين بعد أن نفذ صبره تماما ..
أنه سيذهب الآن إلى الكوخ وسيختبئ بداخله ليقوم
بقتل العصابة بمجرد مجيئهم إلى الكوخ ومحاولتهم
فتح بابه .. وقال مزارعون آخرون ان من الأفضل
أن يتظروا جميعا حتى يسمعوا مامأة الخروف

باعتبارها الاشارة التي سيعطيهم ايها الصديق المجهول
ليشرعوا فورا في الهجوم على العصابة ..

كل هذا كان يحدث أمامي بينما كانت الخالة
تواصل سؤالاً تلو سؤالاً .. وأنا غارق في
خوفى ومضطرب غایة الاضطراب .. وبذات الزبد
تسينج فوق رأسي .. وسالت على خدى ..
وفجأة شحب وجه الخالة وأصبح في لون الملاعة
البيضاء .. وقالت وهي تشعر بذعر هائل :

- ويلاه .. ماذا حدث للغلام .. انه يعاني
من حمى شديدة في مخه .. ان مخه قد بدأ يسيل
من رأسه !!

وانتبه الجميع إلى صياح الخالة ، والتفوا حول
ينظرون ماذا حدث .. وتقدمت خالتى ورفعت القبعة
عن رأسي فسقط الخبز وبقايا قطعة الزبد .. وعندئذ
احتضنتني الخالة وأخذت تربت على ظهرى ،

وقالت بعطف :

- يا بنى العزيز .. أمن أجمل هذا تسلى

الى غرفة الخزين .. لقد قلقت عليك حين رأيت هذا
الزبد يسيل من رأسك .. لقد اعتقدت ان مخك قد
انفجر وبدأ يسيل على وجهك .. والآن .. فلتتصعد
الى غرفتك لتنام في هدوء ولا تجعلنى أرى وجهك الا في
صباح الغد !

وفى ثانية واحدة صعدت الى غرفتي .. وفي
الثانية التالية ، كنت أهبط على عمود النور ، وانطلقت
بأقصى سرعة تجاه العشة ومنها تسللت عبر النفق الى
داخل الكوخ ..

وبصعوبة بالغة بدت التقط أنفاسى .. وقلت لтом
بأن علينا الآن أن ننادر الكوخ بأقصى سرعة حيث
لم يعد أمامنا سوى دقيقة واحدة .. وأن البيت مملوء
بالرجال الذين يحملون البنادق .. وهمقادمون نحونا
بين لحظة وأخرى ..

وهنا برقت عينا توم وقال بفخر :
ـ حقا ! .. هل وصل الأمر الى هذا الحد !
لقد كان باستطاعتنا أن أذهب بعض الأشياء الأخرى

حتى يصل عدد هؤلاء الرجال ذوى البنادق الى نحو
مائتين .. على أية حال ففى المرة القادمة سأحاول
ذلك ..

ففاطعته متلهفاً :

- أسرع أسرع ياتوم .. ليس هناك وقت
لذلك .. أين جيم ..
- ها هو بجوارك .. لقد ارتدى الملابس التى
اتفقنا عليها .. وكل شئ الآن جاهز .. وسنهرب
جميعاً عبر النفق .. وب مجرد خروجنا سأعطيهم اشارة
مامأة الخروف التى ينتظرونها لبدء الهجوم ..
ولكننا تسمى جميعاً فى مكاننا بعد أن سمعنا
خطوات الرجال بقرب الكوخ ، وبدأوا يفتحون قفله ..
وسمعنا أحد الرجال يقول :
- لقد جثنا ميكرين قبل وصول العصابة ..
فأغلق الباب ما زال مقلقاً .. والأآن سافتح الباب
ليختبركم بعضكم بداخل الكوخ .. وفي الظلام ..

انتظاراً لوصول العصابة .. وعندما تبدأ العصابة في الدخول من باب الكوخ أطلقوا عليهم النار فوراً وأردوهم قتل .. وسيبقى بعض الرجال في الخارج للمراقبة ، أو للهجوم على العصابة فور وصولها .

وفي لحظة كان الرجال قد دخلوا إلى الكوخ ومعهم بنادقهم .. ولكنهم لم يرونا في الظلام .. واختبأنا جميعاً تحت السرير .. ثم تسللنا بهدوء ووصلت تمام عبر النفق وأصبحنا الآن بداخل العشة .. ولكننا توقيفاً تماماً عن الحركة حين سمعنا وقع أقدام بالقرب من باب العشة الخارجي .. وانتظرنا لحظات قلقة بينما كانت الأقدام تقترب وتبتعد ثم تقترب مرة أخرى .. وقال توم في همس أنه سيعطينا إشارة الخروج في الوقت المناسب .. ويجب أن تكون مستعدين تماماً .. وأن يخرج جيم أولاً ، ثم أتبه أنا ، ثم يلحق بنا توم في النهاية .. وأخذ توم يتصنّت إلى وقع الأقدام ويقدر الموقف .. وأخيراً أعطانا الإشارة .. وفي لمح البصر أصبحنا جميعاً خارج العشة .. وانطلقنا فوق السور وتسلقناه .. ولكن ملابس توم

اشتبكت في أحد المسامير ، فجذبها توم بقوة ، فحدثت
جلبة وفرقة مسموعة . وعندئذ صاح أحد الرجال :

- من هناك .. أجب ولا أطلقتك عليك
النار !!

وبطبيعة الحال لم يجب أحد .. بل انطلقنا
فاريئ بسرعة البرق .. وانهمرت علينا طلقات
الرصاص التي كانت تنثر بجوار آذاننا .. وسمعنا
بعض الرجال يصيحون في سكون الليل :

- هاهم أفراد العصابة .. انهم يتوجهون صوب
النهر .. فلنلحق بهم يا رجال .. وأطلقوا الكلاب في
أثراهم !

وانطلقوا جميعاً وراءنا .. وقبل أن نصل إلى
الطاحونة ، كانوا قد اقتربوا منا إلى درجة خطيرة ..
فراوغناهم واحتسبنا بداخل الأعشاب إلى أن تجاوزونا ..
ثم جاءت بعدهم الكلاب .. وكانت لحسن الحظ
كلابنا .. وشعرنا كان الكلاب كانت تعيننا بسرعة ،

ثم انطلقت وراء الرجال حيث الصباح والاضطراب على
أشد ..

وما ان ابتعد الرجال عنا قليلا حتى انطلقنا
وراءهم الى أن وصلنا الى مبنى الطاحونة ، وهناك
عرجنا الى الغابة حيث كنت اخفي قاربي .. فرمينا
أنفسنا فيه وبدائنا نجده ياقصى همة الى أن أصبحنا
في منتصف النهر .. ثم اتجهنا الى الجزيرة حيث
أخفيانا الطوف .. وكانت تتطرق الى أسماعنا بين حين
وآخر ، أصوات الرجال وهم يتضاهرون على الشاطئ ،
الآخر .. وظلت أصواتهم تختت رويدا رويدا الى أن
اختفت تماما وعندئذ قلت لجيم واناأشعر بفرح
عارم :

- جيم .. هانتذا حر من جديد !

لقال جيم معبرا عن عرفانه بالجميل :

- يا لها من مغامرة رائعة .. لقد خططت
باحكام .. ونفذت بدقة وسلامة .. ان أحدا لا يمكنه

ان يصدق او يتصور آية مغامرة اخرى أكثر صعوبة
وأشد تعقيدا من تلك المغامرة !

لقد كنا جميعا نشعر بقمة السرور والفرح .
ولكن توم كان أكثرنا سرورا وفرحا .. فقد أصيب
برصاصة في رجله !!

وما أن سمعنا أنا وجيم بهذا الخبر المفاجئ .
حتى تلاشى على الفور سرورنا وفرحنا .. لقد كان
جرح توم ينزف دما ، ويؤله بشدة .. فقمنا بتمزيق
أحد قمصان الدوق على شكل أشرطة وربطنا الجرح
حتى يتوقف النزيف .. وقال توم لاهثا :

- اعطونى الأربطة لأصم هذا الجرح بنفسي ..
اما انت فلا تضيعوا الوقت .. ولنهرب جميعا من
هذا المكان فورا .. هيا .. ليفك أحدكم ارباط
ال Geoff .. وليمسك الآخر بمجداف التوجيه ..
هيا يا أولاد .. لاتضيعوا الوقت عيشا .. فلننطلق
بالطوف بأقصى سرعة .. لقد نفذنا الخطبة باحكام
يا أولاد .. لقد كان يسعنا أن نضع خطة لتهريب

لويس السادس عشر ملك فرنسا ٠٠ لو أن أحدا طلب
منا القيام بذلك ١١ ٠٠

وبينما كان توم يصدر أوامره هكذا ٠٠ تحدثنا
أنا وجيم في الأمر وأخذنا نفكر فيما يجب أن نفعله
لإنقاذ توم ٠٠ وقال جيم في النهاية :

- لن أتزحزح عن هذا المكان ولو بوصة واحدة
قبل أن يحضر الطبيب ليعالج رجل توم ٠٠ حتى
ولو بقيت سجينا في هذا المكان لمدة أربعين سنة
آخر ا

لقد كان جيم شهما ويملك قلبا من ذهب ٠٠
وقد توقعت منه أن يتخد هذا الموقف النبيل .. وأخرت
توم بأني ساذع إلى القرية لاحضار الطبيب ٠٠
فرضت توم ذلك وفضا قاطعا وحاول أن يقوم بنفسه
بفك رباط العلوف ، ولكننا منعناه من ذلك ٠٠

وعندما رأى توم وقد قفزت إلى القارب واوشكت
أن انطلق به تجاه القرية استسلم للأمر وبدا يتصحنى

قاتلا :

- طيب .. عندما تصل الى القرية لتحضر
الطيب .. فعليك ان تربط منديلا حول عينيه ..
وضع في يده حقيبة مملوءة بالذهب .. وتعال به
خلال طريق غير مباشر .. واختر طريقة متعرجا بين
الجزر .. وعليك ان تقوم بتفتيش الطيب جيدا ..
وخذ منه قطعة الطباشير اذا كانت معه اية قطعة ..
ولا ترد قطعة الطباشير اليه مرة أخرى الا بعد ان يعود
الى القرية مرة أخرى .. فمن المحتمل ان يستخدم
الطباشير في عمل علامة على الطوف ويقسى أسرارنا ..
فهذه هي الطريقة التي يستخدمها الجميع دائمًا .. !

فوافقته على كل ذلك .. وذهبت لاحضار
الطيب .. واختبأ جيم عندما رأى الطيب قادما !

الفصل الثاني والعشرون

ماذا جرى لهذا الولد ١٩٠٠

كان الطبيب العجوز ذا مظهر طيب .. وعندما ذهبت اليه في منزله لاستئنفاد به .. ادعى له أن أخي قد ركل بندقيته أثناء النوم بينما كان مستغرقا في أحد الأحلام .. فانطلقت رصاصة وأصابته في رجله .. وعلى الفور أعد الطبيب حقيقته ، وأشعل مصباحاً ليضيء له الطريق .. وذهبنا معا إلى شاطئ النهر ..

ولكن ما أن رأى الطبيب قاربى الخفيف ، حتى
تراجع وقال أنه قارب صغير جداً .. وحاولنا البحث
عن قارب آخر ، ولكن جميع القوارب كانت مربوطة
بالسلسل .. فاضطرر الطبيب الى أن يركب قاربى
مشترطاً ألا يركب معه ، لأن هذا القارب الصغير فى
اعتقاده لا يصلح لركوبنا معاً .. فوصفت له الطريق
وكيفية الوصول الى الطوف الراسى على شاطئِ الجزيرة
.. فانطلق الطبيب بعد أن طلب مني أن انتظره هنا
على شاطئِ النهر ..

واختبأت خلف كومة من الأخشاب .. وسرعان
ما استغرقت في النوم .. ولم أستيقظ إلا بعد أن
لفتح وجهي حرارة الشمس .. وعلى الفور اتجهت رأساً
إلى بيت الطبيب لاطمئن منه على الحالة ، ولكنهم
أخبروني هناك بأن الطبيب لم يعد حتى الآن ..
فازداد قلقى على توم .. وقررت أن أذهب فوراً إلى
الجزيرة وبأى شكل ..

وفي الطريق رأى العم سيلاس فصاح منادياً :

- توم .. أين كنت طوال هذا الوقت أيها

الشغى ١٩٠٠

- لقد ذهبت مع أخي سيد مطاردة العبد الهاوب
ليلة أمس !

- أين ذهبتما إذن ؟ . إن الحالة سالي في غاية
القلق ١٠٠١

- لا داعي للقلق فنحن بخير .. لقد انطلقنا
مع الرجال والكلاب مطاردة العبد الهاوب ، ولكننا تهنا
وضللنا الطريق .. واعتقدنا أن الرجال قد عبروا
النهر لواصلة المطاردة ، فذهبنا في أثراهم ، ولكننا
لم نجدهم على الشاطئ الآخر ، فنمنا هناك حتى
الصباح ، وعدنا إلى هنا منذ نحو ساعة لنعرف الأخبار
.. وقد ذهب أخي سيد إلى مكتب البريد ليسمع

الأخبار بنفسه .. أما أنا فاني أبحث عن طعام لي وله
.. وسوف نعود إلى البيت معاً !

وذهب مع العم سيلاس إلى مكتب البريد
للاحضار « سيد » .. ولكننا لم نجده طبعاً .. واستلم
العم من مكتب البريد خطاباً خاصاً .. وانتظرنا حضور
« سيد » مدة طويلة .. وبعدئذ قرر العم سيلاس أن
نذهب إلى البيت عسى أن يحضر سيد فيما بعد ..
وذلك حتى تطمئن الحالة سالى على أننا مازلنا بخير ..

والحقيقة أن الحالة قد فرحت كثيراً عندما
شاهدتني قادماً نحوها .. وقلت لها إن الضجة التي
أحدتها المزارعون ليلة أمس قد أيقظتنا أنا وأخي
« سيد » من النوم .. فهبطنا على عمود النور لنرى
ما يحدث .. وحكيت لها نفس القصة التي اخترعها
وقصصتها من قبل على العم سيلاس ..

وقالت الخالة الطيبة أنها سامحتنا وغفت
عنا .. ولكنها أبدت قلقها لعدم عودة سيد حتى
الآن ..

ومر بعض الوقت وازداد قلق الخالة .. وقالت
بعد أن نفذ صبرها :

- ولكن بحق السماء .. لقد أوشكت الشمس
على المغيب ولم يعد سيد حتى الآن .. ماذا جرى لهذا
الولد !؟ ..

قلت لأطمئنها :

- دعيني أذهب لاحضاره ..

فقالت على الفور :

- لا .. لن تذهب أنت .. وإذا لم يحضر سيد
في موعد العشاء .. فسيذهب العم سيلاس للبحث
عنـه ..

وجاء موعد المشاه ولم يحضر توم - أو سيد كما يعتقدون - وخرج العم سيلاس للبحث عنه .. وعاد في الساعة العاشرة متumba وقلقا .. وقال انه بحث عنه في كل مكان فلم يعثر له على اثر .. وازداد بالتأني قلق الخالة سالي وعلت وجهها مسحة من الحزن ولكن العم سيلاس أخذ يطمئنها قائلا بأن سيد سيعود حتما في صباح اليوم التالي ..

وأقتنعت الخالة بهذه الفكرة بصعوبة .. ومع ذلك فقد أصرت على أن تقضي الليل كله ساحرة بجوار النافذة .. وأن يبقى المصباح مضاء حتى ينير له الطريق عندما يحضر ..

وأخذت الحالة بيدي وصعدت بي إلى غرفة نومي ، وأرقدتني على السرير ، وقبلتني، وأخذت تربت على كتفى بكل ما في قلبها الطيب من حنان ورقه .. لدرجة أنى قد شعرت بالتججل من نفسى ولم استطع أن أرفع عيني للنظر في وجهها ..

و قبل أن تبارح الخالة غرفتي ، قالت لي بعنان وبصوت طيب :

ـ لن نغلق أبواب البيت بعد الآن ياتوم ..
ولا داعي أن تهرب من النافذة هابطا على عمود النور ..
أرجو ألا تفعل ذلك مرة أخرى .. لأجل خاطري ٤٠٠

ويعلم الله أني كنت أريد أن أفعل ذلك مرة أخرى لاطمئن على توم .. وأنى لن أفعل ذلك مرة أخرى ولو عرضوا على ممالك الأرض ..

وبعد انصراف الخالة ، لم يغمض لي جفن وطللت حائرا بين حالة من اليقظة وحالة من النعاس المتقطع ..
وحائرا بين الأخذ بتصحية الخالة الطيبة وواحتى نحو توم ..

ولم تكن متواتتين أثناء الليل .. تسللت عبر النافذة وهبطت على عمود النور .. ولكنني كنت أرى الخالة مازالت ساحرة على ضوء الشموعة بجوار النافذة

٠٠ تعطل بعينيهما على الطريق ٠٠ وكانت عيناهما
مغورقتين بالدموع ٠٠

وفى المرة الثالثة قرب الفجر ٠٠ كان ضوء
الشمعة قد خبأ ٠٠ وكانت المخالة لم تزل جالسة
جوار النافذة ٠٠ ولكنها أستندت وجهها بين يديها ٠٠
وأستقرت فى النوم ٠٠ !

الفصل الثالث والعشرون

اعادة توم وجيم الى البيت !٠٠

وفي الصباح المبكر وقبل موعد الأفطار ٠٠ ذهب
العم للبحث عن توم أو لمرفة أخباره ، ولكنّه عاد خائبا ،
وازداد بالتالي قلق الحالة ، وتضاعفت أحزانها فجلست
تنتهي في صمت ٠٠ .

وبعد فترة قال العم سيلاس :

— ألم أعطك الخطاب الذي استلمته أمس من مكتب
البريد ؟ ٠٠

فقالت الحالة وهي تتنهد في حزن :

- لا .. لم تعطني أي خطاب ..

فقام العم سبيلاس ، وذهب إلى أحدى المجرات
وأحضر الخطاب وقدمه لها .. وما أن نظرت الحالة إلى
هذا الخطاب حتى صاحت قائلة :

- أنه من أختي بوللي .. أنه من سان بطرسبورج !

وشرعت على الفور في فتح الخطاب ولكنها توقفت
فجأة ، فقد حدث شيء غريب .. رأينا توم سوير محمولاً
على نقابة ، ويمشي بجواره الطبيب العجوز ، ومن خلفه
كان جيم مرتدياً ملابس الحالة ، وكانت يداه مقيدتين
خلف ظهره ، وحولهم مجموعة كبيرة من الناس .. !!!

فزعت الحالة وهبت واقفة ، وسقط الخطاب من
يدها ، وارتسمت على توم سوير واخذت تولول :

- لقد مات .. مات .. كنت أعرف من قبل أنه
مات !!

وهنا حرك توم رأسه بضعف .. وتمتم ببعض

مهمات غير مفهومة ولكنها تدل على أنه في غير وعيه
.. فصاحت الخالة فرحة مهلاة :

- انه حى .. انه حى الحمد لله .. يكفينى
هذا !!

واندفعت الخالة داخل البيت لتعد السرير الذى
سيرقى عليه توم .. وأخذت تلقى أوامرها وتعليماتها
ذات اليمين وذات اليسار .. وتصدر التنبيةات الى
الخدم ، والى كل شخص آخر بالبيت .. وانتهت هذه
الفرصة ، وأخفقت الخطاب .. !

وحمل توم الى داخل البيت ، وتبعه الطبيب
المجوز والعم سيلاس .. أما أنا فذهبت لأرى ماذا
سيكون مصير جيم ..

كان الرجال يلعنون جيم ويستمونه بوقاحة ..
ولم يقل جيم شيئا ولزم الصمت .. بل وتظاهر بأنه
لا يعرفني حين اقتربت منه .. وأدخله الرجال الى نفس
الковخ الذى كان مسجونا فيه من قبل .. وخلعوا عنه

ملابس الحالة التي كان متذمراً فيها .. والبسه ملابسه
القديمة .

وفجأة ظهر الطبيب العجوز جوار باب الكوخ وقال
للرجال :

- لا تعاملونه بمثل هذه القسوة أيها الرجال ..
انه صديق طيب ومحظوظ .. !

وبداً الطبيب يشرح الأمر للرجال قائلاً :

- عندما وصلت الى مكان الولد المصاب ، وفحست
جرحه .. تبين لي أن الرصاصة قد استقرت في رجله
.. وكان لا بد أن أجري له عملية جراحية في أسرع
وقت ممكن .. ولكنني لم استطع فعل أي شيء لأنني كنت
في حاجة الى شخص يعاونني عند اجراء العملية ..
وكان من المستحيل أن أترك الولد المصاب في تلك
الحالة السيئة لازهب لطلب المساعدة من أقرب مكان ..
واحتضر فعلاً في هذا الأمر .. وأخيراً قلت للولد
المصاب يائساً : لابد أن أذهب للبحث عن معاونة ..

لا بد أن يكون معي شخص يعاوننى ! .. وفجأة ظهر
هذا الصديق الطيب الذى كان مختبئاً بين الأعشاب ..
وتبينت على الفور أنه عبد هارب ولكنه تقدم لمعاونتى على
خير وجه .. وقد أدى عمله بمنتهى الأخلاص والتفانى
.. وظل ساهرا طوال الليل ومستيقظا طوال النهار
لمراقبة الولد المصاب ورعايته وتربيته .. لقد كان له
فضل كبير فى معاونتى لإنقاذ حياة المصاب .. ولقد
كان فى استطاعته أن يفر ويواصل هربه ، ولكنه ضحى
بحريته ليبقى معي .. وفي هذا الصباح كان هذا
الصديق الطيب نائما حين اقترب منا قارب كبير فيه
مجموعة من الرجال .. فخشيت أن أصبح مسئولاً عن
التستر على عبد هارب ، فأفهمت الرجال بذلك ، فهمجوا
عليه بفترة وكتفوا يديه خلف ظهره .. فاستسلم لهم
بكل طيبة ولم تبدر منه أية بادرة أو مقاومة .. وأركبه
الرجال فى قاربهم .. ثم قاموا بربط الطسوف إلى
القارب .. وسحبونا .. وكنت أنا بجوار المصاب على
سطح العوف .. صدقونى .. إن هذا الرجل صديق

طيب ومحلس وله قلب من ذهب .. صدقونى يا سادة
ان أى رجل مثله يعتبر جوهرة ثمينة !!

وقد شكرت للطيبيب هذا الدور الطيب الذى أداء
خدمة لجيم .. وقد سعدت فعلا لأن رأى الطيب فى جيم
كان مطابقا تماما لرأيى .. فمنذ أن شاهدت جيم لأول
مرة .. عرفت أنه صديق طيب ومحلس .. وأسعدنى
أكثر وأكثر ان الرجال الذين كانوا يلعنون جيم منذ
لحظة ، أصبحوا الآن يشكرونـه .. ويقولون انه قام بعمل
يستحق عليه مكافأة ..

وفي صباح اليوم التالي ، سمعت أن حالة توم قد
تحسنـت قليلا .. وكانت الحالة سالى قد لازمته وبذلت
كل عناء ورعاـية طوال النهار وطوال الليل .. وعندما
ذهبـت الحالة ل تستريح قليلا ، تسللت إلى حجرة توم
للتتفاهم معه على اختراع قصة تبدو معقولة لتبرير كل
هذه الأحداث التي وقعت .. ولكنـي رأيت توم ما زال
مستغرقا فيـ اليوم .. وكان وجهـه يبدو شاحبا ولكنـه

استعاد حرارته الطبيعية .. وجلست صامتا بجوار
سريره ، منتظر لحظة استيقاظه ..

وبعد حوالى نصف ساعة دخلت الحالة سالي الى
الغرفة ، وأفهمتني بهمس أنه الآن يتحسن .. وأنها
تعتقد انه سيستعيد وعيه تماما عندما يستيقظ ..
وجلست بجانبي تنتظر ..

وأخيرا فتح توم عينيه .. وما أن رأنا حتى قال
مندهشا :

- هاللو .. لماذا أنا في البيت مرة أخرى ..
كيف كان ذلك .. وأين الطوف !!؟ ..

فقلت له باختصار :

- كل شيء على ما يرام !

فتساءل في لهفة :

- وجيم ..!

- على ما يرام !

- عظيم .. عظيم جدا .. لقد عدنا جميعا سالمين ..
الم تخبر خالتى بما حدث !!
وأوشكت أن أقول «نعم» .. ولكن الخالة سرعان ما تدخلت في الموضوع ، وقالت لتوم متسائلة :
- ما هذا الذي حدث يا سيد !!

فقال توم بثبات كعادته :

- هذه الأشياء كلها .. !

- وما هي هذه الأشياء كلها يا سيد ؟

فقال توم بثبات أكثر :

- الخطة التي دبرناها - أنا وتوم لا طلاق سراح جيم !!

فقالت الخالة ملعمورة :

- يا ربى .. عن أي شيء يتحدث الولد .. لقد فقد وعيه مرة أخرى وبدا يخرف !!

وقال قوم :

- لا يا خالتى .. لقد وضعنا خطة محاكمة انا
وتوم .. خطة عظيمة لاطلاق سراح جيم .. ولقد نفذناها
أيضا بطريقة عظيمة .. !

وبدا توم فى سرد القصة من أولها الى آخرها ..
وأخذ يحكى ويحكى .. وقد جلست الغاللة مبهورة
وتنقاد لا تصدق أذنيها وهى تستمع الى كل التفاصيل ..
أما انا فقد لزمت الصمت تماما ولم أنطق بكلمة ..
وقال قوم لخالته :

- لقد كان عملا شاقا يا خالتى .. لقد استغرق
جهدنا لأسابيع طويلة .. وكنا نعمل لساعات وساعات
كل ليلة بعد أن تستغرقوا فى النوم .. وكان علينا
أن نسرق الشمعات الست .. والملاءة .. والقميص ..
ورداء من ملابسك .. والملائقة .. والأطباقي ..
والسفاكين .. ومدفأة السرير التحاسية .. والرحي
الصخرية .. وعبوات الدقيق .. وأشياء أخرى كثيرة
لا يمكن أن تتصورى يا خالتى مدى المتعة التي

وجدناها في هذا العمل .. لقد كان علينا أيضاً أن نرسم صوراً للجمجمة والعظمتين المتقاطعتين .. وصورة لتابوت الميت .. ونكتب الرسائل المجهولة التي كانت ترسلها عصابة قاطعى الرقاب .. وكان علينا أن نتسلق عمود النور عند النزول من غرفتنا وعنده الصعود إليها .. وقمنا بحفر نفق بين العشة والكونخ .. وصنعنا حبلاً مجدولاً على شكل سلم ومرربناه إلى جيم بداخل كعكة .. كما كنا نهرب بعض الملاعق والأشياء الصغيرة إلى جيم عن طريقك .. كنا نضع هذه الأشياء في جيب مريلتك ..

لصاحت المخالة وهي لا تصلق نفسها :

- في جيب مريلتش أنا ١١٩ ..

وواصل توم حكايته :

- لقد ملأنا الكونخ بالفثاران والثعابين لتؤنس جيم في وحدته بداخل سجنه .. ولكنك يا خالتي

احتجزت توم لفترة طويلة في تلك الليلة بعد أن اكتشفت الخبز والزبد الذي كان يخفيه بداخل قبعته . . . وبسبب ذلك أوشكت الخطة على الانهيار تماماً بعد كل هذا العناء والتعب . . . فقد وصل المزارعون ومعهم بنادقهم إلى الكوخ قبل أن نتمكن من الفرار . . . فاضطررنا إلى عمل كل شيء بسرعة واستعجال . . . وانطلقنا كلمع البرى . . . وانطلق المزارعون خلفنا وأطلقوا علينا النار . . . فأخذت نصيبى . . . ومع ذلك طللتنا نراوغهم حتى تجاوزونا وأفلتنا منهم . . . وحين أطلقوا علينا الكلاب . . . كانت الكلاب كسلابنا ، فلم تمسك بنا . . . وعندئذ قفزنا إلى القارب وجدتنا نحسو شاطئ الجزيرة حيث أخفينا الطوف . . . وانتهت العملية ونفرناها بأنفسنا . . . لقد كانت مغامرة عظيمة . . . بل هي العظمة نفسها يا خالدى !!

وقالت الحالة وهي تنهى في عمق :

- هل فعلتم كل هذا أيها العفاريت الصغار . . .

انى لم اسمع شيئا مثل هذا طول حياتى منذ أن ولدت حتى الآن .. هل أنتم الذين أوقعوا فى قلوبنا الرعب والفرع حتى أوشكنا أن نموت .. سوف أعرف كيف أعقابكم على ذلك بعد شفائك يا سيد .. سوف أسلنخ جلودكم وانتم أحيا ! .. والآن .. عليك أن تنسى كل متعاتك فى هذه المغامرة .. واياك أن تتدخل فى شئونه .. نمرة أخرى ..

فقال توم على الفور وهو يشعر بكثير من الدهشة :

ـ شئون من ؟ ..

وقالت الحالة :

ـ شئون من ؟ .. شئون هذا العبد الهارب !

فنظر الى توم بحزن وقال :

ـ توم .. ألم تخبرنى بأنه على ما يرام .. ألم

يطلق سراحه بعد ؟ ..

ولكن الحالة سارعت بالقول :

- هذا العبد الهارب .. لقد قبضوا عليه سليمان
وفي صحة جيدة ، وحبسوه بنفس الكوخ الذي كان
سجيننا فيه من قبل .. ولن نقدم اليه سوى الخبر
والماء .. !

فهب توم من سريره وقد برقت عيناه غضباً وأخذ
يصيح قائلاً :

- لا حق لكم في معاملته بهذه الطريقة .. اذهبووا
فوراً واطلقو سراحه ولا تضييعوا دقيقة واحدة ..
اطلقو سراحه لأنّه انسان حر .. حر مثل أي مخلوق
يسير على الأرض !

وتساءلت الحالة في دهشة :

- ماذا تقصد بهذا الكلام .. ؟

- أقصد كل كلمة قلتها يا خالتى .. وإذا لم
تذعيبوا الآن فوراً لاطلاق سراحه فسأذهب أنا لأفعل هذا
بنفسي .. لقد عرفت جيم طوال حياتى .. وكان يعمل

لدى العجوز مسر وطسون التي شعرت بتأنيب الضمير
بعد أن رحل .. وكانت تؤنن نفسها لأنها فكرت في
بيعه .. وقد ماتت مسر وطسون منذ شهرين .. ولكنها
أعتقدت قبل موتها .. وهو الآن حر مثلنا ..

وقالت الحالة :

- ولكن بحق الشيطان .. هل دبرت كل هذه
الخطط وقمت بكل هذه الأعمال لاطلاق سراح رجل
حر ١٩ ٠٠

- نعم يا خالتى .. هذا هو السؤال .. لقد كنت
أريد « المغامرة » .. كنت أريد .. كنت أريد .. رباه
من أرى .. خالتى بوللى !! ١٩ ٠٠

وفي نفس اللحظة كانت الحالة بوللى واقفة بالغرفة
.. وقد فوجئت الحالة سالى بوجودها فهبت واقفة
واحتضنتها وأخذت تبكي من شدة الفرحة بلقاء اختها على
هذا النحو المفاجئ .. وفي لمح البصر ، أخفقت نفسى
واختبأت تحت السرير ..



وقال توم : أطلقوا سراحه فورا ..

لقد أصبح الأمر محاجاً بالنسبة لي وبالنسبة
لتوم .. بل وبالنسبة لنا جميعاً .. لقد عقدت الأمور
 تماماً وكل شيء سينكشف .. ووقفت الحالة بوللي بجوار
سرير توم وقالت :
- طبعاً .. قريره أن تدبر وجهك على يا توم .. !!

فقالت الحالة سالي بسرعة :

- يا خبر ! .. هل تغير الولد الى هذا الحد ..
هذا ليس توم يا اختي .. هذا سيد .. أما توم ..
توم .. ولد يا توم .. أين ذهب .. لقد كان هنا منذ
دقيقة .. !!

فقالت الحالة بوللي :

- تقصدين هكلبرى فين .. أخرج ياهك من تحت
السرير .. !!

وخرجت .. وضفت أن الأرض تميده تحت
قدمي .. !!

وأخذت الحالة بوللي تحكم لهم من أنا .. وكانت

اختها الحالة سالي تستمع في لهفة وهي تكاد لا تصدق
اذنها .. أما العم سيلاس فقد أخرسته الدهشة حين
جاء وحكوا له الحكاية .. وكان على أن أحكى لهم السبب
في مجيئي إلى بيت مستر فلبس ومسر فلبس .. وهنا
قاطعتني الحالة قائلة :

- لا تقل مسر فلبس .. بل قل الحالة سالي كما
كنت تدعونى من قبل .. لقد اعتدت على ذلك ولا داعي
للتفكير ..

وشرحت لهم أيضا الأسباب التي جعلتنا ندعى أن
توم هو سيد .. وأن اتحل أنا اسم توم ..

وقالت الحالة بوللي أن جميع ما ذكره توم عن مسر،
وطسوون صحيح .. وأنها أعتقدت جيم قبل أن تموت ..
وأن جميع المغامرات والأعمال الغريبة التي قام بها توم
كانت لاطلاق سراح رجل مطلق السراح .. !

وقالت الحالة بوللي أيضا أنها عندما استلمت خطاب
اختها سالي الذي تخبرها فيه بوصول توم ومعه سيد
.. أصيّبت بالدهشة .. واضطررت إلى السفر لاكثر

من ألف ميل حتى تحضر بنفسها لترى أى جيل أو خد ع
يرتكبها توم ضد خالته .. خصوصاً بعد أن قامت
بارسال رسالتين لم تلتقي عنهما رد .. وهنا قالت
المحالة سالي :

- أني لم أستلم منك أية رسالة ..

لقالت المحالة بوللى :

- لقد أرسلت إليك رسالتين، متعاقبتين ..
لأسالك فيما إذا تقصدين بوجود سيد عندك ..

وقالت المحالة سالي مرة أخرى :

- لا .. لم تصلكني منها رسالة واحدة ..
وهنا التفتت المحالة بوللى إلى توم وصاحت فيه :
- أين هاتين الرسائلتين يا توم .. ؟

لقال توم متظاهراً بالدهشة :

- أية رسالتين .. ؟!
- أين الرسائلتين .. والا ..

- طيب طيب .. لقد حفظتها فى الصندوق دون أن أفتح آية واحدة منها .. لأنى كنت أعرف أن هذه الرسائل ستجلب المتاعب .. وستوقف المقامرات ..

- إنك تستحق العقاب على ذلك .. وعلى آية حال فقد أرسلت رسالة ثالثة لعله ..

مقاطعتها الحالة سالى قائلة :

- نعم لقد وصلت هذه الرسالة بالأمس .. ولكن لم أقرأها بعد ..

وب مجرد أن اختليت بتوم وأصبحنا وحدنا ، سأله عما كان يدخره من خطط اذا كانت عملية الهروب قد تجحت وابحرنا بالطوف فى مجرى النهر .. وقال توم انه كان قد وضع خطة للتوجه بالطوف حتى مصب النهر .. على أن تقوم خلال الطريق بعدة مقامرات .. وعندئذ كان سيخبر جيم بأنه قد أصبح حرًا منه أن اعتقه مسر وطsson قبل موتها .. ثم تقوم بالعودة الى بلدنا على باخرة نهرية .. وعندما نصل الى هناك سنقيم

حفلة يدور فيها رقص الزنوج وتعزف فيها الموسيقى
النحاسية .. ونوف جيم بالمشاعل في البلدة كلها ..
وسيصبح جيم بطلا .. وستصبح نحن أبطالا أيضا ..
وذهبنا جميعا إلى الكوخ وأخرجنا جيم وأفهمناه
بأنه قد أصبح الآن حرا .. وقد شكره الجميع ..
الحالة بوللي .. والحالة سالي .. والعم سيلاس .. على
ما قام به من معاونة الطبيب ورعايته توم أثناء اصابته ..
وقدموا إليه طعاما طيبا ، وطلبوا منه أن يتصرف
براحته ..

وعندما ذهب جيم ليطمئن على توم .. أعطاه توم
أربعين دولارا كأجر له على تحمله السجن بالطريقة
وبالخطة التي كانت موضوعة .. وشعر جيم بغاية
السرور وقمة السعادة .. !

واخذ توم يتحدث ويتحدث .. ثم قال فجأة :
فلنخرج معا في احدى الليالي .. ونصطحب
معنا كل ما نحتاجه .. لنقضى أسابيع كاملة في
المقامرات مع ذوى البشرة الحمراء !

فقلت على الفور :

- أنت تعرف يا توم أن ذلك يرودنى تماماً
ولكنى لا أملك نقوداً كافية لدفع التكاليف .. فمن
المحتسب أن يكون أبي قد استولى على كل أموالى من
القاضى تانشر ..

فقال توم على الفور :

- انه لم يفعل ذلك ولم يحصل على دولار واحد
.. ما زالت هناك ستة آلاف من الدولارات وربما أزيد
من ذلك .. ان أباك لم يظهر في البلدة بعد رحيلك ..

وهنا قال جيم :

- بل ولن يظهر بعد ذلك أبداً في أي مكان آخر ..

فسألته :

- ماذا تقصد بذلك يا جيم ؟ ..

فأجاب :

- هل تذكر البيت الخشبي الذى كان طافياً فوق

سطح النهر في تلك الليلة .. هل تذكّر الشخص الميت
الذى وجدناه مقتولاً هناك ففطيت وجهه بقطمة من
القماش .. ان هذا الشخص كان اباك .. ويذكرك
الآن أن تحصل على نقودك كاملة !

وبعد فترة استعاد توم كامل قواه وأصبح في
صحة جيدة .. وكان يعلق الرصاصة التي أصابته في
سلسلة ساعة يلفها حول رقبته .. وكثيراً ما يقوم
بالنظر في تلك الرصاصة ليعرف الوقت !

•
• والآن ..

لم يعد هناك شيء لاكتبه وأضيفه .. ولو كنت
اعلم مدى العناء الذي يعانيه الانسان لكن يكتب كتاباً
مثلك هذا لما أقدمت على الكتابة منذ البداية ..

ويبدو أنني سأقوم بمحاجرة عظيمة مع ذوى البشرة
الحمراء .. وكان من الأفضل أن أذكرها في هذا
الكتاب أيضاً .. ولكن الحالة سالي تبتتنى .. وتولت
رعايتها وتربيتها .. فهل سيتحقق ذلك ؟!

فهرس

صفحة

| | |
|----|---|
| ٩ | المؤلف : |
| ١٣ | الفصل الأول : عصابة توم سوير |
| ٤٩ | الفصل الثاني : هك يعيش مع أبيه . . |
| ٤٣ | الفصل الثالث : هك يتمكن من الهرب . . |
| ٥٣ | الفصل الرابع : في جزيرة جاكسون . . |
| ٧١ | الفصل الخامس : استيقظ يا جيم .. انهم يبحثون عنا |

| | |
|-----|---|
| ٨٣ | الفصل السادس : كيف ضحكت عليهم يا هك ؟ |
| ٩٩ | الفصل السابع : النار |
| ١٢٧ | الفصل الثامن : اثنان من الأوغاد |
| ١٤١ | الفصل التاسع : الوغدان على المسرح |
| ١٦١ | الفصل العاشر : أنت محظى |
| ١٨١ | الفصل الحادى عشر : الحقيرة المملوءة بالذهب |
| ١٩١ | الفصل الثانى عشر : المشكلة الكبرى |
| ٢٠٩ | الفصل الثالث عشر : أين جيم |
| ٢١٩ | الفصل الرابع عشر : وصول توم وأخيه سيد |
| ٢٣٥ | الفصل الخامس عشر : خطة لفر نفق |
| ٢٤٧ | الفصل السادس عشر : فن اختراع المصاعب |

| | |
|-----|--|
| ٢٦٣ | الفصل السابع عشر : المفر |
| ٤٧٧ | الفصل الثامن عشر : تسعة ملاعق أم عشرة والكمكة ذات الحبل المجدول |
| ٢٩١ | الفصل التاسع عشر : القيام ببعض الأعمال القطيعة |
| ٣٠٥ | الفصل العشرون : الفئران والثعابين والرسائل المجهولة |
| ٣٢١ | الفصل الحادى والعشرون : جيم .. هانتدا من جديد |
| ٣٣٥ | الفصل الثانى والعشرون : ماذا جرى لهذا الولد؟ |
| ٣٤٣ | الفصل الثالث والعشرون : اعادة توم وجيم الى البيت |
| ٣٦٣ | |
| ٣٦٧ | |

مطبخ الصيدلة للصبية العاملة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٩٧/٧٩٠٢

I. S. B. N 977 - 01 - 5284 - 6

مکتبہ مصطفیٰ



بصادر مزی خمسون ترفا بعنای سیم

مِنْجَانُ الْمُرْسَلِينَ

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

اشتغل في
مطبعة، ثم اشتغل
النهرية العاملة
ثم ترك كل هذه
الكتابات الأدبية.

ويعتبر «
الأدب الساخر».

0634883



Bibliotheek Alexandrina